جامعة الجزائر-1-

كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية

عنوان المذكرة :

السياق الدلالي وأثره في توجيه معاني آيات الإعجاز البياني ـ دراسة في رحاب التكرار ـ

مذكرة مقدمة لنيل درجة ماجستير

تخصص : لغة ودراسات قرآنية .

من إعداد الطالب :

بومدين هواري

السنة الجامعية: 2010هـ ـ2011م .

جامعة الجزائر -1-

كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية

عنوان المذكرة :

السياق الدلالي وأثره في توجيه معاني آيات الإعجاز البياني ـ دراسة في رحاب التكرار ـ

مذكرة مقدمة لنيل درجة ماجستير

تخصص : لغة ودراسات قرآنية .

من إعداد الطالب :

بومدين هواري

إشراف فضيلة الدكتور :

أ. د / مصطفى أكرور

أعضاء لجنة المناقشة :

د. حورية عبيب	رئيسا .
أ.د مصطفى أكرور	مقررا .
د . عاشور مزيلخ	عضوا .
أ. رضا دغبار	عضوا .

السنة الجامعية : 2010 م ـ 2011م

بِسۡــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إهداء

إلى التي حملتني كرهنا ووضعتني كرها ، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى الأولى بالصحبة وأحرى الناس بالصلة والقربى..**أمي الحبيبة**

إلى الذي كلّله الله بالهيبة والوقار ...إلى من علمني العطاء بدون انتظار .. إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أرجو من الله تعالى أن يمدّ في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوما أهتدي بها في الليل والنهار ....**والدي العزيز.**

إلى رفيقة الدرب وتوأم الروح ..إلى صاحبة القلب الطيب والنوايا الصادقة .... **زوجتي** .

إلى فلذات كبدي ومشروع عمري وشغل روحي وفكري ....**أولادي** : **أنس ، جميلة ، صفية**

.........إلى إخوتي " أحمد ، يوسف ، وعبد الله ، وأختاي أمينة وليلى

إلى كل من عرفت وكل من أحببت أهدي هذا العمل المتواضع وأسأل الله تعالى التوفيق والقبول وأستغفر الله العلي الغفور .

كلمة شكر وتقدير

إنّه ما يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر لفضيلة الدكتور : عمار مساعدي عميد كلية العلوم الإسلامية بالجزائر العاصمة ، أشكره على كلّ ما بذله من جهد في خدمة العلم وطلبته ، وحرصه الدائم على إنجاح هذه البحوث العلمية لتكون فخرا لهذا الوطن الحبيب ، فأسأل الله تعالى أن يجعلها في ميزان حسناته يوم القيامة .

كما أتقدم بوافر الشكر لشيخي وأستاذي الدكتور مصطفى أكرور الذي حباني الله به فكان مشرفا حليما وأستاذا برّا كريما ، ولو جازت هذه الأبيات في أحد من الأحياء دون الله تعالى لجعلتها فيه :

ولو أنني أوتيت كلّ بلاغة ***وأفنيت بحر النطق في النظم والنثر

لما كنت بعد القول إلا مقصرا *** ومعترفا بالعجز عن واجب الشكر

فأشكره على صبره وحلمه ، وعلى كل ما قام به من توجيه ومتابعة وتقويم ،أسأل الله تعالى أن يجعلها له ذخرا ليوم يوفى الصابرون فيه أجرهم بغير حساب .

كما أشكر كلّ من ساعدني في إنجاز هذه المذكرة ، أساتذة وطلبة وأصدقاء ، وأخص بذلك الدكتور نصر الدين بن زروق أستاذ اللغة العربية بجامعة الجزائر ، على ما قدمه من توجيهات فيما يتعلق بموضوع التكرار ، وكذا الأخ الفاضل زكريا توناني على ما تكرم به من مصادر ومراجع فيما يتعلق بالسياق فجزاهما الله عني خير الجزاء .

والله أسأل التوفيق والرشاد ، والعصمة من الزيغ والزلل والضلال .

الحمد لله الذي أنزل القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الديان ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفصح من نطق بالقرآن .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[1] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[2] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[3]

ألا وإنّ أصدق الحديث كلام الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أما بعد :

فإنّ علم البيان من أكثر العلوم أخذا للعقول ، وأشدّها تأثيرا على النفوس ؛ ذلك أنه يتعلق بمن خصّه الله بالنطق والفصاحة وحسن التعبير ، وهم بنو الإنسان ،

1- آل عمران/ 102 .

2- النساء/ 1 .

2- الأحزاب/ 70ـ71 .

لذلك امتن الله ـ عز وجل ـ عليهم بهذه النعمة فقال : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾[1] .

ومن أجل هذا قدمهم الله ـ سبحانه ـ على الجنّ في قوله : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨ ﴾[2].

ومما زاد علم البيان شرفا ومكانة بين العلوم ؛ صلته الوثيقة بالقرآن الكريم الذي أبهر عقول العرب الأقحاح ، أهل الفصاحة والإبداع ، ولا زال العلماء يكتشفون عجائبه جيلا بعد جيل ، حتى أسّسوا له علما مستقلا له علماؤه ومؤلفاته ، عرف بعلم الإعجاز البياني الذي يتناول موضوعات عديدة أطلق عليها لأهميتها اسم أبواب البلاغة مثل الإيجاز والتشبيه ، والتقديم والتأخير .. وغيرها من الأبواب .

ولعلّ من أهم أبواب الإعجاز البياني ؛ باب التكرار ، هذا الباب الذي لفت انتباه الكثير من الدارسين عربا وعجما ، المعظمين لكتاب الله والطاعنين فيه .

أما الطاعنون فاتخذوا التكرار مطيّة للقدح في القرآن الكريم ، ولكنهم صدموا وتفاجئوا حين وجدوه مطيّة للتعظيم والثناء ، لا للقدح والجفاء ، حالهم كحال من يقلب بصره في السماء ليجد فيها خللا أو عيبا ، فينقلب إليه البصر خاسئا وهو حسير .

1- الرحمن/ 3 ـ 4 .

2- الإسراء/ ٨٨

وأما المعظمون : فزادهم باب التكرار في نفوسهم تعظيما لكتاب ربّهم ، وكيف لا وهو يمثل لهم أهم أبواب الإعجاز البياني .

وتبرز أهميته من خلال نقاط كثيرة ومتعددة نجملها في ثلاث :

الأولى : أنه مظهر من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، ببلاغته النافذة التي عجز عنها أرباب البلاغة ، وذلك أن العرب لم تستطع أن تأتي بمثل هذا المكرر الصحيح المعنى الذي ليس عليه أي اعتراض ، فوجود التكرار في آي القرآن بهذا المعنى الصحيح والدقة المتناهية دليل قويٌّ على بلاغته وفصاحته .

الثاني : أنّه يُظهر عظمة القرآن الكريم في كونه يورد القصّة لعدّة أغراض ، كل موضع منها يرد لغرض معين ، فتأتي ألفاظه متفقة مع غرضه ، وهذا لاشك أنّه دال على بلاغة عظيمة لا يستطيعها البشر في كلامهم .

ودراسة هذا العلم تعتبر ضربا من التفسير لكلام الله تعالى ، وهو باب عظيم من أبواب التأمل والتدبر في آيات الله ؛ التي حثّ الباري ـ عز وجل ـ على تدبرها ، وهو ـ أيضا ـ مما يعين على زيادة إيمان العبد بأنّ هذا الكتاب هو من عند الله حقا ، ليس لأي كائن من كان أن يأتي بهذا الكلام ذي البلاغة العالية ، والمقاصد المتناهية .

الثالث : أنّه باب عظيم تسربت منه تلك الهجمات الاستشراقية التي تهدف إلى التشكيك في مصدرية القرآن من خلال اتهامه بالتناقض والحشو والإطناب المجرد ، ومن هنا كان لزاما على العلماء أن يقفوا أمام هذه الهجمات الشرسة ، وذلك بتخصيص دراسات بلاغية تبرز قيمة التكرار ؛ العلمية ، ومقاصده السامية من جهة ، وتلجم أفواه هؤلاء المغرضين من جهة أخرى .

والجدير بالتنبيه عليه : أن هناك ثلة من العلماء كانت لهم جهود معتبرة في خدمة موضوع التكرار ، وهي جهود علمية بلغت ذروة التوهج العلمي كدراسات ابن الأثير والكرماني وابن رشيق والزركشي ـ رحمهم الله ـ ، وغيرهم ، مع تفاوت في المقاربة والمعالجة .

فحدّد هؤلاء الأعلام مفهوم التكرار مع اختلاف في تسميته ، فمنهم من يسميه تكرارا ، ومنهم من يسميه تكريرا ، ومنهم من يطلق عليه اسم المتشابه اللفظي ، أو تصريف القول مع تقارب كبير في مدلولات هذه المسميات .

ثمّ حدّدوا أقسامه وأنواعه مستندين في ذلك على التتبع والاستقراء لكلام الله وكلام العرب ، كما بينوا أسراره وأغراضه وفوائده مستشهدين بأمثلة من كتاب الله تعالى .

إلا أنّ هذه الفوائد والأسرار يتوقف بيانها على معرفة جملة من الأمور ، وإعمالها ولعلّ من أهمها ؛ السياق الذي قد يكون له الأثر الكبير في توجيه موضوعات الإعجاز البياني عموما ، وموضوع التكرار خصوصا .

وبالرجوع إلى كتب المتقدمين نجد الكثير من العلماء قد وظّفوا السياق في تفسير آي القرآن الكريم ، ومن أشهرهم الإمام ابن جرير ـ رحمه الله ـ في تفسيره " جامع البيان في تأويل القرآن "، وكذا الزمخشري في " الكشاف " ، والرازي في " مفاتيح الغيب " ، والبقاعي في " نظم الدرر " ، وغيرهم .

هذا وقد حاولت بعض الدراسات الحديثة أن توظف نظرية السياق في كثير من موضوعات الإعجاز البياني ، كعلم المناسبات ، والمكي والمدني ، وأسباب النزول ،

والناسخ والمنسوخ ، ولقد خلصت هذه الدراسات إلى أنّ للسياق أثرا في الكشف عن بلاغة آي القرآن الكريم .

وبما أنّ التكرار يعد من أهم مواطن الفصاحة والبلاغة ـ كما ذكرنا آنفا ـ لا بد من محاولة تبرز لنا أثر السياق في توجيهه ، والكشف عن أسراره ومكنوناته ، وهذا الذي لم نلمسه في دراسات المتقدمين ، وهو ما تجده ماثلا أمامك وأنت تطالع مصنفاتهم في هذا الباب ، فكثيرا ما يقع لهم في الآية الواحدة آراء كثيرة ، لكل رأي منزعه ومأخذه ، فهذا يفسر التكرار بالتوكيد ، وذاك يعلله بطول الفصل ، والآخر ينفي كونه تكرارا ، دون أن نجد أي مرجح لأحد هذه الأقوال .

ولكن قد يقوم السياق بوظيفة الترجيح بين الآراء كلها ، وهذا لا يتأتى إلا بدراسة تطبيقية نوظف من خلالها السياق بأركانه وقواعده وضوابطه على الآيات المتكررة ألفاظا كانت أم جملا .

إشكالية البحث

بعد إطلالة وجيزة على موضوع البحث تبين لنا أنّ للسياق أثرا في توجيه موضوعات الإعجاز البياني ، ومن هنا يمكن أن نبلور إشكالية البحث المحورية والتي مفادها :

هل للتكرار حظ من هذا الأثر المترتب عن السياق ؟ ؛ بمعنى هل للسياق أثر في توجيه التكرار الوارد في القرآن الكريم ؟.

ولا يمكن أن نقف على إجابة لهذه الإشكالية ؛ إلا بعد التطرق إلى أمرين مهمين :

أولهما : تحديد المفاهيم العامة والقواعد الكلية التي بني عليها كلٌّ من السياق والتكرار .

ثانيهما : تطبيق دلالة السياق على بعض ما تكرر في القرآن الكريم ، ومن خلالها نبرز مدى تأثير السياق في توجيه التكرار .

أسباب اختيار الموضوع

لقد لفت انتباهي منذ السنوات الأولى في الجامعة ؛ قضية التكرار ، وكنت كثيرا ما أطرح على نفسي تساؤلات عديدة حول هذه القضية، وأبذل كلّ ما في وسعي لأجد جوابا لها ، مستعينا في ذلك بكتب التفسير وعلوم القرآن ، فأجد ضالتي أحيانا ، لكنني أتعجب من كثرة التوجيهات واختلافها .

ففكرت في تناول موضوع التكرار بشيء من التفصيل والإسهاب ، لعليَّ أجد حلّا لهذه التوجيهات الكثيرة من جهة ضبطها والترجيح بينها ، وكان العنوان المبدئي لهذه الفكرة هو : " من أسرار التكرار في القرآن الكريم " .

وبعد اجتهاد يسير وجدت نفسي أدور في حلقة مبهمة أعيد فيها ما ذكره الكرماني ـ رحمه الله ـ وغيره ممن ألف في هذا العلم ، وهذا يتنافى مع شروط البحث

العلمي القائم على التجديد والابتكار ، فكان لزاما عليّ التطرق إليه من زاوية تضفي عليه هذه الميزة .

ففكرت واستشرت [1] ، وقلبتُ الموضوع من جميع جوانبه ، حتى تبين لي أنّ السياق هو العنصر الوحيد الذي يمكن أن يقوم بهذه الوظيفة ، فيخرج موضوع التكرار من دائرة التنظير إلى حيز التطبيق ، وهو ما غلب على ظني أنّه يصلح أن يكون موضوعا لمذكرة ماجستير ، واستقر عنوانها على:

السياق الدلالي وأثره في توجيه معاني آيات الإعجاز البياني ـ دراسة في رحاب التكرار ـ .

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أمور عديدة أجملها في ما يلي :

- قلة الدراسات العلمية التي تناولت موضوع التكرار من هذه الزاوية ، وإن كان وجودها عبارة عن أمثلة مبثوثة في كتب المتقدمين لا تفي بالغرض المقصود .
- محاولة تفصيل موضوعي التكرار والسياق ، مع بيان مدى أثر السياق في الترجيح بين الآراء المتضاربة في توجيه التكرار .
- الغيرة على كتاب الله ـ عز وجل ـ ومحاولة الذب عنه ، ورد شبهات المغرضين من المستشرقين وغيرهم .

1ـ ممن أشار عليّ فضيلة الأستاذ الدكتور : عزيز عدمان .

أهمية الموضوع

من خلال ما سبق طرحه وبيانه ، يظهر أن البحث من الأهمية بمكان ، وذلك لقيمته العلمية ومكانته التراثية ، إذ إنّه اتصف بسمتين بارزتين :

- طابع التجديد والحداثة والابتكار ، وهذا من شرائط البحث العلمي الذي يبتعد كل البعد عن التكرار والاجترار ، ويهدف إلى إثراء المكتبة الإسلامية بالبحوث العلمية الناضجة .
- سمة التطبيق العلمي بإخراج التراث الإسلامي من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي ، ذلك أن الدراسات القرآنية بحاجة ماسة إلى تطبيق تلكم النظريات، والقواعد العامة التي وضعها العلماء الأوائل ، وهذا الذي أهدف إليه من خلال هذه الدراسة .

وإضافة إلى هذا كلّه فإنّ البحث يكتسي الأهمية البالغة من جهة أنّه يعالج قضايا تتعلق بالقرآن الكريم وعلومه ، من أبرزها :

أولا :السياق القرآني ؛ الذي له أثر كبير في توجيه آيات الإعجاز البياني ، بل ويعتبر أثرا مهما للوصول إلى ترجيح بين الآراء المتضاربة في التفسير ، ودلالته تعدّ من قبيل التفسير بالتفسير .

ثانيا :التكرار ؛ الذي هو سرٌّ من أسرار القرآن ، وعنصر من عناصر الإعجاز والبيان .

الدراسات السابقة

لقد اهتم العلماء قديما وحديثا بموضوعات الإعجاز البياني عموما ، فأولوها منزلة مرموقة بين شتى المباحث والعلوم ، وذلك لصلتها الوثيقة بكتاب ربِّ العالمين ، مما أدى إلى كثرة الدراسات المتعلقة به ، حتى انتشرت انتشارا كبيرا بين أوساط الباحثين وطلبة العلم .

ومما نستدركه على هذه الدراسات أمرين :

1. اكتفاؤها بالجانب النظري ، وبعدها في الغالب عن الجانب التطبيقي ؛ الذي يُوظَف فيه كمٌّ هائل من النماذج المبثوثة في كتاب الله تعالى .
2. عدم الجمع بين الجزئيات المتكاملة في مادة الإعجاز البياني ، كالجمع بين جزئية السياق والتكرار .

وهو ما لم أقف عليه في دراسات المتقدمين والمتأخرين ، وكلّ ما في هذا الصدد عبارة عن دراسات مجملة وظفت السياق في تفسير القرآن ، كتفسير ابن جرير ـ رحمه الله ـ الذي اعتمد على السياق اعتمادا ظاهرا .

وأما الدراسات المتعلقة بالتكرار فهي الأخرى أبرزت فوائد التكرار وأسراره، كدراسة ابن الأثير ، والكرماني ، وأشارت إشارات خفيفة إلى أثر السياق في ذلك ، وهو ما حملني على الخوض في هذا الموضوع .

وقد واجهتني صعوبات وتحديات كبيرة في هذا المذكرة ترجع إلى سببين اثنين :

الأول منهما : أن موضوع السياق تجاذبته مصادر قليلة من فنون عدة ، كالمنطق وأصول الفقه ، مما دفعني إلى جمع شتات المسائل من هذه المؤلفات القليلة ، والمصنفات المختلفة .

الثاني : أنّ السياق فنٌّ من أدق الفنون ، وأصعب العلوم التي تحتاج إلى تريث وإمعان نظر ، حتى لا يحدث الخطأ في تفسير كلام الله تعالى .

ولهذا حرصت على ترتيب المسائل والأبواب ، وتمحيص الآراء والأقوال ، فإن أصبت فمن الله وحده والحمد لله ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، فأسأل العفو والغفران .

وتشتمل خطة هذه المذكرة على ما يلي :مقدمة وقسمين وخاتمة .

أما المقدمة فهي التي بين أيدينا .

وأما القسمان ،فالأول منهما : دراسة نظرية تنقسم إلى فصلين :

الفصل الأول: دلالة السياق .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم دلالة السياق .

ويندرج تحته خمسة مطالب:

المطلب الأول : الدلالة لغة .

المطلب الثاني : الدلالة اصطلاحا .

المطلب الثالث : السياق لغة .

المطلب الرابع : السياق في الاصطلاح .

المطلب الخامس : دلالة السياق .

المبحث الثاني : أركان السياق وأنواعه .

ويندرج تحته مطلبان :

المطلب الأول : أركان السياق .

المطلب الثاني : أنواع السياق .

المبحث الثالث : أهمية السياق وأبرز العلماء عناية به .

ويندرج تحته مطلبان :

المطلب الأول : أهمية السياق في الدراسات القرآنية .

المطلب الثاني : أبرز العلماء عناية بالسياق .

الفصل الثاني : التكرار .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم التكرار

ويندرج تحته أربعة مطالب :

المطلب الأول : التكرار لغة .

المطلب الثاني : الفرق بين التكرير والتكرار والتِكرار .

المطلب الثالث : التكرار في الاصطلاح .

المطلب الرابع : الفرق بين التكرار والمتشابه وتصريف القول .

المبحث الثاني : آراء العلماء في التكرار .

المبحث الثالث : أقسام التكرار .

ويندرج تحته مطلبان :

المطلب الأول : تكرار اللفظ والمعنى الذي يدل على غرض واحد .

المطلب الثاني : تكرار اللفظ والمعنى الذي يدل على غرضين .

وأما القسم الثاني من هذه المذكرة ؛ يتمثل في الدراسة التطبيقية .

وتحتها ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أثر السياق في توجيه تكرار الألفاظ .

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : أثر السياق في توجيه تكرار ألفاظ السورة .

المطلب الثاني : أثر السياق في توجيه تكرار ألفاظ الآية .

المبحث الثاني : أثر السياق في توجيه تكرار الجمل .

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : أثر السياق في توجيه تكرار ألفاظ الجمل المتقاربة .

المطلب الثاني : أثر السياق في توجيه تكرار ألفاظ السور المتباعدة .

الخاتمة : وفيها نتائج الدراسة .

الفهارس : الآيات ، الأحاديث ، الآثار ، الأعلام ، المصادر والمراجع ، الدواوين ، ثم المحتويات .

منهجي في البحث

- اعتمدت على الخط العثماني "برواية حفص عن عاصم " في كتابة الآيات القرآنية ، وعزوتها بأرقامها إلى سورها .

- خرجت الأحاديث النبويّة والآثار .

- ترجمت للأعلام ؛ كل علم في أول موضع ذُكر فيه ، مع تفاوت يسير في مقدار كل ترجمة مراعيا في ذلك الشهرة من عدمها .

- إذا حذفت من النص شيئا ـ في أوله أو وسطه أو آخره ـ وضعت نقاطا" ..".

- قمت بتخريج الآراء النحوية واللغوية التي تخدم رسالتي من جوانب محدودة ، وبسطت فيها القول في الهامش ، وذلك حرصا مني على ربط القارئ بالموضوع الأم .

- خرجت للمصادر والمراجع تخريجا علميا دقيقا في أول موضع ذُكرت فيه ، واكتفيت بالإشارة إليه بلفظ " المصدر نفسه " إذا كانا في صفحة واحدة ، وبذكر عنوان المؤلَف إذا كانا متباعدين .

المبحث الأول

مفهـــــوم دلالة السياق

المطلب الأول

مفهوم الدلالة في اللغة

قال الفيروزابادي ـ رحمه الله ـ [1] : " ودَلَّهُ عليه دَلالَةً ، ويُثَلَّثُ ، ودُلولةً فانْدَلَّ : سَدَّدَهُ إليه . والدِّلِّيلي ، كخِلِّيفَي: الدَّلالَةُ ، أو عِلْمُ الدَّليلِ بها ، ورُسوخُهُ "[2].

وقال ابن منظور ـ رحمه الله ـ [3] : " دَلَّه على الشيء يَدُلُّه دلا ودَلالَةً فانْدَلَّ سدده إليه ودَلَلْته فانْدَلَّ " [4] .

فالدلالة بالفتح ويجوز كسرها ، مثلثة الفاء ؛ في اللغة مشتقة من الفعل (دلّ): بمعنى أرشد وسدّد ووجّه ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ

1- أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي ، ولد سنة 729هـ بمدينة بكارزين بفارس ، تلقى علومه عن علماء عصره ، كما أخذ عنه علماء كابن حجر والصلاح الصفوي وابن عقيل والجمال الأسنوي مما هيأ له أسباب الشهرة في شتى العلوم والفنون كاللغة والتفسير والحديث والتاريخ والفقه ، توفي في زبيد سنة 817هـ . ينظر الأعلام للزركلي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة ، 1980 ، ج7/ ص146 .

2- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي ، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة 1301هـ ، دار الطبع : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة : 1399هـ/ 1979م ، ج 3/ ص365

3- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري الرّويفعي الإفريقي ويد بمصر في محرم سنة 630 هـ ، تتلمذ على يد عبد الرحمن بن الطفيل ومرتضى بن حاتم ويوسف المخيلي وأبي الحسن علي بن المقير البغدادي ، كان عالما في الفقه واللغة ، أشهر أعماله وأكبرها هو لسان العرب ، عمي في آخر عمره وتوفي في مصر عام 711هـ) ينظر الأعلام للزركلي ، ج7/ ص108) .

4 - لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى ، ج 11/ ص247 .

أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥ [1]، وقال : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ [2] ، أي أرشدكم ، وأوجهكم ، وأهديكم .

وهي بهذا المعنى لا تخرج لغةً عن إبانة الشيء وإيضاحه ، والإرشاد إلى معناه والهداية والبيان .

وهذا البيان والتسديد لا يكون إلا بأمارة أو علامة تدل على الشيء .

قال ابن فارس (دل) الدال واللام أصلان : أحدهما إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلّمها ، والآخر اضطرابٌ في الشيء . فالأوَّل قولهم : دَلَلْتُ فلاناً على الطريق . والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة .

والأصل الآخر قولهم: تَدَلْدَل الشَّيءُ، إذا اضطرَبَ . قال أوس:

أَمْ مَن لِحَيٍّ أضاعوا بعضَ أمرِهِمُ *** بَيْنَ القُسوط وبين الدِّين دَلْدَالِ [3]

وقال الراغب الأصفهاني ـ رحمه الله ـ [4]: " الدلالة : ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ، ودلالة الإشارات ، والرموز ، والكتابة ، والعقود في الحساب ، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالةً أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة

1 - طه / 40 .

2 - الصف / 10.

3 - ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح : د.محمد يوسف نجم ، دار النشر : دار صادر بيروت ، الطبعة الثالثة ، السنة : 1399هـ ، ص 103 ، ولكن بلفظ : (أم من قوم لقوم) .

4 - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (502هـ / 1108م) ، أديب من الحكماء العلماء من أهل أصبهان سكن بغداد ، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي ، من كتبه : (محاضرات الأدباء ، والمفردات في غريب القرآن) . الأعلام ، ج2/ ص255 .

إنسان فيعلم أنّه حيّ ، قال تعالى : ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾[1] "[2] .

فالمعنى العام للدلالة في اللغة هو : الإبانة أو التسديد بالإمارة ، أو أي علامة أخرى لفظية ، أو غير لفظية [3] .

المطلب الثاني

الدلالة اصطلاحا

اختلف العلماء في تحديد مفهوم دقيق لمصطلح الدلالة ، **فحدّها عند قدماء المناطقة هو** : " فهم أمر من أمر "[4].

بل إن ابن سينا يحد الدلالة بقوله : " هي نفس الفهم "[5] ، **وهذا التعريف يُعدل عنه لكون الفهم صفة الفاهم (السامع) ، والدلالة صفة اللفظ .**

يقول الزركشي – رحمه الله - [6]: " وَيَتَلَخَّصُ من هذا الخِلافِ خلافٌ آخَرُ في أَنَّ الدَّلَالَةَ صفَةٌ لِلسَّامِعِ أَوْ اللَّفْظِ ، وَالصَّحِيحُ الثَّانِي ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُ ابْنِ سِينَا

1 – سبأ / 14

2 – مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، دار النشر / دار القلم ـ دمشق ، ج1/ ص349 .

3 – ينظر دلالة السياق ، د .ردة الله الطلحي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة 1 ، 1423 هـ ، ص 27 .

4 – إيضاح المبهم من معاني السلم في المنطق ، شهاب الدين أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري الأزهري، المتوفى سنة 1198هـ ، طبعة مصر سنة 1876، ص8 .

5 – البحر المحيط في أصول الفقه ، بدر الدين الزركشي ، تحقيق ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر ، دار الكتب العلمية ، سنة النشر 1421هـ – 2000م ، لبنان/ بيروت ، ج1 / ص417 .

6 – بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ((المصري فقيه ومحدث له مشاركة في علوم كثيرة ، ولد في القاهرة سنة 745هـ ، رحل إلى دمشق فأخذ عن ابن كثير في الحديث ، ثم إلى حلب وأخذ عن الشيخ شهاب الدين الأذرعي ، وكانت وفاته بالقاهرة في رجب سنة :794 هـ . (ينظر الدرر الكامنة الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، ت :محمد عبد المعيد ضان ،الناشر مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 197م ، ج5/ ص134 .

عَلَى أَنَّ مُرَادَهُ بِالْفَهْمِ الْإِفْهَامُ ، وَلَا يَبْقَى خِلَافٌ . وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا : أَنَّ الْفَهْمَ صِفَةُ السَّامِعِ ، وَالْإِفْهَامُ صِفَةُ الْمُتَكَلِّمِ ، أَوْ صِفَةُ اللَّفْظِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ " [1] .

ولهذا عرف الزركشي ـ رحمه الله ـ الدلالة على اعتبارها صفة للفظ فقال : " فالصحيح أنها كَوْنُ اللَّفْظِ بِحَيْثُ إذَا أُطْلِقَ فَهِمَ مِنْهُ الْمُعْنَى مَنْ كَانَ عَالِمًا بِوَضْعِهِ لَهُ "[2].

بينما ذهب الشريف الجرجاني ـ رحمه الله ـ[3] في تعريفها إلى أبعد من كونها صفة للفظ فعرف الدلالة بشكل عام ، لفظية وغير لفظية بقوله : " هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، والشيء الأول **هو الدال** ، والثاني هو المدلول"[4] .

وقد عرفها ابن حزم ـ رحمه الله ـ[5] **بقوله:** " والدلالة فعل الدال وقد تضاف إلى الدليل على المجاز " [6].

---

1 – البحر المحيط في أصول الفقه ، ج1 / ص417 .

2 – المصدر نفسه ، ج1/ ص416 .

3 – بن محمد بن علي الجرجاني ((المحقق الحنفي ولد بجرجان سنة 740 والمتوفى بشيراز سنة 816 له من التصانيف الكثير ، أشهرها : التعريفات)). ينظر معجم المؤلفين ، ج7/ ص216 .

4 – التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني ((المحقق الحنفي ولد بجرجان سنة 740 والمتوفى بشيراز سنة 816 له من التصانيف الكثير ، أشهرها : التعريفات)) الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1405 ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، ص139 .

5 ـ ابن حزم الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية ، الفارسي الأصل الأموي اليزيدي القرطبي الظاهري ، ولد أبو محمد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة (384هـ) ، كانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف وكان يستنبط الأحكام من الكتاب والسنه ، انتقد– كثيرا من الفقهاء توفى فى بادية لبلة بالأندلس سنة 456 هـ ، وله في الفقه كتاب المحلى وفى الأصول الأحكام . ينظر وفيات الأعيان ، ج3 / ص325 . وسير أعلام النبلاء ، ج18/ ص184 .

6 – الإحكام في أصول الأحكام ، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ، دار الحديث – القاهرة الطبعة : الأولى ، السنة: 1404 ، ج1 ص41

وعلى هذا يكون إنشاء النص وفهمه مشمولا بمفهوم الدلالة باعتباره وصفا للفظ أو للسامع ؛ **أما فعل الدلالة باعتباره وصفا للفظ (فعل الدلالة من المتكلم) هو:** استعمال الدال اللفظي للإبانة التي تظهر في المفهوم اللغوي .

وأما فعل الدلالة باعتباره وصفا للسامع (فعل الدلالة من المستمع) هو : الفهم الذي يشير إليه حد المناطقة للدلالة بقولهم : " **فهم أمر من أمر** " ، ويشير إليه قول **ابن سينا** أنها نفس الفهم[1] .

والذي يمكن أن نخلص إليه من خلال ما سبق ذكره من كلام العلماء حول مفهوم الدلالة ؛ أنّها تتألف من أركان أربعة : اللفظ ، المعنى ، قصد المتكلم ، فهم السامع ، وعليه يكون تعريف الدلالة كما يلي :هي التلازم بين اللفظ (الدال)، والمعنى (المدلول) ، بالنظر إما لقصد المتكلم ، أو فهم السامع[2] .

1 – دلالة السياق ، ص29 .

2 – هذا تعريف الدلالة اللفظية ، أما مصطلح الدلالة عموما فهو : استعمال الدال من لفظ أو غيره لبيان المراد من المتكلم ، أو الوصول إليه من السامع . انظر دلالة السياق ، ص30 .

المطلب الثالث

المعنى اللغـوي للسياق

قال ابن فارس – رحمه الله – [1] " السين والواو والقاف أصل واحد ، وهو حدوُ الشيء . يقال ساقه يسوقه سوقا ، والسَّيِّقة : ما استيق من الدواب . ويقال : سقتُ إلى امرأتي صَدَقَها ، وأسَقْتُه . والسوق مشتقة من هذا ، لما يساق إليها من كل شيء ، والجمع أسواق . والساق للإنسان وغيره والجمع سوق ، وإنما سميت بذلك ؛ لأن الماشي ينساق عليها " [2].

وإلى هذا المعنى أشار ابن منظور ـ رحمه الله ـ في لسان العرب وهو يبين المعاني المعجمية لكلمة " سوق " فقال : " السَّوق : معروف . ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسوّاق ، شدد للمبالغة ... وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت ، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة ، وفي حديث أم معبد : ((فجاء زوجها يسوق أعنزا ما تساوق)) [3] ، أي ما تتابَعُ ، والمُساوَقة المُتابعة كأنّ بعضَها يسوق بعضاً ، والأصل في َتساوَق تَتساوَق ، كأنَّها لضعفِها وفَرْطِ هُزالِها تَتخاذَل ويتخلَّفُ

1 – أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا القزويني الرازي من أئمة اللغة والأدب ومن شيوخ البديع الهمذاني والصاحب بن عباد أصله من قزوين إليها ينسب، وله تآليف كثيرة منها كتاب المجمل المشهور في فقه اللغة أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها سنة 395هـ وإليها نسبته. ينظر سير أعلام النبلاء ،ج1 / ص433، وفيات الأعيان ، ج1/ ص118 .

2 – مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا ، دار الفكر ، الطبعة : 1399هـ – 1979م ، ت : عبد السَّلام محمد هَارُون ، ج3/ ص117 .

3 – المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، الطبعة الثانية ، 1404 – 1983 ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ج4 / ص48 .

بعضها عن بعض . وساق إليها الصداق والمهر سياقًا وأساقه وإن كان دراهم أو دنانير ؛ لأنّ أصل الصداق عند العرب الإبل وهي التي تُساق ، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما . وساق فلانٌ من امرأته أي أعطاها مهرها ، والسّياق : المهر "[1] .

وقال الفيروز آبادي – رحمه الله - : " والسّياق ككتاب : المهر ..والمنساق : التابع ، والقريب وتساوقت الإبل : تتابعت وتقاودت ،والغنم : تزاحمت في السير "[2].

من خلال استقراء هذه الآراء المعجمية نخلص إلى أن مادة السياق يدور معناها على التوالي والتتابع .

جاء في المعجم الوسيط : " ساق الحديث ، سرده وسلسله ، وساوقه : تابعه وسايره وجاراه . وتساوقت الماشية ونحوها : تتابعت وتزاحمت في السير . وتساوق الشيئان : تسايرا أو تقرنا . ويقال : ولدت المرأة ثلاثة ذكور ساقا على ساق أي بعضهم على إثر بعض ، ليست بينهم أنثى . وسياق الكلام : تتابعه ، وأسلوبه الذي يجري عليه"[3] .

1 – لسان العرب ، ابن منظور الأفريقي ، الناشر : دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ص166 / 167 .

2 – القاموس المحيط ، ج3/ ص240 .

3 – المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، ج1 / ص464 .

ومنه قول الزمخشري ـ رحمه الله ـ[1] : " ومن المجاز : ..وهو يسوق الحديث أحسن سياق ، وإليك يساق الحديث ، وهذا الكلام مساقه إلى كذا ، وجئتك بالحديث على سوقه : على سرده " [2] .

قال د /ردة الله الطلحي : " ويقصد – الزمخشري – بالسرد التوالي والتتابع كما في قوله : " سرد الحديث والقراءة جاء بهما على ولاء " [3] ، أي : " على تتابع " ، لذلك قال ابن منظور وهو يبين معاني مادة " تبع " : " وتابعْتُه على كذا مُتابعةً وتِباعًا والتِّباعُ الوِلاءُ يقال تابَعَ فلان بين الصلاة وبين القراءة إذا والَى بينهما ففعل هذا على إِثْر هذا بلا مُهلة بينهما ، وكذلك رميته فأَصبته بثلاثة أَسهم تِباعًا أَي وِلاء " [4] .

وهذه المجازات التي ذكرها الزمخشري ـ رحمه الله ـ للسياق هي وصف للأسلوب والغرض في سياق الحديث أحسن سياق ، ثم توالي وتتابع مكونات النص، وهو التتابع المفهوم من سوق الإبل[5] .

---

1 – محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر يلقب جار الله ؛ لأنه جاور بمكة زمانا ، ولد في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة ((467هـ)) بزمخشر قرية من قرى خوارزم وقدم بغداد وسمع من أبي الحطاب بن البطر وغيره ، له التصانيف البديعة منها الكشاف في التفسير و الفائق في غريب الحديث و أساس البلاغة و ربيع الأبرار وغير ذلك ، مات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة .انظر طبقات المفسرين ، السيوطي ، ج 1/ ص 104 .

2 – أساس البلاغة ، الزمخشري ، تحقيق : محمد باسل عيون السُود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى 1419هـ ـ1998م ، ج1 / ص484 .

3 – دلالة السياق ، المصدر السابق ، ص41 .

4 – ابن منظور ، المصدر السابق ، ج 8 ص 27 .

5 – انظر دلالة السياق ، ص41 .

المطلب الرابع

المعـنى الاصطلاحي للسياق

من خلال ما سبق طرقه وبيانه في المبحث اللغوي ، وما خلصنا إليه من كلام الزمخشري ـ رحمه الله ـ حول مفهوم السياق في اللغة ؛ يمكن أن نحدد تعريفا للسياق في الاصطلاح ، وذلك بعد عرض أقوال العلماء المبثوثة في كتب التفسير والأصول التي تشير إلى معناه في الاصطلاح .

فيطلق السياق عند علماء التفسير والأصول ويـراد به أمران[1] :

أولا : أن السياق هو الغرض الذي سيق الكلام لأجله .

أدخل علماء الأصول وخاصة الأحناف لفظ السياق (السوق) في حدّ أقسام اللفظ - من حيث الوضوح – وهو النص الذي يعرفه السرخسي ـ رحمه الله ـ [2]بأنّه :" ما يزداد وضوحا بقرينة تقترن باللفظ من المتكلم ليس في اللفظ ما يوجب ذلك ظاهرا بدون تلك القرينة " [3] .

---

1 – ينظر دلالة السياق ، ص43 .

2 ـ محمد السرخسي (490 هـ) محمد بن أحمد بن أبي بكر السرخسي نسبة إلى سرخس ـ بلدة قديمة من بلاد خراسان ، شمس الأئمة متكلم ، فقيه ، أصولي ، مناظر ، حنفي أخذ الفقه والأصول عن شمس الأئمة الحلواني . وبلغ منزلة رفيعة ، يعدُّ من طبقة المجتهدين في المسائل ، كان عالمًا عاملاً ناصحًا للحكام. سجنه الخاقان بسبب نصحه له ، ولم يقعده السجن عن تعليم تلاميذه ؛ فقد أملى كتاب المبسوط ـ وهو أكبر كتاب في الفقة الحنفي مطبوع في ثلاثين جزءاً ـ وهو سجين ، وله في أصول الفقه كتاب من أكبر كتب الأصول عند الحنفية، ويعرف بأصول السرخسي.

3 – أصول السرخسي ، ت : أبو الوفاء الأفغاني رئيس اللجنة العلمية لإحياء المعارف النعمانية ، عنيت بنشره لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد الدكن بالهند ، دار الكتاب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1414 هـ ، 1993 م ، ج 1 / ص 164 .

وتتجلى هذه القرينة عند المقارنة بينه - **النص- وبين ما يسمى (بالظاهر) وهو** : " ما يعرف المراد منه بنفس السماع من غير تأمل ، وهو الذي يسبق إلى العقول والأوهام لظهوره موضوعا فيما هو المراد " [1].

فالفرق بين النص والظاهر هو : أن النص يحتاج إلى قرينة - كانت في النص أو **خارجه** – ليفهم ويتضح من خلالها الكلام ، أما الظاهر فيفهم بلا قرينة ، وهذه القرينة التي تقترن باللفظ من المتكلم ، وتكون فرقا فيما بين النص والظاهر هي السياق بمعنى **الغرض الذي سيق لأجله الكلام .**

ومن الأمثلة التي توضح ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [2] ، **فظاهر هذه الآية بيان حكم البيع وهو الحِل ، وحكم الربا وهو التحريم ، أما نصها** فنفيٌ للتماثل بين البيع والربا في الحكم ، وإنّما كانت دلالة الآية أوضح على نفي التماثل من جهة الحِل والحُرمة ، من دلالتها على الحِل والحُرمة **لما ذكر من غرض الكلام أو سوق الكلام لذلك الغرض**[3] .

فالسياق يطلق عند الأصوليين ويراد به الغرض الذي يفرقون به بين النص والظاهر كما يفرقون به بين ما يعرف عند الأحناف بـ **" عبارة النص " وهي : " ما كان السياق لأجله ويعلم قبل التأمل أن ظاهر النص متناول له "** [4] **، وبين " إشارة النص "**

---

1 – أصول السرخسي ، ج1 ، ص 163.

2 – البقرة / 275.

3 – دلالة السياق ، ردة الله ، ص44 .

4 – أصول السرخسي ، ج1 ، ص 236 .

وهي : " ما ثبت بنظم النص من غير زيادة وهو غير ظاهر من كل وجه ولا سيق الكلام لأجله " [1] .

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾[2] .

فعبارة النص من الآية هي : استحقاق الغنيمة ؛ لأن سياق الآية ـ يعني غرضها – لذلك ، وقد ثبت فقرهم بنظم النص فكان إشارة إلى أنّ استيلاء الكافر على مال المسلم سبب لثبوت الملك للكافر إذ لو كانت الأموال باقية على ملكهم لا يثبت فقرهم[3].

وأوضح مثال على الفرق بين دلالة العبارة ودلالة الإشارة هو التمثيل برجل ينظر ببصره إلى شيء ، ويدرك مع ذلك غيره ، فالفرق بينهما أن الأول هو المقصود بالنظر والثاني جاء تبعا له [4].

قال ابن دقيق العيد ـ رحمه الله ـ : " أما السياق والقرائن ، فإنّها الدالة على مراد المتكلم من كلامه " [5] . مراد المتكلم : أي غرضه ومقصوده من الكلام .

---

1 – أصول الشاشي ، أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي أبو علي ((ولد بشاش سنة 221هـ ، وتوفي بها سنة 365هـ)) ، دار الكتاب العربي – بيروت ، 1402 ، ص99 .

2 – الحشر / 8 .

3 – ينظر أصول الشاشي ، ص 101 ، وقواطع الأدلة في الأصول ، أبى المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت 489) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ج 1 / ص230.

4 – دلالة السياق ، ص 64 .

5 – إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى : 702هـ) ت : مصطفى شيخ مصطفى و مدثر سندس، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الطبعة الأولى 1426 هـ – 2005 م ،ج1 / ص278 .

وإنّ تعريف علماء التفسير للسياق لا يختلف كثيرا عن تعريف علماء الأصول له إذ إنهم يعبرون عنه بالغرض ، ولكنهم يشترطون له التتابع والتوالي في ألفاظ الكلام ومعانيه .

يقول الدكتور ردة الله الطلحي : " كلمة السياق في تعبير المفسرين تطلق على الكلام الذي خرج مخرجا واحدا ، واشتمل على غرض واحد ، هو المقصود الأصلي للمتكلم ، وانتظمت أجزاؤه في نسق واحد ، مع ملاحظة أن الغرض من الكلام ، أو المعاني المقصودة بالذات هي العنصر الأساسي في مفهوم السياق " [1] .

قال الزركشي ـ رحمه الله ـ : " ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز ولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمدا حتى كأن غيره مطروح " [2] .

وصرح بهذا السيوطي ـ رحمه الله ـ في الإتقان فقال : " وعليه – المفسر- بمراعاة المعنى الحقيقيّ والمجازي ومراعاة التأليف ، والغرض الذي سيق له الكلام"[3] .

1 – دلالة السياق ، الطلحي ، ص51 .

2 – البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى 1376 هـ- 1957 م ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ، ج 1 / ص317 .

3 – الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي((ولد بالقاهرة سنة 849 هـ وتوفي بها سنة 911هـ)) ، طبعة جديدة محققة مخرجة الأحاديث للشيخ شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، سنة : 1429 هـ ، 2008 م ، ص 779 .

وقال السجلماسي ـ رحمه الله ـ [1] في تعريفه للسياق : " **ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول** " [2] .

فالملاحظ من كلامهم أنّهم جعلوا السياق هو الغرض ، ولكنهم اشترطوا له التوالي والتتابع ؛ الذي عبر عنه الزركشي بالنظم ، والسيوطي بالتأليف ، والسلماجسي بربط القول بغرض مقصود على القصد الأول ، وهو المعنى الثاني من معاني السياق :

ثانيا : أن السياق هو المســاق .

استعمله الشاطبي ـ رحمه الله ـ وعنى به السياق بنوعيه ؛ سياق النص ، وسياق الموقف ، يقول ـ رحمه الله ـ : " **المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل وهذا معلوم في علم المعاني والبيان فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم الالتفات إلى أول الكلام وآخره بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها ، لا ينظر في أولها دون آخرها ، ولا في آخرها دون أولها ، فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق بالبعض ؛ لأنّها قضية واحدة نازلة في شيء واحد فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله ، وأوله على آخره ، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف** " [3] .

---

1 – السجلماسي (/ – بعد 704 ه = / – بعد 1305 م) القاسم بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري، أبو محمد السجلماسي: أديب . ولد ونشأ بسجلماسة ، ورحل إلى فاس فأخذ عن علمائها ودرس في القزويين. من نقاد القرن الثامن هجري بالمغرب . (ينظر الأعلام – خير الدين الزركلي ، ج5 / ص181).

2 – المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع – أبو محمد القاسم الأنصاري السجلماسيّ ، تقديم وتحقيق : علال الغازي ، مكتبة المعارف ، الرباط المغرب ، الطبعة الأولى 1401 هـ/ 1980 م ، ص188 .

3 – الموافقات في أصول الفقه ، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي المشهور بالشاطبي ((ت:790هـ)) ، دار المعرفة – بيروت ، تحقيق : عبد الله دراز ، عدد الأجزاء : 4 ، ج 3 / ص 413 .

فمعنى كلام الشاطبي ـ رحمه الله ـ هنا أن النص القرآني - الذي عبر عنه بـ " مقصود الشارع " لا يمكن فهمه إلا بالوقوف على الأحوال والأوقات والنوازل ، وهو ما يعرف بـ " سياق الموقف" ، ثم الالتفات إلى أول الكلام وآخره ، وهو ما يعرف بالسابق واللاحق ، أو بعبارة أخرى " سياق النص " .

ومن الأمثلة التي توضح هذا ، قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [1].

فالظلم في هذه الآية جاء تفسيره على لسان رسول الله ﷺ لما في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا : يا رسول الله : " أينا لم يظلم نفسه "فقال رسول الله ﷺ :((ليس ذاك إنما هو الشرك ألم تسمعوا قول لقمان لابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾[2] "[3].

فجواب النبي ﷺ يفيد أن المقصود بالظلم في الآية نوع خاص من الشرك تم تحديده بنوعين من أنواع السياق[4] :

---

1 - الأنعام / 82

2 - لقمان / 13

3 - الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987 ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق ، ج 6 / ص 2542 الحديث رقم : 6538 .

4 - سيأتي الحديث عن أنواع السياق بالتفصيل في المبحث الثالث .

أ- سياق القرآن : لأن الظلم - الذي هو اعتداء على حق الغير- في القرآن الكريم من أعظم مراتبه الشرك بالله تعالى لأنَّه أكبر الاعتداء ، إذ هو اعتداء على المستحّق المطلق العظيم ، لأنّ من حقّه أن يفرد بالعبادة اعتقاداً وعملاً وقولاً .

ب- سياق السورة : قال الشاطبي – رحمه الله - : " فأما قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ الآية ، فإن سياق الكلام يدل على أن المراد بالظلم أنواع الشرك على الخصوص فإن السورة من أولها إلى آخرها مقررة لقواعد التوحيد وهادمة لقواعد الشرك وما يليه ، والذي تقدم قبل الآية قصة إبراهيم عليه السلام في محاجته لقومه بالأدلة التي أظهرها لهم في الكوكب والقمر والشمس ، وكان قد تقدم قبل ذلك قوله : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ﴾[1] فبين أنه لا أحد أظلم ممن ارتكب هاتين الخلتين وظهر أنهما المعني بهما في سورة الأنعام إبطالا بالحجة وتقريرا لمنزلتهما في المخالفة وإيضاحا للحق الذي هو مضاد لهما "[2] .

فتفسير الإمام الشاطبي – رحمه الله - للظلم بالشرك في هذه الآية مستفاد من سياق السورة وهو الكلام السابق واللاحق لآية الظلم .

قال ابن جزي – رحمه الله – وهو يبين أوجه الترجيح في التفسير: " السادس : أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ، ويدل عليه ما قبله وما بعده"[3].

1 ـ الأنعام / 21

2 – الموافقات ، ج 3 / ص 276 .

3 – التسهيل لعلوم التنزيل ، أبي القاسم بن أحمد بن جزي الكلبي المتوفى سنة741 هـ ، ت: محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1415 هـ / 1995م ، ج1 / ص13.

ومن الأمثلة التي تضرب لذلك :

أ- تفسير ابن كثير ـ رحمه الله ـ للإحصان في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾[1] بالتزويج معتمدا في ذلك على السياق – السابق من الكلام - فقال : " والأظهر ، والله أعلم أن المراد بالإحصان هاهنا : التزويج ؛ لأنّ سياق الآية يدل عليه، حيث يقول سبحانه : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ ﴾[2] والله أعلم . والآية الكريمة فالسياق كله في الفتيات المؤمنات ، فتعين أن المراد بقوله: ﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ ﴾ أي : تزوجن "[3] .

ب- تحديدهم زمن سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾[4]- بيوم القيامة معتمدين في ذلك على سابق هذه الآية ، يقول النسفي ـ رحمه الله ـ: " الجمهور على أن هذا السؤال يكون في يوم القيامة دليله سياق الآية وسباقها "[5]، يقصد - رحمه الله – قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ ﴾[6] ، وهذا الجمع إنما يكون يوم القيامة .

---

1 – النساء/ 25 .

2 – النساء/ 25 .

3 – تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 –774 هـ] ، سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية 1420هـ/ 1999 م ، ج 2 / ص262 .

4 – المائدة/ 116

5 – مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي توفي سنة : 537هـ ، دار النشر : دار النفائس ـ بيروت 2005 ، ت: مروان محمد الشعار ، ج1/ ص288 .

6 – المائدة/ 109

من خلال ما سبق ذكره من معانٍ للسياق نخلص إلى أن العلماء يعبرون عنه بتعريفين :

1- الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولا عليه بلفظ المتكلم، أوحاله، أو أحوال الكلام ، أو المتكلم فيه ، أو السامع [1].

2- هو التتابع والسرد الذي سيق الكلام على هيئته ووصفه في أسلوبه الذي بنيت جمله وعباراته عليه حتى أصبح سياقا من الكلام يتبع بعضه بعضا في نظمه الذي ورد الخطاب به " [2] .

يَرِدُ على التعريف الأول أن الغرض لا يمكن تحديده إلا بعد تتابع الكلام وتساوقه والذي يدل عليه لفظ المتكلم ، أو حاله ..

و يَرِدُ على التعريف الثاني أن بناء الكلام لا يتبين إلا بمعرفة الغرض الذي ورد الكلام لأجله .

ومن هنا يمكن أن نقف على تعريف جامع يتمثل في أن السياق هو : تتابع الكلام على غرض واحد يجمعه بدلائل القرائن اللفظية والحالية[3] .

1 - ينظر دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام (رسالة ماجيستر) ، فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي ، إشراف : د/ محمد بن عمر بازمول ، جامعة أم القرى ، سنة : 1426هـ/ 2005 م ، ص 27 .

2 - تعريف للدكتور عويد المطيرفي انظر المرجع نفسه ، ص 27 .

3 - سيأتي شرح هذا التعريف عند الحديث عن أركان السياق .

المطلب الخامس

دلالة السياق

بناء على ما سبق بيانه من تعريف الدلالة **وهي التلازم بين اللفظ والمعنى، بالنظر إما لقصد المتكلم ، أو فهم السامع** ، وتعريف السياق **بأنه** تتابع الكلام على **غرض واحد** يجمعه **بدلائل القرائن اللفظية والحالية ؛ يمكن أن نعرف** دلالة السياق إجمالا بأنّها :

القرائن تدّل على مراد المتكلم بالنظر إلى سابق الكلام ولاحقه [1] .

فالقرائن أو القرينة : تمثل مصطلح " **الدلالة** " الذي معناه التلازم بين الألفاظ والمعاني[2] .

وسابق الكلام ولاحقه : يمثل مصطلح " **السياق** " **الذي معناه تتابع الكلام** على غرض واحد .

1 - هذا التلازم بين اللفظ والمعنى الذي يدل عليه النظر في قصد المتكلم أو السامع ، عبّر عنه العلماء بالقرينة أو القرائن ، قال الزركشي ـ رحمه الله ـ في تعريفه لدلالة السياق : "هو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم" ينظر البرهان ، ج2 / ص200 .

2 - ينظر : الصفحة 5 .

المبحث الثاني

أركان السيـــاق وأنواعه

المطلب الأول

أركان السيـــاق

الرُكْنُ في اللغة : هو الجانب الأقوى [1] .

اصطلاحا : رُكْنُ الشَّيْءِ **مَا لَا وُجُودَ لِذَلِكَ** الشَّيْءِ **إلَّا بِهِ**[2] **كَالْقِيَامِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ** لِلصَّلَاةِ ، وكالجدران للبيت .

ومن خلال هذا التعريف يتبين أن ركن الشيء يكون من ماهيته ، لذلك جاء في المصباح المنير : أركان الشيء **أجزاء ماهيته**[3] ، وبالتالي فإنّ الحديث عن أركان السياق هو شرح لمفردات تعريفه ؛ والذي هو تتابع الكلام على غرض واحد يجمعه بدلائل القرائن اللفظية والحالية .

---

1 – قال أبو البقاء الكفومي : ركن الشيء جانبه الأقوى لغة قال تعالى : ﴿ أو آوى إلى ركن شديد ﴾ [هود : 80].

2 – كتاب الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ، عدد الأجزاء / 1 ، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – 1419هـ – 1998م ، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري ، ص 761 .

3 – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، المؤلف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي أبو العباس توفي نحو 720 هـ ، الناشر : المكتبة العلمية – بيروت ، ج 1 / ص237 .

يظهر من خلال هذا التعريف أن للسياق أربعة أركان هي : التتابع ، الغرض ، القرائن اللفظية ، والقرائن الحالية يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – " وَتَخْتَلِفُ دَلَالَتُهُ ـ أي الكلام ـ تَارَةً بِحَسَبِ اللَّفْظِ الْمُفْرَدِ، وَتَارَةً بِحَسَبِ التَّأْلِيفِ، وَكَثِيرٌ مِنْ وُجُوهِ اخْتِلَافِهِ قَدْ لَا يَبِينُ بِنَفْسِ اللَّفْظِ، بَلْ يُرَاجَعُ فِيهِ إلَى قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ، وَقَدْ يَظْهَرُ قَصْدُهُ بدلالة الحال "[1].

الركن الأول : التتابع

أصل التتابع في اللغة من "تَبِـعَ" قال الجوهري ـ رحمه الله ـ : "تَبِعْتُ القومَ تَبعاً وَتباعَةً بالفتح ، إذا مَشيت خلفهم ، أو مَرّوا بك فمضيتَ معهم ؛ وكذلك اتَّبَعْتُهم . وأَتْبَعْتُ القومَ ، إذا كانوا قد سبقوك فلحِقتَهم "[2].

الملاحظ من كلام الجوهري ـ رحمه الله ـ هنا أنه فرق بين "تَبِـعَ" و "أُتبَعَ" فجعل الأولى تدل على القَفْو ، والثانية تدل على التُّلُوِّ واللُّحوق ، مع أن أصل الكلمة واحد .

قال ابن فارس ـ رحمه الله ـ : " (تبع) التاء والباء والعين أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيءٌ ، وهو التُّلُو والقَفْو. يقال تَبِعْتُ فلاناً إذا تَلَوْتَه واتّبعْتَه . وأَتْبَعْتُهُ إذا لَحِقْتُه . والأصل واحد ، غير أنَّهم فَرَقوا بين القَفْو واللُّحُوق فغيَّرُوا البناءَ أدنى تغييرٍ ، قال الله

---

1 – الفتاوى الكبرى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : 728هـ) ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا – مصطفى عبدالقادر عطا ، الناشر : دار الكتب العلمية الطبعة : الطبعة الأولى 1408هـ – 1987م ، ج6/ ص123 .

2 – الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ) ، دار العلم للملايين- بيروت ، الطبعة : الرابعة- يناير 1990 ، ج4 / ص325 .

تعالى : ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾[1] ، وقال : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾[2] فهذا معناه على هذه القراءة اللحوق ، ومن أهل العربيّة مَن يجعل المعنى فيهما واحدًا "[3] .

من خلال هذا الطرح اللغوي يتبين لنا أن التتابع يتألف من ركنين يقوم عليهما ، كما كان السجود في الصلاة ركنا يقوم على أركان هي أعضاؤه السبعة ، ويتمثل هذان الركنان في السباق واللحاق .

أ- السباق : وهو ما عبره عنه ابن فارس ـ رحمه الله ـ بـ " القَفْو " ، وأصله في اللغة من "سَبَق" .

قال ابن فارس ـ رحمه الله ـ : " السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدل على التقديم . يقال سَبَقَ يَسْبِقُ سَبْقاً "[4] .

وجاء في لسان العرب : " السَّبْق القُدْمَةُ في الجَرْي وفي كل شيء .. والسَّبْقُ مصدر سَبَقَ وقد سَبَقَه يَسْبُقه ويَسْبِقُه سَبْقاً تقدَّمه "[5] .

فالتقدم على الشيء هو المعنى اللغوي لكلمة السباق .

اصطلاحا : هو ما يتقدم الكلام من معان ليبين ما بعده .

---

1 – الكهف / 89 .

2 – الكهف / 92 .

3 – مقاييس اللغة ، ج1/ ص362.

4 – المصدر نفسه ، ج 3/ ص129 .

5 – لسان العرب ، ج 10 / ص151 .

وقد سبق وأن مثلنا لهذا الركن في حديثنا عن مفهوم السياق ، إلا أننا نَزيده بيانا ووضوحا بمثال آخر يتمثل فيما ذكره الإمام الطبراني عن يُسَيْع الحضرمي قال : كنت عند علي بن أبي طالب ـ رضوان الله عليه ـ ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، أرأيت قول الله : ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ [1] ، وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون . قال له عليّ رضي الله عنه: ادْنه ، ادْنه ! ثم قال: ﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾[2] ، يوم القيامة[3] .

فدحضُ وإبطال حجج الكافرين – العقلية والشرعية – التي يستظهرون بها على المؤمنين إنما يكون ذلك يوم القيامة بدلالة السباق وهو قوله تعالى : ﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ ﴾[4] .

ب- اللّحاق

اللّحاق في اللغة : قال ابن منظور ـ رحمه الله ـ : " اللَّحْقُ واللُّحوق والإلحاقُ الإدراك . لَحِقَ الشيءَ وألْحَقَهُ وكذلك لَحِقَ به وألْحَقَ لَحاقًا بالفتح أي أدركه.. وتَلاحَقَ القومُ أدرك بعضهم بعضًا وتلاحَقَت الركاب والمطايا أي لَحِقَ بعضُها بعضًا " [5].

---

1 – النساء / 141 .

2 – النساء / 141 .

3 – جامع البيان في تأويل القرآن ، المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، [224 – 310 هـ] ، المحقق : أحمد محمد شاكر ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ – 2000 م ، عدد الأجزاء : 24 ، ج 9 / ص 327 .

4 – النساء / 141 .

5 – لسان العرب ، ج10 / ص 327 .

وقد يطلق اللِّحاق على التتابع كقولك لَحِقْتَ فلانا إذا تَبِعْته ، قال الزبيدي – رحمه الله - : " وتلاحقت الأخبار : تتابعت ، وكذا أحوال القوم . واللاحِقَةُ : الثَّمَرُ بعدَ الثَّمر الأول والجمع لَواحِق . وأبو مِجْلَز لاحِقُ بنُ حُمَيد السّدوسيّ : تابِعيّ "[1] .

اصطلاحا : اللحاق هو ما يتبع الكلام من معان ليبين ما قبله .

وأمثلة هذا الركن كثيرة منها :

(أ) تفسير " المعروف " بالقرض في قوله تعالى : ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾[2] .

قال ابن جرير – رحمه الله – : " ثم اختلف أهل التأويل في"المعروف" الذي أذن الله جل ثناؤه لولاة أموالهم أكلها به ، إذا كانوا أهل فقر وحاجة إليها ، فقال بعضهم : ذلك هو القرض يستقرضه من ماله ثم يقضيه.. عن محمد بن سيرين قال ، سألت عبيدة عن قوله : ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ ﴾[3] ، قال : إنما هو قرض ، ألا ترى أنه قال : ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[4] "[5] .

---

1 – تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي ، دار الهداية ، ج26 / ص353 .

2 – النساء / 9 .

3 – النساء / 9 .

4 – النساء / 9 .

5 – تفسير الطبري ، ج7 ص582 .

(ب) تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ (1) بأنه خلق آدم وتصويره .

قال ابن جرير – رحمه الله – بعد عرضه لجملة من الأقوال التي جاءت تفسيرا لهذه الآية منها :

- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ في ظهر آدم أيها الناس ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ في أرحام النساء خلقًا مخلوقًا ومثالا ممثلا في صورة آدم.
- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ في أصلاب آبائكم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ ، في بطون أمهاتكم.
- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ يعني آدم ، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ يعني في ظهره(2).

ثم قال – رحمه الله - : " وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ ، ولقد خلقنا آدم ، ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ بتصويرنا آدم ، كما قد بينا .. وإنّما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، لأن الذي يتلو ذلك قوله: ﴿ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ ، ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم ، قبل أن يصور ذريته في بطون أمهاتهم ، بل قبل أن يخلُق أمهاتهم "(3).

---

1 – الأعراف / 11.

2 – تفسير الطبري ، ج12 ص317 / 320 .

3 – المصدر نفسه ، ج12 ص320 ، 321 .

إنّما رجح ابن جرير ـ رحمه الله ـ هذا القول على غيره لدلالة اللّحاق عليه وهو قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ ﴾[1] ؛ **لأنّ الأمر بالسجود كان قبل أن** يصور الله ذريته في بطون أمهاتهم ، بل وقبل خَلقِ أمهاتهم .

الركن الثاني : الغرض

يُعدّ الغرض ركنا من أهم الأركان التي يبنى عليها السياق ، والعلماء يُعبرون **عن الغرض بمراد المتكلم أو مقصوده .**

يقول السعدي – رحمه الله - : " وقد كثرت تفاسير الأئمة – رحمهم الله – لكتاب الله ، فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود ، ومن مقصر يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد ، وكان الذي ينبغي في ذلك ، أن يجعل المعنى هو المقصود واللفظ وسيلة إليه ، فينظر في **سياق الكلام وما سيق لأجله** "[2].

نستفيد من كلام السعدي – رحمه الله – أن الناس في فهم كلام الله تعالى على طرفي نقيض ؛ مطولٍ خرج عن مقصود ألفاظ الكلام ، ومقصرٍ قطع النظر عن مراد المتكلم ، وكان الأولى أن يجعل الألفاظ وسيلة إلى الغرض المقصود .

---

1 – الأعراف / 11.

2 – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، ت : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : 1 ، السنة : 1420هـ –2000 م ، ، ص 29 / 30 .

وفي هذا الصّدد ، يقول ابن القيم - رحمه الله - : " وَالتّعْويل في الحُكم على قصْدِ المتكلم ، وَالألفاظ لَمْ تُقْصَدْ لِنَفسِهَا وَإنّمَا هِي مَقْصُودَةٌ للمعانِي ، وَالتوصُّل بها إلى معرفة مُرَادِ المتكلم "[1] .

وقال ـ أيضا ـ : " فمن عرف مُراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب اتباع مراده، والألفاظ لم تقصد لذواتها ، وإنّما هي أدلّة يستدل بها على مراد المتكلم ، فإذا ظهر مراده ووَضَحَ بأي طريق كان عمل بمقتضاه ، سواء كان بإشارة ، أو كتابة ، أو بإيماءة أو دلالة عقلية ، أو قرينة حالية ، أو عادة له مُطرِدة لا يخل بها ، أو من مقتضى كماله وكمال أسمائه وصفاته وأنّه يمتنع منه إرادة ما هو معلوم الفساد وترك إرادة ما هو متيقن مصلحته ، وأنّه يستدل على إرادته للنّظير بإرادة نظيرِه ومثله وشبهه، وعلى كراهة الشيء بكراهة مثله ونظيره ومشبّهه ، فيقطع العارف به وبحكمته وأوصافه على أنّه يريد هذا ويكره هذا ، ويحب هذا ويبغض هذا " [2] .

وإذا تقرر هذا فلا ينبغي العدول عن الغرض في تفسير القرآن الكريم ؛ لأن العدول عنه يؤدي لا محالة إلى الزلل والغلط في فهم كلام الله .

ولقد ضرب ابن القيم – رحمه الله - لذلك مثالا فقال : " وَقَوْلُه : ((الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ))[3] الْبَيِّنَةُ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ اسْمٌ لِكُلِّ مَا يُبَيِّنُ الْحَقَّ فَهِيَ أَعَمُّ مِنْ الْبَيِّنَةِ فِي اصْطِلَاحِ الْفُقَهَاءِ ، حَيْثُ خَصُّوهَا بِالشَّاهِدَيْنِ أَوْ

---

1 – إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار النشر : دار الجيل – بيروت ، 1973 ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، عدد الأجزاء : 4 ، ج 1 / ص217 .

2 – المصدر نفسه ، ج 1 / 218 .

3 – رواه الترمذي ، ج5 / 324 . قال الألباني : صحيح . انظر إرواء الغليل ، ج6 / ص 357 .

الشاهد واليمين ، ولا حجر في الاصطلاح ما لم يتضمن حمل كلام الله ورسوله عليه فيقع بذلك الغلط في فهم النصوص وحملها على غير مراد المتكلم منها وقد حصل بذلك للمتأخرين أغلاط شديدة في فهم النصوص ، ونذكر من ذلك مثالا واحدًا ، وهو ما نحن فيه لفظ البينة فإنها في كتاب الله اسم لكل ما يبين الحق كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ ﴾[2]، وقال : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾[3] ، وقال : ﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ ﴾[4] ، وقال : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[5] ، وقال : ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ﴾[6] ، وقال : ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[7] ، وهذا كثير لم يختص لفظ البينة بالشاهدين ، بل ولا استعمل في الكتاب فيهما البتة . إذا عرف هذا فقول النبي ﷺ للمدعي : ((ألك بينة)) وقول عمر رضي الله عنه : « البينة على المدعي » وإن كان هذا قد روي مرفوعًا المراد به ألك ما يبين الحق من شهود أو دلالة ، فإن الشارع في جميع المواضع يقصد ظهور الحق بما يمكن ظهوره به

---

1 – الحديد/ 25 .

2 – النحل/ 44، 43 .

3 – ٱلْبَيِّنَة/ 4 .

4 – الأنعام/ 57 .

5 – هود/ 17 .

6 – فاطر/ 40 .

7 – طه/ 133 .

مِنْ ٱلْبَيِّنَاتِ ٱلَّتِي هِيَ أَدِلَّةٌ عَلَيْهِ وَشَوَاهِدُ لَهُ ، وَلَا يَرُدُّ حقًا قَدْ ظَهَرَ بِدَلِيلِهِ أَبَدًا فَيُضَيِّعُ حُقُوقَ اللهِ وَعِبَادِهِ وَيُعَطِّلُهَا (1) .

فتفسير ابن القيم ـ رحمه الله للبَيِّنَة في قوله ﷺ : ((الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي)) بأنها اسم جامع لكل ما يبين الحق ، استفاده – رحمه الله – من الغرض العام لهذه الكلمة في القرآن الكريم ، ومن هنا يتبين لنا أهمية الغرض في فهم كلام الله عز وجل ، وهذا ما تقرر لدى الكثير من المفسرين ، كابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ وغيره .

الركن الثالث : القرائن .

القرائن جمع قرينة وهي في اللغة: فعيلة ، بمعنى المفاعلة ، مأخوذ من المقارنة، وفي الاصطلاح : أمر يشير إلى المطلوب . وهي إما حالية ، أو معنوية ، أو لفظية ، نحو: ضرب موسى عيسى ، وضرب من في الغار من على السطح ، فإن الإعراب منتفٍ فيه بخلاف : ضربت موسى حبلى ، وأكل موسى الكمثرى ، فإن في الأول قرينة لفظية ، وفي الثانية قرينة حالية(2).

فيتبين من خلال هذا التعريف أن القرائن قسمان : لفظية ، وحالية وهو ما أشرنا إليه في تعريفنا للسياق .

❖ القرائن اللفظية : إنّ الحديث عن القرائن اللفظية يدفعنا إلى الحديث عن أمور ثلاثة : المفردات ، هيئة الكلمة ، النظر في نظم الجملة الواحدة ، ثم النظر في نظم الجمل وعلاقاتها ببعضها البعض (3).

---

1 – إعلام الموقعين ، ج1 / ص 90 .

2 – التعريفات ، ج1 / ص223 .

3 – ينظر دلالة السياق في توجيه المتشابه ، ص36 .

1) المفردات : قبل الحديث عن المفردة وخصائصها ، لابد أن أشير أولا إلى أن العلماء اختلفوا في مسألة الحكم على الكلمة المفردة ، أو الخارجة عن السياق بالفصاحة وعدمها على فريقين:

الفريق الأول : جرَّد الكلمة المفردة عن المعنى والسبب في ذلك أن الكلمة خارج السياق لا تعني شيئا محددا أو لا تعني شيئا البتة .

ويعدُّ عبد القاهر الجرجاني ـ رحمه الله ـ [1]من أبرز القائلين بهذا والمقررين له ، حيث قال : " وهَلْ يقع في وَهْمٍ وإن جَهَدَ أن تتفاضَلَ الكلمتان المفردتان مِنْ غيرِ أن ينظُر إلى مكانٍ تقعان فيه منَ التأليف والنظمِ بأكثَر من أن تكونَ هذه مألوفةً مستعملةً وتلك غريبةً وحشيةً ، أو أن تكونَ حروفُ هذه أخفَّ وامتزاجُها أحسنَ ومما يَكُدُّ اللسانَ أبعَدَ ، وهل تجدُ أحداً يقولُ : هذه اللفظةُ فصيحةٌ إلا وهو يعتبرُ مكانَها منَ النظم وحسنَ مُلائمةِ معناها لمعنى جاراتِها وفضلَ مؤانَستها لأخواتها وهل قالوا : لفظةٌ متمكّنةٌ ومقبولةٌ وفي خلافِهِ : قلقةٌ ونابيةٌ ومستكرهةٌ إلا وغرضُهم أن يُعبروا بالتمكّن عن حسنِ الاتفاقِ بينَ هذه وتلك من جهةِ معناهُما وبالقلقِ والنّبو عن سوء التلاؤم . وأنّ الأولى لم تَلِقْ بالثانية في مَعناها وأن السابقَةَ لم تصلُحْ أن تكونَ لِفقًا للتالية في مُؤدَّاها "[2] .

---

1 – عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي الإمام المشهور أبو بكر . أخذ النحو عن ابن أخت الفارسي ، ولم يأخذ عن غيره لأنه لم يخرج عن بلده ؛ وكان من كبار أئمة العربية والبيان ، شافعيا ، أشعريا . صنّف المغني في شرح الإيضاح ، المقتصد في شرحه ، إعجاز القرآن الكبير والصغير ، الجمل ، العوامل المائة ، العمدة في التصريف ، وغير ذلك . مات سنة إحدى – وقيل أربع – وسبعين وأربعمائة ((471 / 474 هـ)) ، ينظر بغية الوعاة ، ج 2/ ص106 .

2 – دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1995، تحقيق: د.محمد التنجي ، ص 52/ 53 .

فمعنى كلامه – رحمه الله - أنّ الكلمة المفردة ليس لها أي أثر في كون الكلام بليغا أو غير بليغ ، إنما الأثر في مجموع ما يدلُّ عليه النظم ، وشكل النظم ليس هو المؤثر وحده وإنما تساوق المعاني وتلاقي الألفاظ فيتكون هذا المعنى المؤثر [1] .

ثم إنّه أكد هذا الرأي مستدلا في ذلك على أن الكلمة لا تكون فصيحة ومقبولة في جميع المواضع بل قد يحسن استعمالها في موضع ، ولا يحسن في موضع آخر ولو كانت فصيحة لحسن استعمالها في جميع المواضع ، قال – رحمه الله - : " فقد اتَّضح إذاً اتضاحاً لا يدعُ للشكِّ مجالاً أنَّ الألفاظَ لا تتفاضَلُ من حيث هي ألفاظٌ مجرَّدةٌ ولا من حيثُ هي كلمٌ مفردةٌ ،وأن الألفاظَ تَثْبُتُ لها الفضيلةُ وخلافُها في ملائمةِ معنى اللفظةِ لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلُّق له بصريحِ اللفظ ،وممَّا يشهدُ لذلك أنك تَرى الكلمةَ تروقُك وتُؤنسك في موضعٍ ثم تَراها بعينِها تثقلُ عليكَ وتُوحشكَ في موضعٍ آخَرَ"[2] .

الفريق الثاني : يرى أصحابه أن للكلمة المفردة مكانتها وقيمتها الفنية والجمالية ، وممن نحى هذا المنحى الباقلاني ـ رحمه الله ـ[3] حيث قال : " وأنت ترى الكلمة من

1 – ينظر المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، ص 72 .

2 – دلائل الإعجاز ، ص 54 .

3 – أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهورذكر صاحب "معجم المؤلفين" أنه ولد سنة ((338هـ)). وهو من أهل البصرة سافر إلى بغداد وسكن فيها ، سمع الحديث في بغداد من أبي بكر بن مالك القطيعي وأبي محمد بن ماسي، وأبي أحمد الحسين بن علي النيسابوري، وأخذ علم الكلام عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهد الطائي صاحب الأشعري، وأخذ عنه أئمة منهم أبو ذر الهروي وأبو عمران الفاسي والقاضي أبو محمد بن نصر توفي سنة 403 .ينظر الأعلام ج6/ ص176،

القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير ، وهي غرة جميعه ، وواسطة عِقده، والمنادى على نفسه بتميزه وتخصصه برونقه وجماله واعتراضه في حسنه ومائه"[1] .

قال د/ محمد سعد : " وأنت إذا ما نظرت في مفردات البيان القرآني في جميع آياته ألفيت أنها مفردات قد عصمت من أن يكون في شيء منها أدنى شائبة من تلك المعابات فهي مفردات في ذروة فصاحة بيان العربية لا يقال ذلك تَدَيُّنًا فحسب بل نقوله تَدَيُّنًا أيدَهُ الفحصُ العلمي ممن آمن بهذا الكتاب المجيد وممن لم يؤمن به ممن عرف العربية وذاقها "[2]

وإن المتأمل والمدقق في كلام كل فريق يدرك أنه ليس ثمة فرق بينهما ؛ إذ كل ما في الأمر أن الأول لا ينظر إلى الجزء وهو الكلمة ، بل ينظر إلى المجموع المؤتلف ، وأما الثاني فينظر إلى الأجزاء وإلى المجموع معا ولا يرى ببلاغة المجموع إلا إذا انتهى إلى ألحان مؤتلفة ، من حروف في كلمات مؤتلفة ، وكلمات في أسلوب مؤتلف في نغماته وتناسق بيانه [3].

من هنا أدرك العلماء أهمية المفردة في فهم الكلام يقول الدكتور محمد حسنين أبو موسى: " والنظر في مفردات النص الأدبي من أوجب ما يجب على مفسره ودارسه؛ لأنّها مفتاح النص وزمام ما فيه من دقيق المعاني وخفي الإشارات "[4] .

---

1 – إعجاز القرآن،الباقلاني ،ت السيد أحمد صقر ، الطبعة 3 ،دار المعارف بمصر – 1119 كورنيش النيل– القاهرة ، ج1/ ص 43

2 – شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية ، إعداد محمود توفيق محمد سعد ، أستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم، في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف ، شبين الكوم ، الطبعة : 1، السنة: 1422، ص 29 .

3 – المعجزة الكبرى ، ص 75 .

4 – البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، د. محمد حسنين أبو موسى ، دار النشر: دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص113 .

وقد أثبت العلماء للكلمة القرآنية خصائص ثلاث[1] وهي :

1- جمال وقْعها في السمع : يقـول مصطفى صادق الرّافعي : " لما قرئ عليهم القرآن ، رأوا حروفه في كلماته ، وكلماته في جمله ، ألحانا لغوية رائعة ؛ كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة ، قراءتها هي توقيعها فلم يفتهم هذا المعنى ، وأنه أمر لا قبل لهم به ، وكان ذلك أبين في عجزهم ؛ حتّى أن من عارضه منهم كمسيلمة جنح في خرافاته إلى ما حسبه نظما موسيقيا أو بابا منه وطوى عمّا وراء ذلك من التصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها ودقائق التركيب البياني كأنَّه فطن إلى أن الصدمة الأولى للنفس العربية ، إنما هي في أوزان الكلمات وأجراس حروف دون ما عداها "[2] .

2- اتساقها الكامل مع المعنى : يقـول شيـخ الإسـلام ابـن تيميـة – رحمه الله - : " أكثر المحققين من علماء العربية والبيان يثبتون المناسبة بين الألفاظ والمعاني "[3] .

3- اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى : يقول د/ محمد سعد : " والكلمةُ القرْآنيةُ ذات أبعاد عدة لكل بُعْدٍ منها رافِدٌ من روافِد الدلالة على معاني الهدى إلى الصراط المستقيم الذي جاء القرآن الكريم لتحقيقه لها بعد صوتي تنغيمي ، وبعد هيئة وصيغة . وبعد أصل لغوي تكونت منه ، وبعد موقع وقعت فيه بدوائره المتعددة "[4].

1 – ينظر التعبير الفني في القرآن ، بكري شيخ أمين ، دار الملايين بيروت ، لبنان ، الطبعة : السادسة ، سنة : 2001 ، ص183 .

2 – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2005م ، ص 148 .

3 – مجموع الفتاوى ، ج 20 / ص 418 .

4 – شذرات الذهب ، ص 34 .

ومما يدل على هذه الخاصيّة : أنه لا يمكن استبدال المفردة القرآنية بمفردة أخرى وإن كانت في معناها يقـول ابن عطية الأندلسي ـ رحمه الله ـ[1] في مقدمة تفسيره: " كتاب الله لو نزعت منه لفظة ، ثم أُدير لسان العربِ في أن يوجـد أحسن منها لم يوجـد "[2] .

والأمثلة التي تضرب لذلك كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[3] .

يقول الشيخ بكر أمين : " جرّب أن تبدل المفردة القرآنية وتحلّ محلها لفظة (تثاقلتم) ألا تحس شيئا من الخفّة والسرعة والنشاط أوحت به تثاقلتم بسبب رصف حروفها ، وزوال الشدة وسبق التاء ، إذا فالبلاغة تتم في استعمال (اثاقلتم) للمعنى المراد ولا تكون في (تثاقلتم) "[4] .

2) هيئة الكلمة : بمعرفة تصريفها واشتقاقها يقول التفتزاني ـ رحمه الله ـ : " هيئة الكلمة هي كيفية حاصلة لها باعتبار الحركات والسكنات ، فنحو ضرب وقتل على هيئة واحدة مع اختلاف الحروف بخلاف ضرب وضُرب مبنيين للفاعل والمفعول ، فإنهما على هيئتين مع اتحاد الحروف ، وفي ترتيبها أي تقديم بعض الحروف على بعض وتأخيره عنه ، وبه يخرج نحو الفتح والحتف "[5] .

1 - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام بن عطية المحاربي من محارب قيس ، الغرناطي ، ولد سنة : 481 هـ ، مفسر فقيه ، أندلسي ، من أهل غرناطة ، عارف بالأحكام والحديث ، له شعر ، ولي قضاء المرية ، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين ، توفي بالورقة سنة 541 هـ وقيل 545 هـ . ينظر الأعلام ، ج 3/ ص282 .

2 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف : ابن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان – 1413هـ ـ 1993م الطبعة : الأولى ، ج1 / ص49 .

3 - التوبة/ 38

4 – التعبير الفني في القرآن ، ص 188 .

5 – مختصر المعاني ، سعد الدين التفتزاني ((722هـ/ 792)) ، دار الفكر ، الطبعة : الأولى ، السنة : 1411هـ، ج1 / ص272 .

ولقد كان لعلماء التفسير اهتمام بالغ بهيئة الكلمة في توجيه المعنى ، أو ترجيح أحد الأقوال على الأخرى يقول الإمام الزركشي ـ رحمه الله ـ : " وعلى الناظر في كتاب الله الكاشف عن أسراره النظر في هيئة الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأ أو خبرا أو فاعلة أو مفعولة أو في مبادئ الكلام أو في جواب إلى غير ذلك من تعريف أو تنكير أو جمع قلة أو كثرة إلى غير ذلك "[1].

ومن الأمثلة التي توضح أهمية الرجوع إلى هيئات المفردات في توجيه المعاني قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾[2] .

فإنّ هذه الآية تتعارض ظاهرا مع قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾[3] .

لأنّ ردّ التحية بأحسن منها وإن كان مستحبا في حقّ العباد إلاّ أنه يتأكد في حقّ الأنبياء ، فكيف نوجه رد إبراهيم عليه السلام لتحية الملائكة .

الجواب عن هذا بالرجوع إلى هيئة كل كلمة : فقول الملائكة ﴿ سَلَـٰمًا ﴾[4] يعني نسلم سلاماً ، وهو جملة فعلية تدل على التجدد والحدوث ، وقول إبراهيم عليه السلام : ﴿

---

1 – البرهان في علوم القرآن ، ج1 / ص 302 .

2 – هـود/ 69 .

3 – النساء / 89 .

4 – هود / 69 .

سَلَٰمٌ ﴾[1] جملة اسمية تدل على الثبوت والاستمرار ، ومن هنا كان سلامُ إبراهيم عليه السلام أبلغ من سلامِ الملائكة[2] .

3) النظر في نظم الجملة الواحدة ، ثم النظر في نظم الجمل وعلاقاتها ببعضها البعض : وتتجلى هذه النظرة من خلال التعامل مع القرآن الكريم على أنه وحدة متكاملة يبين بعضه بعضا أو على أنه " لفظة واحدة وخبر واحد موصول بعضه ببعض ومضاف بعضه إلى بعض ومبني بعضه عل ى بعض ".

قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ : " والحديث والقرآن كله كالفظة الواحدة ، فلا يحكم بآية دون أخرى ، ولا بحديث دون آخر ، بل يضم كل ذلك بعضه إلى بعض ، إذ ليس بعض ذلك أولى بالإتباع من بعض ، ومن فعل غير هذا فقد تحكم بلا دليل "[3] .

فبعد تبين معنى المفردة ودلالة هيئتها ، ثم ما يكون بعد ذلك من تحديد علاقات المفردات في الجملة ، وعلاقات الجمل ببعضها ، يمكن بعد هذا كله أن تتبين دلالة الألفاظ على المعاني ، وهذا وجه من وجوه بلاغة القرآن الكريم .

يقول د/ محمد سعد : " ولكنّ البلاغة العَلّية المعجزة المُبْلِسَة العالمين أجمعين قائمة في علاقات الجمل ببعضها في سياق الآية وعلاقات الآيات ببعضها في سياق المعقد

---

1 – هود: 69 .

2 – ينظر شرح رياض الصالحين ، محمد بن صالح العثيمين ، دار العقيدة للتراث ، الطبعة الأولى ، 1423 هـ / 2002 م ، ج1 / ص 468 .

3 – الإحكام في أصول الأحكام ، ج3/ ص371 .

وعلاقات المعاقد ببعضها في سياق السورة وعلاقات السور ببعضها في السياق الكلّي للمعنى القرآنِيّ الكريم "[1] .

❖ القرائن الحالية :

نقل الإمام الزركشي عن الإمام القفال الشاشي ـ رحمهما الله ـ قوله : " قد يقترن بالخطاب من دلالة الحال ما يقف به السامع على مراد الخطاب "[2] .

ويمكن أن نجمل هذه القرائن الحالية فيما يلي :

1- معرفة حال المتكلم .
2- معرفة حال السامع .
3- معرفة حال المتكلم عنه .

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله - : " علم المعاني والبيان الذي يُعرف به إعجاز نظم القرآن فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب ، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال : حال المخاطب من جهة نفس الخطاب أو المخاطِب أو المخاطَب أو الجميع ؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك ، كالاستفهام لفظه واحد ويدخله معان أخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك ، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها "[3] .

---

1 – الإمَامُ البِقَاعِيّ جهادُه ومنهاجُ تأوِيله بلاغة القرْآن الكَرِيم ، محمود توفيق محمد سعد أستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف شبين الكوم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة : 1424هـ ، ص 192 .

2 – البحر المحيط في أصول الفقه ، ج 2 / ص207 .

3 – الموافقات ، ج3 / ص347 .

أولا : معرفة حال المتكلم

يقول أبو الحسين البصري ـ رحمه الله ـ : " واعلم أن كل خطاب فإنه لا بد في الاستدلال به من اعتبار حال المتكلم به ألا ترى أنا نعتبر حكمته وإنما أردنا الأحوال التي لها نعدل بالخطاب من معنى إلى معنى مع كونه مترددا بينهما "[1] .

وقال الإمام الغزالي – رحمه الله - : " إنَّ قَصْدَ الِاسْتِغْرَاقِ يُعْلَمُ بِعِلْمٍ ضَرُورِيٍّ يَحْصُلُ عَنْ قَرَائِنِ أَحْوَالٍ ، وَرُمُوزٍ ، وَإِشَارَاتٍ ، وَحَرَكَاتٍ مِنْ الْمُتَكَلِّمِ ، وَتَغَيُّرَاتٍ فِي وَجْهِهِ ، وَأُمُورٍ مَعْلُومَةٍ مِنْ عَادَتِهِ وَمَقَاصِدِهِ ، وَقَرَائِنَ مُخْتَلِفَةٍ لَا يُمْكِنُ حَصْرُهَا فِي جِنْسٍ ، وَلَا ضَبْطُهَا بِوَصْفٍ ، بَلْ هِيَ كَالْقَرَائِنِ الَّتِي يُعْلَمُ بِهَا خَجَلُ الْخَجِلِ ، وَوَجَلُ الْوَجِلِ ، وَجُبْنُ الْجَبَانِ وَكَمَا يُعْلَمُ قَصْدُ الْمُتَكَلِّمِ إذَا قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَنَّهُ يُرِيدُ التَّحِيَّةَ أَوْ الِاسْتِهْزَاءَ ، وَاللَّهْوَ " [2] .

فكل ما يصدر عن المتكلم أثناء كلامه من إشارات ورموز وحركات وتغيرات في وجهه أدلة تبين مراد المتكلم وتظهر قصده من كلامه دون أن تكون تابعة للفظه .

يقول الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله - : " الواجب للإنسان أن ينظر إلى اللفظ وينظر إلى قرائنه المختصة به ، من حال المتكلم به والمخاطب والمنزل عليه وما أشبه ذلك ، وهذا شيء معروف لكل أحد ، بل إن الكلام يختلف حتى في نبرات المتكلم ؛ فلو تكلم

---

1 - المعتمد في أصول الفقه ، محمد بن علي بن الطيب البصري أبو الحسين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1403 ، تحقيق : خليل الميس ، عدد الأجزاء : 2 ، ج 2 / ص 346 .

2 - المستصفى في علم الأصول ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ـ الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري الملقب بحجة الإسلام وزين الدين (450 هـ / 505هـ) مجدد القرن الخامس هجري ، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء الدين في التاريخ الإسلامي ـ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1413 ، تحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي ، ص228 .

مثلاً بعنف واحمرار عين وانتفاخ أوداج وانتشار شعر فليس كمن تكلم بهدوء ، فالأول كأنما يرمي بشرر والثاني ليس كذلك"[1].

ومن هنا رجح المفسرون بعض الأقوال على غيرها ، انطلاقا من معرفتهم بمراد الله تعالى ، وما يفعله من حكمته ورحمته وقدرته وسلطانه .

يقول د/ محمد سعد بعد أن حمل معنى قوله تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ ﴾ الإسراء/ 97. على الحقيقة لا على المجاز مستدلا بقول رسول الله ﷺ : « إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، أما إنهم يتقون بوجوههم كلّ حدبٍ وشوك »[2] : " فدلَّ هذا دلالة ظاهرة قاهرة على أن ما كان من هذا الباب ونحوه يحمل على الحقيقة ، فهو من عالم الغيب أولاً ، والفاعل هو الله القادر – عز وجل – فلا مجال البتة لتحكيم أعراف العقل والعادة ، بل منطق العلم يقضِي باستحضار جلال الله وكماله "[3].

وقال ـ أيضا ـ : " وهذا الذي أقوله - أيضًا - ليس إنكارًا للقول بالمجاز في بيان القرآن الكريم بل هو إنكار للتساهل في القول به في كل ما يحسب إمكان القول به في بيان القرآن الكريم دون تحقيق لما يقتضيه حال المتكلم به من كماله في ذاته وصفاته وأفعاله

---

1 – شرح مقدمة التفسير شيخ الإسلام بن تيمية ، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، إعداد وتقديم الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ، 1415 هـ/ 1995م ، ص 97 .

2 – رواه بهذه الزيادة " أما إنهم يتقون بوجوههم كلّ حدبٍ " عن أبي هريرة : الإمام أحمد في المسند (2 / 354 ، رقم 8632) ، والترمذي (5/ 305 ، رقم 3142) وقال : حسن . وضعفه الألباني في ضعيف الجامع تحت رقم:6417 . وهو بغير هذه الزيادة في الصحيحين البخارى (4/ 1784 ، رقم 4482) ، ومسلم (4/ 2161 ، رقم 2806) عن أنس بن مالك .

3 – العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة، د/ محمود توفيق محمد سعد ،أستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف شبين الكوم ، الطبعة 1: 142ه ، ص187 .

ودون تحقيق لما بين بيان الحق – جل جلاله – وبيان الخلق من تفاوت لا يحاط ، ودون تحقيق لما يقتضيه حال المعنى والغرض المنصوب له البيان"[1] .

ثانيا : حال السامع (المخاطَب)

لا تقل أهميته عن حال المتكلم ، قال ابن تيمية – رحمه الله - : " وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ لُغَةَ الصَّحَابَةِ الَّتِي كَانُوا يَتَخَاطَبُونَ بِهَا وَيُخَاطِبُهُمْ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ وَعَادَتَهُمْ فِي الْكَلَامِ وَإِلَّا حَرَّفَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ " [2] .

ومما يوضح أهمية المستمع ضمن الحدث الكلامي أمور كثيرة منها:

- أن مراعاة حال المخاطب دليل على بلاغة الكلام : قال د/الدكتور محمد حسين الذهبي وهو يفند إنكار الشاطبي – رحمه الله - للتفسير العلمي بأدلة كثيرة منها :" ثانياً – الناحية البلاغية : عُرِّفت البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ومعلوم أن القرآن في أعلى درجات البلاغة ، فإذا نحن ذهبنا مذهب أرباب التفسير العلمي وقلنا بأن القرآن متضمن لكل العلوم ، وألفاظه متحملة لهذه المعاني المستحدّثة ، لأوقعنا أنفسنا في ورطة لا خلاص لنا منها إلا بما يخدش بلاغة القرآن ، أو يذهب بفطانة العرب ، وذلك لأن مَن خوطبوا بالقرآن في وقت نزوله إن كانوا يجهلون هذه المعاني وكان الله يريدها من خطابه إياهم لزم على ذلك أن يكون القرآن غير بليغ ، لأنه لم يراع حال المخاطب وهذا سلب لأهم خصائص القرآن الكريم . وإن كانوا يعرفون هذه المعاني فلِمَ لَمْ تظهر نهضة العرب العلمية من لدن نزول القرآن الذي حوى علوم الأولين

---

1 – العزفُ على أنوار الذِّكر ، ص187 .

2 – مجمع الفتاوى ، ج1 / 343 .

والآخرين؟. ولِمَ لَمْ تقم نهضتهم على هذه الآيات الشارحة لمختلف العلوم وسائر الفنون ؟ .. وهذا أيضاً سلب لأهم خصائص العرب ومميزاتهم "[1].

- من أهم مميزات تفسير الصحابة أنهم رعوا حال المخاطب به : يقول الشيخ صالح آل الشيخ – حفظه الله - : " ومن مصادر التفسير عند الصحابة رضوان الله عليهم العلم بأحوال العرب ؛ لأنّ القرآن نزل يُفصل أحوال الناس ؛ ففيه حديث عن العرب فيه حديث عن مشركي العرب ، فيه حديث عن أهل الكتاب ، فيه حديث عن أنكحة العرب ، فيه حديث عن بيوع العرب فيه حديث عن علاقات القبائل بعضها ببعض ؛ وهكذا في أشياء شتى ، فالعلم بأحوال العرب وتاريخهم وقصصهم هذا يورث العلم بمعاني القرآن .. وعلى هذا فإنّ من لم يعلم أحوال العرب التي كانوا عليها في عقائدهم وفي دياناتهم وفي تعبداتهم وفي علاقاتهم الاجتماعية ، وفي تجاراتهم إلى آخر هذه الأحوال فإنّه لن يحسن التفسير "[2].

- ضرب المثل في القرآن الكريم دليل على مراعاة حال السامع :

يقول الزركشي – رحمه الله - : " ومن حكمته (ضرب المثل) تعليم البيان وهو من خصائص هذه الشريعة ، والمثل أعون شيء على البيان ، فإن قلت لماذا كان المثل عونا على البيان ، وحاصله قياس معنى بشيء من عرف ذلك المقيس فحقه الاستغناء عن شبيهه ، ومن لم يعرفه لم يحدث التشبيه عنده معرفة .

والجواب أنّ الحِكم والأمثال تصور المعاني تصوُر الأشخاص ، فإنّ الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس بخلاف المعاني المعقولة فإنها

---

1 – التفسير والمفسرون ، د / محمد حسين الذهبي،الناشر : مكتبة وهبة ، الطبعة : 7 ، سنة : 2000 ، ج 2 / ص360

2 – مناهج المفسرين ، من كتاب جامع الرسائل والدروس العلمية في العلم والدعوة والتربية ، رسائل ومحاضرات معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، اعتنى به : محمد بن ابراهيم الشّامي ، دار ابن حزم القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1431هـ / 2010م ، ص416 .

مجردة عن الحس ولذلك دقت ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجربا مسلما عند السامع "[1] .

- ما يكثر في القرآن الكريم من حذف وإضمار يدل عليه فهم السامع :

قال السيوطي – رحمه الله – : " وقد يدل عليه السياق (أي الضمير) ، فيضمر ثقة بفهم السامع نحو: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾، ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ ، أي : ما ترك على ظهرها أي الأرض أو الدنيا . ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ ﴾ ، أي: الميت ، ولم يتقدم له ذكر "[2].

وقال الزركشي – رحمه الله - : " وقد يحذف السؤال ثقة بفهم السامع بتقديره كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [3] فإنه لا يستقيم أن يكون السؤال والجواب من واحد فتعين أن يكون قل الله جواب سؤال ، كأنهم سألوا لما سمعوا من رسول الله ﷺ : " وهو يبدأ الخلق ثم يعيده " فأجابهم الله عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ فترك ذكر السؤال ونظيره قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ ﴾ " [4] .

ثالثا : معرفة حال المتكلم عنه .

ويدخل في هذا معرفة أسباب النزول ، والمكي من المدني ، ومعرفة أحوال النبي ﷺ ، وأحوال أصحابه .

---

1 – البرهان في علوم القرآن ، ج1/ ص487 .

2 – الإتقان ، ص 400 .

3 – يونس / 34 .

4 – البرهان في علوم القرآن ، ج4/ ص 46 .

قال الشاطبي – رحمه الله - : " معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن "[1] .وقال ـ أيضا ـ : " وليس كل حال ينقل ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول ، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة ؛ فات فهم الكلام جملة أو فهم شيء منه ، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط ؛ فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد ، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال "[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - : " ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب "[3] .

وأما معرفة أحوال النبي ﷺ وسيرته فإنه خير معين على فهم معاني الآيات القرآنية المنزلة عليه يقول السعدي – رحمه الله - : " ومن فوائد معرفة الرسول ﷺ ، معرفة الآيات القرآنية المنزلة عليه وفهم المعنى ، والمراد منها موقوف على معرفة أحوال الرسول ، وسيرته مع قومه وأصحابه وغيرهم من الناس ، فإن الأزمنة والأمكنة والأشخاص تختلف اختلافا كثيرا ، فلو أراد إنسان أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه لذلك ، لحصل من الغلط على الله وعلى رسوله ، وعلى مراد الله من كلامه ، شيء كثير"[4].

1 – الموافقات ، ج3 / ص347 .

2 – الموافقات ، ج3 / ص347 .

3 – مجموع الفتاوى ، ج13 / ص339 .

4 – تفسير السعدي ، ج1/ ص36.

المطلب الثاني

أنواع السياق القرآني

إنّ من أهمّ ما يميّز الأسلوب القرآني عن غيره من الأساليب أنه يتألف من أربعة أركان بعضها داخل في بعض ومبني عليه ، فيتألف من آيات تجمعها نصوص ومقاطع تحيط بها سور يحتويها كتاب هو القرآن **الكريم** .

ولقد كان للسياق دور مهم في تآلف هذه الأركان الأربعة تآلفا عجيبا ، نفى **عنها التعارض ، بل جعلها متكاملة تكاملاً** ينتج عنه معاني متعددة وأغراض متنوعة ، ويظهر هذا من خلال عرض موجز لأنواع السياق القرآني وهي على النحو الآتي :

النوع الأول : سياق القرآن

إن هذا النوع من السياق يقوم على دعائم ثلاث : مقاصد القرآن ، المعاني الكلية ، **الأساليب المطردة** [1].

أولا : مقاصد القرآن العظمى .

من تأمل معاني القرآن وجدها لا تخرج عن أغراض ومقاصد أساسية أراد الله تبارك وتعالى تقريرها وتأكيدها ، فاعتمدها المفسرون في تفسير كلام الله تعالى كله.

ومقاصد القرآن قسمان : أصلية ، وفرعية .

---

1 ـ ينظر دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه ، 45/ 46 .

أما الأصلية فهي ثلاثة[1] :

1ـ تصحيح الاعتقاد : بالدعوة إلى توحيد الله والإيمان بالرسل وإثبات اليوم الآخر ، وغيرها من أركان الإيمان .

2ـ بيان الأحكام الشرعية : المتمثلة في الأوامر والنواهي .

3ـ الوعظ : وذلك بذكر قصص الأنبياء والمرسلين ، والأمم الغابرة ، وذكر الوعد والوعيد .

ومن هنا جاء في السنة اعتبار فاتحة الكتاب أم القرآن [2] ؛ لأنها جمعت مقاصد القرآن الكريم الثلاثة ، قال الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ : " وقد ذكروا لتسمية الفاتحة أم القرآن وجوها ثلاثة ...الثاني : أنها تشتمل محتوياتها على أنواع مقاصد القرآن وهي ثلاثة أنواع : الثناء على الله ثناء جامعا لوصفه بجميع المحامد وتنزيهه من جميع النقائص ولإثبات تفرده بالإلهية وإثبات البعث والجزاء وذلك من قوله :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[3] ، والأوامر والنواهي من قوله :﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [4] ، والوعد والوعيد من قوله :﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ ﴾[5]إلى آخرها "[6] .

1 ـ ينظر التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة : الأولى، 1420هـ/ 2000م ، ج1 / ص131 .

2 ـ كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (2/ 71 ، رقم 1457) ، والترمذى (5/ 297 ، رقم 3124) وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضًا : أحمد (2/ 448 ، رقم 9789) ، والدارمى (2/ 539 ، رقم 3374) . عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني .

3 ـ الفاتحة / 2 ـ 4 .

4 ـ الفاتحة / 5 .

5 ـ الفاتحة / 7 .

6 ـ التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور التونسي ، ج1 / ص131 .

وإنّ سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن[1] ؛ لأنها تناولت المقصد الأول من مقاصد القرآن الكريم وهو تصحيح الاعتقاد ، قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : " كما صارت : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[2] تعدل ثلث القرآن ، إذ القرآن توحيد وأحكام ووعظ ، و﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فيها التوحيد كله "[3] .

وأما المقاصد الفرعية فهي متممة للمقاصد الأصلية ومتفرعة عنها . وهي ثلاثة أنواع[4] :

1ـ بيان أحوال المطيعين : وما أعدّه الله لهم في دار النعيم .

2ـ بيان أحوال الجاحدين : وما أعدّه الله لهم في دار الجحيم .

3ـ تعريف منازل الطريق : الموصل إلى مرضاة العزيز القدير .

---

1 ـ كما في الحديث الذي رواه مسلم (1/ 556 ، رقم 811) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :"أيعجز أحدكم أن يقرأ فى كل ليلة ثلث القرآن قالوا نحن أعجز من ذلك وأضعف قال إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص/ 1] جزءًا من أجزاء القرآن" .

2 ـ الإخلاص / 1.

3 ـ الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671هـ) ،ت: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية ، 1423ه ، ج1/ ص111

4ـ ينظر روح المعاني ، محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الألوسي نسبة إلى آلوس وهي جزيرة في وسط نهر الفرات في محافظة الأنبار ، ولد سنة 1217هـ/ وتوفي سنة 1270 هـ"، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ج30 / ص 223 ، والإتقان ، السيوطي ، ج 30 / ص 223 .

ومن هنا جاء في كلام العلماء اعتبار سورة التكاثر أنها تعدل سدس القرآن[1]، وذلك أنها اشتملت على مقصد من مقاصد القرآن الست ، ألا هو بيان أحوال الجاحدين وما أعده الله لهم في دار الجحيم .

وأيضا اعتبار سورة الزلزلة أنها تعدل سدس القرآن[2] ؛ ذلك أنها حوت مقصدا عظيما من المقاصد الفرعية المتمة للأصلية وهو تعريف عمارة الطريق الموصل إلى الله تبارك وتعالى .

ثانيا : المعاني الكلية .

والمقصود بالمعاني الكلية : ما يرِدُ في القرآن الكريم من ألفاظ يطرد معناها في جميع القرآن ، فتستعمل بمعنى واحد غالبا ، قال الزركشي ـ رحمه الله ـ : " إن الْمَعَانِيَ الْكُلِّيَّةَ الذِّهْنِيَّةَ عَامَّةٌ بِمَعْنَى أنها مَعْنًى وَاحِدٌ مُتَنَاوِلٌ لِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ "[3]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : " **إذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء ولفظ الشارع** قد اطرد في معنى لم يجز **أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله ورسوله بقول فيه نزاع بين العلماء "[4].**

فإذا غلب في القرآن الكريم استعمال لفظ من الألفاظ على معنى معين ، فلا يجوز العدول عنه إلا بدليل .

1 ـ ينظر روح المعاني ، ج 2 / ص 425 .
2 ـ ينظر الدر المنثور ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، دار الفكر – بيروت ، 1993 ، ج8 / ص 591 .
3 ـ البحر المحيط في أصول الفقه ، ج2/ ص185 .
4 ـ مجموع الفتاوى ، ج7 / ص 35 .

يقول الشنقيطي ـ رحمه الله ـ : " من أنواع البيان الاستدلال على أحد المعاني بكونه هو الغالب في القرآن ، ومثل له في المقدمة بقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾[1]، فقد قال بعض العلماء : بأن المراد بهذه الغلبة : الغلبة بالحجة والبيان ، والغالب في القرآن استعمال الغلبة بالسيف والسنان ، وذلك دليل واضح على دخول تلك الغلبة في الآية ؛ لأنّ خير ما يُبيّن به القرآن القرآن "[2] .

ومن الأمثلة التي تبين ذلك تأويل النكاح في قوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ ﴾[3] بالعقد .

فقد رجح الزمخشري ـ رحمه الله ـ هذا القول على غيره معتمدا في ذلك على سياق القرآن فقال : " وقيل : المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لأمرين أحدهما : أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد إلا في معنى العقد . والثاني : فساد المعنى وأداؤه إلى قولك : الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زان "[4] .

ومثال ذلك ـ أيضا ـ ترجيح قراءة الرياح بالجمع على المفرد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا

1 ـ المجادلة/ 21 .

2 ـ أضواء البيان ، ج8 / ص 176 .

3 ـ النور/ 3.

4 ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، ج3 / ص 216 .

يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾ البقرة / 164.

قال ابن عطية ـ رحمه الله ـ : " وقراءة الجمع أوجه ؛ لأن عرف الريح متى وردت في القرآن مفردة فإنما هي للعذاب ، ومتى كانت للمطر والرحمة فإنما هي رياح ؛ لأن ريح المطر تتشعب وتتداءب وتتفرّق وتأتي لينة ومن هاهنا وهاهنا وشيئاً إثر شيء، وريح العذاب خرجت لا تتداءب وإنما تأتي جسداً واحداً "[1].

ثالثا : الأساليب المطردة .

والمقصود بها الأساليب التي تحمل في طياتها أكثر من معنى ، لكنه اطُرد استعمالُه في القرآن على معنى معين .

وأوضح مثال على ذلك: الاستفهام؛ فهو أسلوب يحمل في طياته معاني كثيرة؛ كالإنكار والتقرير والأمر والنهي..وغيرها من المعاني[2] ، ولكنه متى وجد في القرآن الكريم، وتعلق بتوحيد الربوبية فإنّه يُحمل على معنى التقرير، يقول الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:" كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة، نحو قوله تعالى: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾[3]، وقوله : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي

---

1 ـ المحرر الوجيز ، ج 4 / ص 258 .

2 ـ هذه المعاني وغيرها تجدها مبثوثة في كتب البلاغة ، ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن الميداني ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة : 1416هـ/ 1996م ، ج1/ ص271 .

3 ـ إبراهيم/ 10.

رَبًّا ﴾ الأنعام/ 164 .، وإن زعم بعض العلماء أن هذا استفهام إنكار؛ لأنّ استقراء القرآن دلّ على أن الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام إنكار ، لأنهم لا ينكرون الربوبية ، كما رأيت كثرة الآيات الدالة عليه"[1].

النوع الثاني : سياق السورة

تطلق السورة في اللغة ويراد بها معان كثيرة يهمُنا منها ما ذكره أبو عبيدة وابن الأعرابي ـ رحمهما الله ـ ، وهو اختيار الكوفيّين بأنّها مشتقة من السّور [2]، وهو البناء المرتفع المحيط بالبلدة ونحوها ، ومنه السّوار لإحاطته بالساعد ، والسّورة من القرآن محيطة بمجموعة من الآيات ، يجمعها غرض واحد يسمى وحدة السورة ، أو سياقها.

وهذه الوحدة الموضوعية للسورة تعين على تحديد المعنى الصحيح للآيات ، يقول الإمام البقاعي ـ رحمه الله ـ[3] : " الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة "[4] .

وقال الدكتور محمد سعد : " إن تمام المعنى لا يدرك في سياقه الجزئي وإنما يدرك في سياق السورة كلها التي هي وحدة التحدي ، وكل درس آية خارج سياق سورتها هو درس خداج عاجز عن استبصار كثير من وجوه المعنى القرآني ، التي تغذي الروح واللب بلطائف المعاني الاحسانية "[5].

1 ـ أضواء البيان ، ج18 / ص 35 .

2 ـ ينظر لسان العرب ، ج4 / ص 384 .

3 ـ إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرُّباط ـ بضم الراء بعدها موحدة خفيفة ـ ابن علي بن أبي بكر البقاعي، نزيل القاهرة ثم دمشق ، الإمام الكبير برهان الدين ، ولد تقريبا سنة 809 هـ بقرية سورية تدعى البقاع ، فنشأ فيها وتوفي سنة 885هـ ، ينظر الأعلام ، ج1 ص56 .

4 ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ، ج1 / ص 18 .

5 ـ العزف على أنوار الذكر ، محمد سعد ، ج 1 / ص 19 .

ولقد أولى شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ هذا النوع من السياق عناية فائقة تجلت من خلال أمثلة كثيرة اعتمد فيها الشيخان على سياق السورة لتحديد معنى الآيات ، والوقوف على بلاغتها وإعجازها .

فنجد مثلاً شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ يبرز وحدة سورة البقرة ويحدد سياقها وغرضها العام فيقول: "وقد ذكرت في مواضع ما اشتملت عليه سورة البقرة من تقرير أصول العلم و قواعد الدين"[1] .

كما بيّن سياق سورة الأحزاب وغرضها العام ، وأبرز أثره في بيان العلاقة بين إيراد حقوق النبي ﷺ ، وحقوق آل بيته ، وبين ذكر غزوة الأحزاب في السورة نفسها فقال : " وهي سورة تضمنت ذكر هذه الغزاة التي نصر الله فيها عبده وأعز فيها جنده المؤمنين وهزم الأحزاب الذين تحزبوا عليه وحده بغير قتال بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم ذكر فيها خصائص رسول الله وحقوقه وحرمته وحرمة أهل بيته لما كان هو القلب الذي نصره الله فيها بغير قتال "[2].

ونرى أيضا ابن القيم ـ رحمه الله ـ يقف على أسرار الأمثال المذكورة في آخر سورة التحريم مبرزا أثر سياق السورة في ذلك فقال : " ثم في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة ، فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي ﷺ والتحذير من تظاهرهن عليه ، وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن

---

1 ـ مجوع الفتاوى ، ج 14 / ص 41 .

2 ـ المصدر نفسه ، ج 28 / ص 433 .

برسول الله ﷺ ، كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما ، ولهذا إنما ضرب في هذه السورة مثل اتصال النكاح دون القرابة "[1] .

ولقد كان لبعض المتأخرين كلمتهم في هذا النوع من السياق ، فأبدعوا وأحسنوا توظيفه في تحديد معاني الألفاظ والآيات ، ويأتي في مقدمة هؤلاء الشيخ الدكتور محمد دراز صاحب كتاب " النبأ العظيم " حيث قال في مقدمته : " إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حشواً ، وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً ؛ فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول ، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول ، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول : فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بناء واحد قد وضع رسمه مرة واحدة.. ولماذا نقول إن هذه المعاني تتسق في السورة كما تتسق الحجرات في البنيان ؟ لا بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان.. ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين ، وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً ، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية"[2] .

ثالثا : سياق النص أو القصة .

1 ـ الأمثال في القرآن الكريم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، مكتبة الصحابة – طنطا ، الطبعة الأولى، 1406 – 1986 ، تحقيق : إبراهيم بن محمد ، ص 57 .

2 ـ النبأ العظيم ، د/ محمد عبد الله دراز ، دار الثقافة الدوحة ، سنة : 1405 هـ/ 1985 م ، ص 155.

النص هو : الجزء أو المقطع أو الوحدة من جملة السورة ، موضوعه واحد وغرضه واحد ، لكنه يتناسب مع الوحدة العامة للسورة ، فلو تأملت كل سورة لوجدتها تتجزأ إلى عدة مقاطع كل مقطع منها يتضمن غرضاً مستقلاً .

وتعالج النصوص والمقاطع في السورة غالبا قصّة من قصص الأنبياء والأولياء كقصة آدم في سورة البقرة والأعراف ، أو يتناول موضوعا في الأحكام كآيات القبلة وآيات الحج في سورة البقرة .

وقد يتعين معرفة الراجح والمرجوح ، وبيان المحذوف ، بناءً على سياق النص.

فمثال الأول : قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ ﴾[1].

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ : " اختلف أهل التأويل في معنى قوله : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴾[2] ، فقال بعضهم (قول ابن زيد) : معنى ذلك : إن الله أبدى خلقه ، فهو يبتدئ ، بمعنى : يحدث خلقه ابتداء ، ثم يميتهم ، ثم يعيدهم أحياء بعد مماتهم ، كهيئتهم قبل مماتهم ، وقال آخرون (قول ابن عباس) : بل معنى ذلك : إنه هو يُبْدِئُ العذاب ويعيده .

وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب، وأشبههما بظاهر ما دّل عليه التنزيل القوُل الذي ذكرناه عن ابن عباس ، وهو أّنه يُبْدِئُ العذاب لأهل الكفر به ويعيد، كما قال

1 ـ البروج/ 13 .

2ـ البروج/ 13 .

جلّ ثناؤه : ﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾[1] في الدنيا ، فأبدأ ذلك لهم في الدنيا ، وهو يعيده لهم في الآخرة "[2] .

فرجح ابن جرير ـ رحمه الله ـ قول ابن عباس على قول ابن زيد معتمدا في ذلك على سياق النص ؛ لأن سياق القصة أنهم أحرقوا في الدنيا ، ولهم عذاب جهنم .

وأما مثال الثاني : فهو قوله تعالى : ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾[3]

قال الشيخ الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ : " وضمير ﴿ بَيْنِهِمْ ﴾ مراد به الذين جاءهم عيسى لأنهم معلومون من سياق القصة من قوله : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾[4] فإن المجيء يقتضي مجيئاً إليه وهم اليهود "[5] .

النوع الرابع : سياق الآية

يعدُّ سياق الآية من أهم أنواع السياق التي تناولها العلماء في تفسير كلام الله تعالى ، والوقوف على معانيه والترجيح بينها ؛ لأن كل آية تحمل غرضا يُفسر به ما قبلها وما بعدها لاشتراكهما فيه ـ الغرض ـ ، مع اختصاص كل آية بجانب منه. وأمثلة ذلك

1ـ البروج / 10 .

2 ـ تفسير الطبري ، ج 24 / ص345.

3ـ الزخرف / 65.

4ـ الزخرف / 63

5 ـ التحرير والتنوير ، ج 13 / 241 .

كثيرة منها : ما ذكره المفسرون في المراد بالحصور من قوله تعالى : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [1] .

فقد ذهب ابن جرير ـ رحمه الله ـ إلى أنّ معنى الحصور **هو** : " الذي لا يأتي النساء " **أو " لا يقرب النساء " أو " الذي ليس له ماء "** مستندا في ذلك على ما ورد عن ابن عباس وابن العاص وسعيد ابن جبير وعطاء ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد **والسدي والحسن .. "** [2] .

وهذا القول الذي رجحه واعتمده ابن جرير ـ رحمه الله ـ **بدليل عدم ذكره أو** إشارته إلى المعنى الثاني الذي ذهب إليه بعض المفسرين ـ يتعارض تمام المعارضة مع سياق الآية وإطارها العام والذي تمثل في المدح والثناء .

فقد مدح الله ـ عز وجل ـ في هذه الآية يحي عليه السلام بأنه مصدق بعيسى عليه السلام ، وسيد حاز الشرف والكرم في العلم والعبادة ، ونبي من الصالحين ، وهي صفات حميدة جليلة ، فكيف تقتحمها صفة ـ على تفسير ابن جرير ـ هي إلى الذم أقرب منها إلى المدح ، فلا يستقيم الكلام حتى تكون دلالة " **الحصور** " متصلة بما من شأنه أن يحقق الثناء المدح والمحمدة ليحي عليه السلام ، يقول الراغب الأصفهاني ـ رحمه الله ـ :" **فالحصور الذي لا يأتي النساء إما من العنة ، وإما من العفة والاجتهاد في إزالة الشهوة ،** والثاني **أظهر في الآية ؛ لأن بذلك تستحق المحمدة "**[3] .

1ـ آل عمران / 39.

2 ـ انظر تفسير الطبري من الصفحة 377 إلى 380.

3 ـ مفردات ألفاظ القرآن ، ج1 / ص 239 .

وهذا ما ذهب إليه القرطبي ورجحه فقال : " وهذا أصح الأقوال لوجهين : أحدهما : أنه مدح وثناء عليه، والثناء إنما يكون عن الفعل المكتسب دون الجبلة في الغالب. الثاني : أن فعولا في اللغة من صيغ الفاعلين، كما قال:

ضروب بنصل السيف سوق سمانها * إذا عدموا زادا فإنك عاقر[1]

فالمعنى أنّه يحصر نفسه عن الشهوات ولعل هذا كان شرعه "[2] .

ومن الأمثلة أيضا تفسير السبيل قال تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ﴾[3] .

واختلف أهـل التفسير في تأويل السبيل الذي يسَّره لها ، فقال بعضهم : هو خروجه من بطن أمه ، وقال آخرون هو طريق الحق والباطل ، بيناه له وأعلمناه ، وسهلنا له العمل به ، والصحيح الأول لدلالة سياق الآية عليه ، قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ : " وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : ثم الطريق ، وهو الخروج من بطن أمه يسَّره وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب ، لأنه أشبههما بظاهر الآية ، وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه وتدبيره جسمه ، وتصريفه إياه في الأحوال ، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وما بعده "[4] .

---

1 ـ ديوان أبي طالب بن عبد المطلب ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، دار الهلال ، الطبعة الأولى ، سنة 1421 هـ/ 2000م ، ص35 .

2 ـ تفسير القرطبي ، ج 4 / ص 78 .

3ـ عبس / 21 .

4ـ تفسير الطبري ، ج24 / ص224 .

المبحث الثالث

أهمية السياق وأبرز العلماء عناية به

المطلب الأول

أهمية السياق في الدراسات القرآنية

لقد قام العلماء بدراسات علمية مركزة وقفوا من خلالها على أهم المقاصد المتعلقة بأعظم العلوم وأشرف المتون ، ألا وهو القرآن الكريم ، وهذه المقاصد العظمى تمّ الوقوف عليها من خلال مباحث كثيرة كعلم المناسبات ، وأسباب النزول، والتقديم والتأخير ، والحذف والإيجاز وغيرها من المباحث ، ولم تكن هذه الدراسات القرآنية لتصل إلى الغرض المقصود ، والهدف المنشود إلا بالاعتماد على دعائم وركائز كان لها الدور البارز في هذه الدراسات ، يأتي في مقدمتها السياق الذي لعب دور العقل المؤثر على الأعضاء ، فكان له تأثير بالغ على كثير من المباحث .

ولا بأس أن نقف هنا وقفات يسيرة مجملة ، نبين من خلالها أهمية السياق في الدراسات القرآنية ، وهي على النحو الآتي :

أ- السياق مهم في بيان المناسبات .

المناسبة في اللغة من (نسب) : النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها : " اتصال شيء بشيء " [1] .

1 - مقاييس اللغة ، ج 5 / ص423 .

أما في الاصطلاح فقد عرفها ابن العربي ـ رحمه الله ـ في كتابه سراج المريدين : بأنها : " ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني " [1] .

وعرفها الزركشي ـ رحمه الله ـ في البرهان بأنها : " أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول "[2].

وعرفها البقاعي في نظم الدرر بقوله: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه ـ القرآن ـ ،وهو سِرُّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال "[3] .

فعلم المناسبة علم ُيعنى بإبراز أوجه الصلة وتناسب الآيات والسور ، غير أن هذه الصلة لا يمكن إبرازها إلا بالرجوع إلى السياق ؛ لأنّ معرفة المناسبة بين الآيات والسور من أعظم أركانه معرفة السابق واللاحق من الكلام ، لذلك قال السيوطي ـ رحمه الله ـ وهو يبين قاعدة مهمة في المناسبات : " قد ظهر لي بحمد الله وجوهًا من هذه المناسبات : أحدها : أن القاعدة التي استقر بها القرآن : أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها ، وشرح له ، وإطناب لإيجازه . وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن ، طويلها وقصيرها "[4] .

فما كان السيوطي- رحمه الله – ليصل إلى هذه القاعدة ، لولا نظره وتأمله في سابق كل سورة ولاحقها ، ولا أدلّ على هذا من قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ

1 – ينظر نظم الدرر ، ج1/ ص7 .

2 – البرهان في علوم القرآن ، ج 1/ ص35 .

3 ـ نظم الدرر ، ج 1/ ص6 .

4ـ أسرار ترتيب القرآن ، عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : 911هـ) ، دراسة وتحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، الطبعة الثانية ، 1398 هـ/ 1978 م ، ص78 .

عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1]فختمت الأولى بقوله : ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ **والثانية بقوله : ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾.**

قال أبو جعفر ابن الزبير - رحمه الله - [2] : " والجواب .. : أن قوله تعالى في الآية الأولى : ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ مناسب للمدرك ليلا من ضربي ما يعتبر به من المسموعات والمبصرات ، إذ الليل حائل دون المبصرات ، وإنما تدرك فيه المسموعات؛ لأن ظلمة الليل غير مانعة من إدراكها ، فجيء بما يناسب ، وجيء مع ذكر النهار بما يناسب أيضا ، فقيل : ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾؛ لأن المبصرات تدرك نهارا ولا تدرك ليلا ، فجيء مع كل بما يناسب والله أعلم "[3].

فهذا التناسب بين الآيتين تمّ بيانه اعتمادا على سياق كل آية ، ومن هنا يتجلى دور السياق في بيان المناسبات بين الآيات والسور .

ب- مهم في بيان مرجع الضمير .

1ـ القصص/ 71 – 72

2ـ ابن الزبير الغرناطي (627 هـ ـ 708 هـ) : أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي أبو جعفر ، محدث مؤرخ ، من أبناء الغرب الداخلين إلى الأندلس ، ولد في جيلن وأقام بمالقة ، فحدثت له فيها شؤون ومنغصات فغادرها إلى غرناطة فطاب بها عيشة وأكمل ما شرع فيه من مصنفاته ، وتوفي فيها سنة 708 هـ . ينظر الأعلام ، ج1/ ص86

3 ـ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ابن الزبير الغرناطي دار النشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ج2/ ص386.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ ﴾[1]، فقد اختلف المفسرون في الضمير " له " هل يعود إلى العافي ، أو إلى المعفو عنه ، والصحيح الثاني دلّ عليه السياق بنوعيه (سياق الآية ، وسياق القرآن) .

فمن الأول : قال ابن جرير: " وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب ، قولُ من قال: عني به : " فمن تصدّق به فهو كفارة له " ، المجروحَ فلأن تكون "الهاء" في قوله : " له" عائدةً على"مَنْ" ، أولى من أن تكون مِنْ ذِكْر من لم يجر له ذكر إلا بالمعنى دون التصريح وأحرَى إذ الصدقة هي المكفرة ذنبَ صاحبها دون المتصدق عليه في سائر الصدقات غير هذه ، فالواجب أن يكون سبيلُ هذه سبيلَ غيرها من الصدقات "[2].

ومن الثاني قال الإمام الرازي – رحمه الله –[3] : " أما الأول فالتقدير أن المجروح أو ولي المقتول إذا عفا كان ذلك كفارة له ، أي للعافي ويتأكد هذا بقوله تعالى في آية القصاص في سورة البقرة : ﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾[4]"[5] .

ومن الأمثلة التي تبين أهمية السياق في تعين مرجع الضمير قوله تعالى : ﴿ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ ﴾[6] ، اختلف أهل التأويل فيما عادت عليه الهاء التي في قوله : ﴿ فِيهِ ﴾ ، فقال بعضهم: عادت على القرآن ، وهو المراد بها . وقال آخرون : بل أريد بها العسل.

1ـ المائدة/ 45 .

2ـ تفسير الطبري ، ج10/ ص369 .

3ـ محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري الرازي المعروف بفخر الدين الرازي أو ابن خطيب الريّ ولد في الريّ سنة 544هـ ، قرشي النسب ، أصله من طبرستان ، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخرسان .. توفي في مدينة هراة سنة 606 هـ . انظر الأعلام ، ج6 / ص313 .

4ـ البقرة/ 237 .

5 ـ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، الطبعة 1 : 1401هـ/ 1981 م ، ج 12/ ص9 .

6ـ النحل/ 69.

قال ابن جرير – رحمه الله - : " وهذا القول – عود الضمير على العسل - أولى بتأويل الآية ؛ لأن قوله "فِيهِ" في سياق الخبر عن العسل ، فأن تكون الهاء من ذكر العسل ، إذ كانت في سياق الخبر عنه أولى من غيره. " [1] .

ت– مهم في بيان المحذوف .

قال ابن القيم – رحمه الله – وهو يذكر الإشكالات المترتبة على قول الخليل وسيبويه في إعراب ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ ﴾ [2] من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾[3] : " السادس : أن هذا الحذف الذي قدره في الآية حذف لا يدل عليه سياق فهو مجهول الوضع ، وكل حذف كان بهذه المنزلة كان تقديره من باب علم الغيب "[4] .

الحذف الذي يتم بيانه – عند ابن القيم – هو الحذف الذي يدل عليه السياق، وإلاّ كان هذا الحذف مجهول الوضع ، وتقدير من باب علم الغيب .

---

1 – تفسير الطبري ، ج 17/ ص250 .

2 – قال الخليل :" أيهم أشد " مبتدأ وأشد خبره ، ولم يعمل لننزعن فيه ؛ لأنه محكي ، والتقدير : الذي يقال فيه أيهم أشد على الرحمن عتيا وعلى هذا فأي استفهامية .

3ـ مريم/ 69 .

4 – بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة ، الطبعة 1 ، 1416 – 1996 ، ت : هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد الج ، ج 1/ ص163 .

فهذا يدل على أهمية السياق في بيان المحذوف ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [1] ، قال الشوكاني – رحمه الله – : " الفاء في قوله : ﴿ فَقَٰتِلۡ ﴾ قيل: هي متعلقة بقوله : ﴿ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [2]، أي : من أجل هذا فقاتل ، وقيل : متعلقة بقوله : ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[3] فقاتل وقيل : هي جواب شرط محذوف يدل عليه السياق تقديره : إذا كان الأمر ما ذكر من عدم طاعة المنافقين فقاتل ،أو إذا أفردوك وتركوك فقاتل "[4] .

ث- التقديم والتأخير .

التقديم والتأخير فن من فنون البلاغة ، وسرٌّ من أسرار الفصاحة ، وسنّة من سنن العرب في كلامها ، أهميته البالغة في الكلام جعلت الشيخ عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله – يصفه بقوله : " هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة " [5].

حدّه : تقديم لفظ على آخر وتحويله عن مكانه الأصلي ، لبواعث موجبة تخرج الكلام في صورة أبلغ وأفصح .

ومن أهم الأمور الباعثة للتقديم والتأخير مراعاة المقام والسياق ، قال الدكتور فاضل السامرائي : " إن تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها

1ـ النساء/ 84 .

2ـ النساء / 74 .

3ـ النساء / 75 .

4 – فتح القدير ، الشوكاني ، ج1/ ص743 .

5 – دلائل الإعجاز ، ص96 .

المقام وسياق القول ، يجمعها قولهم : إن التقديم إنما يكون للعناية والاهتمام . فما كانت به عنايتك أكبر قدمته في الكلام . والعناية باللفظة لا تكون من حيث أنها لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال. ولذا كان عليك أن تقدم كلمة في موضع ثم تؤخرها في موضع آخر ؛ لأن مراعاة مقتضى الحال تقتضي ذاك ، والقرآن أعلى مثل في ذلك فإنا نراه يقدم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام ، فنراه مثلاً يقدم السماء على الأرض ومرة يقدم الأرض على السماء ، ومرة يقدم الإنس على الجن ومرة يقدم الجن على الإنس ، ومرة يقدم الضرّ على النفع ، ومرة يقدم النفع على الضر كل ذلك بحسب ما يقتضيه القول وسياق التعبير" [1].

ومن الأمثلة التي تبين ذلك ، تقديم ضمان رزق الولد قبل رزق أبيه في سورة الإسراء : ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾[2]، وتأخيره في سورة الأنعام : ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[3].

والجواب عن سرّ هذا التقديم والتأخير ما ذكره أبو حيان ـ رحمه الله ـ في البحر المحيط بقوله : " وجاء التركيب هنا ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ وفي الإسراء ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ فيمكن أن يكون ذلك من التفنن في الكلام ، ويمكن أن يقال: في هذه الآية جاء ﴿ مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ ، فظاهره حصول الإملاق للوالد لا توقعه وخشيته ، وإن كان واجداً للمال فبدأ أولاً بقوله : ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ ﴾ خطاباً للآباء وتبشيراً لهم بزوال

1 – التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، عمان ، الطبعة الرابعة ، سنة : 1427هـ/ 2006م ، ص51/ 52 .

2ـ الإسراء/ 31 .

3ـ الأنعام/ 151.

الإملاق ، وإحالة الرزق على الخلاق الرزاق ، ثم عطف عليهم الأولاد . وأما في الإسراء فظاهر التركيب أنهم موسرون ، وإن قتلهم إياهم إنّما هو لتوقع حصول الإملاق والخشية منه فبدأ فيه بقوله : ﴿ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ ﴾ إخباراً بتكفله تعالى برزقهم ، فلستم أنتم رازقيهم ، وعطف عليهم الآباء وصارت الآيتان مفيدتان معنيين. أحدهما : أن الآباء نُهوا عن قتل الأولاد مع وجود إملاقهم . والآخر : أنهم نُهوا عن قتلهم وإن كانوا موسرين لتوقع الإملاق وخشيته ، وحمل الآيتين على ما يفيد معنيين أولى من التأكيد "[1] .

فيتبين من خلال ما ذكره أبو حيان أهمية السياق في تحديد أسرار التقديم والتأخير ، وهو الأمر الذي صرح به الإمام البقاعي ـ رحمه الله ـ عند تأويله لهذه الآية فقال : ﴿ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ ﴾ أي فقر متوقع لم يقع بعد؛ ثم وصل بذلك استئنافاً قوله : ﴿ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ ﴾ مقدماً ضمير الأولاد لكون الإملاق مترقباً من الإنفاق عليهم غير حاصل في حال القتل ، بخلاف آية الأنعام فإن سياقها يدل على أن الإملاق حاصل عند القتل ، والقتل للعجز عن الإنفاق "[2].

ومن الأمثلة التي تبين ذلك أيضا : تقديم اللهو على اللعب في قوله تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾[3] ، مع أنّ الغالب في القرآن الكريم تقديم اللعب على اللهو ، وذلك في أربعة مواضع[4] .

---

1 – تفسير البحر المحيط ـ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين أبو حيان الغرناطي الأندلسي الجياني النفزي ولد في غرناطة سنة 654هـ فقيه ظاهري ، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض شارك في التحقيق 1) د.زكريا عبد المجيد النوقي ، 2) د.أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت ، الطبعة :1 ، سنة : 1422 هـ ، ، ج4/ ص251،252 .

2 – نظم الدرر ، ج11 / ص408،409 .

3ـ العنكبوت: 64 .

4ـ الأنعام / 32 و الآية 70 ، محمد / 36 ، الحديد / 20 .

وتوجيه ذلك ما ذكره البقاعي ـ رحمه الله ـ بقوله : " ولما كان مقصود السورة الحث على الجهاد والنهي عن المنكر ، وكان في معرض سلب العقل عنهم ، قدم اللهو؛ لأن الإعراض عنه يحسم مادة الشر فإنه الباعث عليه ، فقال : ﴿ إِلَّا لَهْوٌ ﴾ أي شيء يلهي عما ينفع ﴿ وَلَعِبٌ ﴾ يشتغل به صبيان العقول ، وكل غافل وجهول "[1].

هذا التوجيه مستفاد من السياق العام للسورة ، أما عن سياق الآية فنقول :

سبقت هذه الآية في نفس السورة : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[2]، والرزق ليس من مدعاة اللعب وإنّما اللهو كما في قوله تعالى في سورة المنافقون : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[3] .

فهذه الأمثلة وغيرها تبين مدى حاجة هذا الفن – التقديم والتأخير- إلى دلالة السياق في إبراز نكته والوقوف على أسراره ، قال فاضل السامرائي : " ونقول: ومن ينكر التقديم والتأخير ؟! وإنما يكون ذلك بحسب المقام ، فإذا اقتضى المقام التقديم ، قدّم وإلا فلا "[4] .

ج- يعين السياق على تحديد زمن النزول .

---

1 – نظم الدرر ، ج14 / ص474،475 .

2ـ العنكبوت/ 62 .

3ـ المنافقون/ 9.

4 – لمسات بيانية ، المرجع السابق ، ص 20 .

ومثاله ما ذكره ابن جرير – رحمه الله – في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]:" وقد اختلف أهل التأويل في اليوم الذي عنى الله عز وجل بقوله: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ فقال بعضهم: عنى بذلك يوم أُحُد ..وقال آخرون : عنى بذلك يوم الأحزاب ، قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ : " وأولى هذين القولين بالصواب قول من قال : " عنى بذلك يوم أُحد " ؛ لأن الله عز وجل يقول في الآية التي بعدها : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾[2]، ولا خلاف بين أهل التأويل أنه عُني بالطائفتين: بنو سلمة وبنو حارثة ، ولا خلاف بين أهل السير والمعرفة بمغازي رسول الله ﷺ ، أنّ الذي ذكر الله من أمرهما إنما كان يوم أحد ، دون يوم الأحزاب "[3].

ح- الترجيح بين القراءات .

مثاله : قوله عز وجل : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[4] .

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ : " اختلفت القرأة في قراءة ذلك: فقرأته عامة قرأة الحجاز من مكة والمدينة، وقرأة الكوفة: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْغُونَ ﴾ ، ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ على وجه الخطاب ، وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ ﴿

1ـ آل عمران : 121 .

2ـ آل عمران/ 122.

3 – تفسير الطبري ، ج7 / ص 161 .

4ـ آل عمران/ 83 .

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ بالياء كلتيهما ، على وجه الخبر عن الغائب ، وقرأ ذلك بعض أهل البصرة : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ ، على وجه الخبر عن الغائب ، ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ، بالتاء على وجه المخاطبة ، ثم قال : " وأولى ذلك بالصواب ، قراءةُ من قرأ : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ تبغون ﴾ على وجه الخطاب ﴿ وإليه تُرجعون ﴾ بالتاء ؛ لأنّ الآية التي قبلها خطابٌ لهم ، فإتباعُ الخطاب نظيرَه ، أولى من صرف الكلام إلى غير نظيره "[1] .

المطلب الثاني

أبرز العلماء عناية بالسياق

لقد كان لعلماء الأمة الإسلامية السبق في تحديد فكرة السياق ، والاعتناء بها أيما اعتناء ، وتتجلى هذه العناية بالنظر إلى آثارهم العلمية في هذا الباب .

- الإمام الشافعي[2] (ت :204هـ)

يُعدّ الإمام الشافعي – رحمه الله - أول من تنبه إلى دور السياق في دراسة المعنى والذي يدل على هذا أننا وجدناه عنون أحد أبواب كتابه (الرسالة) بقوله: " باب الصنف الذي يبين سياقه معناه " واستدل بقوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[3]، قال - رحمه الله - : " فابتدأ - جل ثناؤه - ذِكرَ الأمر بمُساءلتهم عن القرية حاضرة البحر، فلما

1 – تفسير الطبري ، ج 6 / ص 564 .

2 – أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (150 هـ ـ 204 / 766م ـ 820 م) ، أحد أبرز أئمة أهل السنة والجماعة عبر التاريخ ، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي .

3 – الأعراف / 163.

قال: ﴿ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ ﴾ دل على أنه إنما أراد أهلَ القرية ؛ لأن القرية لا تكون عاديةً ، ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره ، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بَلاَهم بما كانوا يفسقون [1].

واستدل على هذا الباب أيضا بقوله تعالى : ﴿ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ۝١١ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴾[2] ، فقال - رحمه الله - : " وهذه الآية في مثل معنى الآية التي قبلها فذكر قصم القرية فلما ذكر أنها ظالمة بان للسامع أن الظالم إنما هم أهلها دون منازلها التي لا تظلم ولما ذكر القوم المنشئين بعدها وذكر إحساسهم البأس عند القصم أحاط العلم أنه إنما أحس البأس من يعرف البأس من الآدميين "[3].

من خلال ما سبق ذكره من أدلة على هذا الباب ، يتبين لنا جليا أن الإمام الشافعي – رحمه الله - كان حريصا في كتابه الرسالة على انفتاح الخطاب على ما هو أوسع من دائرته اللغوية ؛ لأن سياق الكلام بتعبير الشافعي لا تتحقق شروطه بعيدا عن حال المخاطب بما له من تأثير على دلالات النص الظاهرة والباطنة ، يقول الشافعي – رحمه الله - : " قلت لما قال الله : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖ ﴾[4] كان الظاهر في الآية أن من أنظره الله أربعة أشهر في شيء لم يكن له عليه سبيل حتى تمضي أربعة أشهر قال فقد يحتمل أن يكون الله - عز وجل - جعل له أربعة أشهر يفيء فيها

1 – الرسالة ، محمد بن إدريس الشافعي ، المحقق : أحمد محمد شاكر ، الناشر : دار الكتب العلمية ، ص 63 .

2 – الأنبياء / 11.

3 – الرسالة ، ص 63 .

4 – البقرة/ 226 .

كما تقول قد أجلتك في بناء هذه الدار أربعة أشهر تفرغ فيها منها ، قال فقلت له هذا لا يتوهمه من خوطب به حتى يشترط في سياق الكلام "[1].

فالمعنى الثاني الذي ذكره الإمام الشافعي – رحمه الله – لا يكون معتبرا بدون النظر إلى حال المخاطب ؛ أي لابد أن يكون هذا المعنى مفهوما عند المخاطب به حتى يدل سياق الكلام عليه .

وعلى العموم فقد أشار الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ في كتابه الرسالة إشارات تدل على وعيه بضرورة السياق في فهم المعنى فقال : " وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله "[2] .

- ابن جرير الطبري (ت: 310هـ)

إن المتأمل في كتاب " جامع البيان في تأويل القرآن " يدرك أهمية السياق عند ابن جرير ، فقد أولاه عناية فائقة تظهر من خلال تأويله لبعض الآيات وترجيحه لبعض الأقوال في التفسير على غيرها انطلاقا من السياق ؛إذ أن العمدة في التفسير والترجيح عند ابن جرير ما كان موافقا له – السياق - ، يقول– رحمه الله - :" فتوجيهُ الكلام إلى ما كان نظيرًا لما في سياق الآية ، أولى من توجيهه إلى ما كان مُنعدِلا عنه "[3] .

وهذا الكلام ليس على إطلاقه ؛ إذ أن توجيه الكلام إلى ما كان موافقا للسياق أولى من غيره ما لم يرد في القرآن الكريم ، أو السنة النبوية المطهرة ما يدل على خلاف المعنى المستنبط من دلالة السياق ، فإنه لابد من التسليم لما في القرآن والسنة ، يقول ابن

---

1 – الرسالة ، ص579 .

2 – نفسه، ص 52 .

3 – تفسير الطبري ، ج6 / ص91 .

جرير – رحمه الله - : " فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره ، إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل ، أو خبر عن الرسول تقوم به حُجَّة"(1).

فالأصل في الكلام عند ابن جرير أنه يُفسر بما في سياقه ولا يجوز العدول عنه إلا إذا وجد في القرآن والسنة ما يخالف هذا المعنى المستنبط من دلالة السياق فإنه يجب العدول عنه إلى ما في القرآن والسنة .

ويمكن أن نبين عناية ابن جرير- رحمه الله – بالسياق عمليا ؛ وذلك من خلال استقرائنا لبعض آراءه التي اعتمد على دلالة السياق في ترجيحها واعتبارها على غيرها والتي منها :

أ- قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾(2).

أورد ابن جرير ـ رحمه الله ـ لهذه الآية ثلاثة تفاسير :

- " المستقدمين " : الذين مضوا وانقضوا ، و" المستأخرين " : الباقون الذين يعيشون في المستقبل .
- المستقدمون في صفوف الصلاة والمتأخرون فيها بسبب المرأة الحسناء(3)

---

1 – تفسير الطبري ، ج9/ ص389 .

2 – الحجر: 24 .

3 – مستندهم في ذلك على ما رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه والبيهقي في سننه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال : " كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، امرأة حسناء من أحسن الناس ،فكان بعض القوم يتقدم في الصف الأول لأن لا يراها ، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فكان إذا ركع ، نظر من تحت إبطه ، فأنزل الله في شأنها : وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ [الحجر: 24] . انظر (صحيح ابن حبان ، ج2 / ص 126 رقم: 401) ، وهذا المعنى استبعده بعض العلماء لسببين :=

- المتقدمون في الخير والمتأخرون عنه .

والإشكال الذي ينبغي لطالب الدراسات القرآنية أن يتعرض له بالبحث والدراسة هو : كيف يمكن الجمع بين الدلالات المختلفة في معرض تفسير الآية الواحدة؟. وكيف تستمر تلك الدلالات المتباينة حاضرة في كتب التفسير ؟.

لقد كان على المفسرين أن يتنبهوا إلى أن السياق الذي وردت فيه الآية لا تعلق له بقصة المرأة الحسناء وصفوف الصلاة ، وإنما ينسجم مع الدلالة الأولى ، وهذا ما لاحظه الإمام ابن جرير – رحمه الله- ولخصه في قوله : " ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حيّ ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعدُ ، لدلالة ما قبله من الكلام ، وهو قوله : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] وما بعده وهو قوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ

□

=أ- ضعف إسناد الحديث: فهذا الحديث وإن صححه ابن حبان فإن له علة رواه عبد الرزاق في تفسيره عن أبي الجوزاء ولم يذكر ابن عباس، وقال الترمذي :روى عن أبي الجوزاء مرسلا وهو أشبه فهذه علة تقتضي ضعفه من جهة الإسناد .

ب- أن السياق يرده ، وذلك في قوله الله تعالى فيهامّن وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ ولادة وموتا وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ "كذلك ، فلا يختلط علينا متقدم بمتأخر "وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ " جميعا مع كثرة عددهم وتباعد أزمانهم ، فلا محل لصفوف الصلاة في الآية ، ولا معنى لاستثنائها .

1 - الحجر/ 23 – 24.

يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] على أن ذلك كذلك ، إذ كان بين هذين الخبرين ، ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدلّ على خلافه "[2] .

ب- قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾[3] .

أورد علماء التفسير لهذه الآية دلالتين اثنتين :

❖ ثم رددناه إلى أرذل العمر : وهذا القول مروي عن ابن عباس وعكرمة، وقتادة [4].

❖ ثم رددناه إلى النار في أقبح صورة : قاله مجاهد ، وأبو العالية ، والحسن، وابن زيد [5] .

ولقد رجح ابن جرير ـ رحمه الله ـ القول الأول (أرذل العمر) ، وانطلق في استدلاله من قوله تعالى : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴾[6] ، وقال : " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة ، وأشبهها بتأويل الآية ، قول من قال : معناه : ثم رددناه إلى أرذل العمر ، إلى عمر الخَرْفَى ، الذين ذهبت عقولهم من الهَرَم والكِبر ، فهو في أسفل من سفل في إدبار العمر وذهاب العقل.

وإنما قلنا : هذا القول أولى بالصواب في ذلك ؛ لأن الله - تعالى ذكره - أخبر عن خلقه ابن آدم ، وتصريفه في الأحوال ، احتجاجا بذلك على مُنكري قُدرته على البعث

---

1 – الحجر/ 24 .

2 – تفسير الطبري ، ج17/ ص94

3 – التين/ 5 .

4 – تفسير ابن كثير ، ج 8 / ص434 .

5 – المصدر نفسه ، ج 8/ ص 434 .

6 – التين/ 7

بعد الموت ، ألا ترى أنه يقول: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾ [1] يعني: بعد هذه الحُجَج.

ومحال أن يحتجّ على قوم كانوا مُنكرين معنى من المعاني بما كانوا له مُنكرين ، وإنما الحجة على كلّ قوم بما لا يقدرون على دفعه ، مما يعاينونه ويحسُّونه ، أو يقرّون به، وإن لم يكونوا له مُحسين.

وإذْ كان ذلك كذلك ، وكان القوم للنار- التي كان الله يتوعدهم بها في الآخرة- مُنكرين ، وكانوا لأهل الهَرَم والخَرَف من بعد الشباب والجَلَد شاهدين ، علم أنه إنما احتجّ عليهم بما كانوا له مُعاينين ، من تصريفه خلقه ، ونقله إياهم من حال التقويم الحسن والشباب والجلد ، إلى الهَرَم والضعف وفناء العمر، وحدوث الخَرَف[2].

ت- قال تعالى : ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيًّا ﴾[3].
اختلف المفسرون في تحديد المنادي على قولين :

القول الأول : أن المنادي هو جبريل ـ عليه السلام ـ ، وحجتهم في ذلك قراءة الجمهور (عامة قرّاء الحجاز والعراق) [4] ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي ﴾ على أن "مِن " حرف جر ، ومعنى : فناداها جبرائيل من بين يديها ، وكذا قال سعيد بن جبير، والضحاك ، وعمرو بن ميمون ، والسدي ، وقتادة [5] .

1 – التين/ 7

2 – تفسير الطبري ، ج 24 / ص 510 .

3 – مريم/ 24 .

4 – تفسير ابن كثير ، ج 5 / ص223 .

5 – نفسه ، ج 5 / ص223 .

القول الثاني : أن المنادي هو عيسى ـ عليه السلام ـ ، وحجتهم في ذلك أمران[1] :

أ- قراءة بعض قرّاء كابن كثير وأبو عمر وابن عامر ﴿ فَنَادَىٰهَا مَن تَحْتَهَا ﴾ بفتح الميم والتاءين "مَن تَحتَ" ، بمعنى : فناداها الذي تحتها ، على أن الذي تحتها هو عيسى عليه السلام ، وأنه الذي نادى أمه[2] .

ب- دلالة السياق وهو ما أشار إليه ابن جرير- رحمه الله- ورجح به هذا المعنى فقال : " وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال : الذي ناداها ابنها عيسى، وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل ، فردّه على الذي هو أقرب إليه أولى من ردّه على الذي هو أبعد منه . ألا ترى في سياق قوله : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾[3]يعني به : فحملت عيسى فانتبذت به ، ثم قيل: فناداها نسقا على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه ، ولعلة أخرى وهي : قوله ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾[4]ولم تشر إليه ـ إن شاء الله ـ إلا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك ، وللذي كانت قد عرفت ووثقت به منه بمخاطبته إياها بقوله لها ﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾[5] وما أخبر الله عنه أنه قال لها أشيري للقوم إليه ، ولو كان ذلك قولا من جبرائيل، لكان خليقا أن يكون في

---

1 – هذا القول مروي عن قتادة وهو إحدى الروايتين عن سعيد بن جبير واختاره ابن زيد وابن جرير في تفسيره .((ينظر تفسير ابن كثير ،ج 5/ 224)) .

2 – ينظر حجة القراءات ، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية ، 1402 – 1982 ، ص441 .

3 – مريم/ 22 .

4 – مريم/ 29 .

5 – مريم/ 24 .

ظاهر الخبر ، مبينا أن عيسى سينطق ، ويحتجّ عنها للقوم ، وأمر منه لها بأن تشير إليه للقوم إذا سألوها عن حالها وحاله "[1].

وأما عن قراءة الجمهور فليس فيها ما يدل على المعنى الأول ، بل تصلح أن تكون دليلا على المعنى الثاني وهو ما ذكره ابن جرير ـ رحمه الله ـ بقوله : " فإذا كان ذلك هو الصواب من التأويل الذي بينا ، فبين أن كلتا القراءتين ، أعني﴿ مِن تَحۡتِهَآ ﴾ بالكسر ، ﴿ وَمَنْ تَحْتَها ﴾ بالفتح صواب . وذلك أنه إذا قرئ بالكسر كان في قوله :﴿ فَنَادَىٰهَا ﴾ ذكر من عيسى: وإذا قرئ ﴿ مَنْ تَحْتَها ﴾ بالفتح كان الفعل لمن : وهو عيسى ، فتأويل الكلام إذن : فناداها المولود من تحتها أن لا تحزني يا أماه﴿ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴾ "[2].

من خلال ما سبق ذكره من أمثلة ، يتبين لنا أهمية السياق عند ابن جرير الطبري – رحمه الله- ، وأنه اعتنى به العناية الفائقة ، وأنزله المنزلة اللائقة في تفسيره فكان- السياق- هو الحكم الفصل لكثير من الآراء التي ساقها ابن جرير- رحمه الله- وليس ذلك إلا بعد تأمل وإنعام نظر في سنة رسول الله ﷺ لئلا يقع التعارض بين دلالة السياق والمعنى المستنبط من دلالة السنة .

- أبو حامد الغزالي (ت : 505 هـ)

لقد تناول الإمام الغزالي – رحمه الله – موضوع السياق في كتابه " المستصفى" وأفرد له عنوانا سماه :" الضرب الرابع فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق

---

1 – تفسير الطبري ، ج 18 / ص 174 ، 175 .

2 – نفسه ، ج 18 / ص 174 ، 175 .

الكلام" ومقصوده كفهم تحريم الشتم ، والقتل ، والضرب من قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾[1]، وفهم تحريم مال اليتيم وإحراقه وإهلاكه من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾[2]، وفهم ما وراء الذرة والدينار من قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾[3]، وقوله : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾[4]، وكذلك قول القائل : ما أكلت له برة ، ولا شربت له شربة ، ولا أخذت من ماله حبة ؛ فإنه يدل على ما وراءه ، فإن قيل هذا من قبيل التنبيه بالأدنى على الأعلى قلنا لا حجر في هذه التسمية ، لكن يشترط أن يفهم أن مجرد ذكر الأدنى لا يُحصِّل هذا التنبيه ما لم يفهم الكلام وما سيق له "[5] .

كما أنّه ركز على أهمية القرائن في تحديد المعنى فقال : " والقرينة إما لفظ مكشوف كقوله تعالى : ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾[6]والحق هو الْعُشْر ، وإما إحالة على دليل العقل كقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[7] وقوله ـ عليه السلام ـ : ((قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ))[8] ، وَإِمَّا قَرَائِنُ أَحْوَالٍ من إشارات ، ورموز ، وحركات ، وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتخمين

1 – الإسراء / 23.

2 – النساء / 10.

3 –الزلزلة / 7 .

4 – آل عمران/ 75.

5 – المستصفى، ج 1 / ص 264 .

6 –الأنعام: 141.

7 –الزمر: 67 .

8 – أخرجه مسلم (4/ 2045 ، رقم 2654) بلفظ : " إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن " .

يَخْتَصُّ بِدَرْكِهَا الْمشاهد لها ، فَيَنْقُلُهَا الْمشَاهِدُونَ من الصحابة إلى التَّابِعِينَ بِأَلْفَاظٍ صريحة أو مع قرائن من ذلك الجنس ، أو من جنس آخر حتى توجب عِلْمًا ضَرُورِيًا بِفَهْمِ الْمرَادِ ، أو تُوجِب ظنا وكل ما ليس له عبارة موضوعة في اللُّغَةِ فتتعين فيه الْقَرَائِنَ وعند مُنْكِرِي صِيغَةِ الْعُمُومِ وَالْأَمرِ يَتَعَيَّنُ تَعْرِيفُ الْأَمرِ وَالِاسْتِغْرَاقِ بِالْقَرَائِنِ ، فَإِنَّ قَوْله تَعَالَى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾[1] ، وَإِنْ أَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ كُلَّهُمْ وَجَمِيعَهُمْ فَيَحْتَمِلُ الْخُصُوصَ عِنْدَهُمْ كقوله تعالى : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾[2]، ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾[3]، فَإِنَّهُ أُرِيدَ بِهِ الْبَعْضُ "[4] .

- شيخ الإسلام ابن تيمية

ابن تيمية – رحمه الله- عالم جليل عرف بمذهبه العقدي ، ومناظراته الكلامية والفلسفية لأهل الكلام والمنطق والفلسفة وأصحاب المذاهب والطوائف المختلفة ، لذلك تجاهل كثير من الناس بزوغه في مجالات علمية أخرى شهد له من خلالها مترجموه بالإحاطة والموسوعية ، يقول ابن عبد الهادي : " كان بحرا لا تكدره الدلاء"[5] ، وقال الكرمي ـ رحمه الله ـ : " كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن "[6] .

---

1 – التوبة/ 5.

2 – الأحقاف/ 25 .

3 – النمل/ 23 .

4 – المستصفى ، ج 1 / ص 185 .

5 – العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي أبو عبد الله ، دار الكاتب العربي – بيروت ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ص23 .

6 – الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ، مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ، دار الفرقان مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1404 ، تحقيق : نجم عبد الرحمن خلف ، ص36 .

ولعلّ من المجالات التي يغفل عنها الباحثون وبرع فيها ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ؛ مجال اللغة ، يقول ابن كثير -رحمه الله- : " **وكان عالما باختلاف** العلماء ، **عالما في الأصول والفروع والنحو واللغة** ، وغير **ذلك من العلوم النقلية والعقلية** "[1].

ولكن هذه الإشارات لا تكفي للتعريف بالنتاج العلمي لابن تيمية في مجال اللغة ، والذي سنحاول عرض بعض ملامحه من خلال بيان نظريته في السياق وأثرها في تفسير المعاني والدلالات .

قال - رحمه الله - : " فَصْلٌ[فِي النَّوْعُ الثَّانِي الخِلاَفُ الوَاقِعُ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ جِهَةِ الاسْتِدْلاَلِ]

وأما النوع الثاني من مستندي الاختلاف وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل **فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين** - حدثنا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ؛ فإن التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفا لا يكاد يوجد فيها شيء **من** هاتين الجهتين .. إحداهما : قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها ، والثانية : قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به ، فـالأولون " **راعوا المعنى** الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان ، والْآخَرُونَ **رَاعَوْا مُجرد اللفظ ، وما يجوز عندهم أن يريد به الْعَرَبِيُّ من** غَيْر نظر إلى ما يَصْلُحُ لِلْمُتَكَلِّمِ بِهِ وَلِسِيَاقِ الْكَلَامِ "[2].

---

1 – البداية والنهاية للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة 774 هـ .حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى 1408 هـ . 1988 م ، ج 14 / ص 157.

2 – مجموع الفتاوى ، ج13 / ص 355 ، 356 .

بيّن شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ من خلال كلامه هذا تفاسير الناس بعد القرون الثلاثة المفضلة وما وقع فيها من الغلط ، مقارنة بالتفاسير المنقولة عن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، فهذه التفاسير يقلّ أو يندر فيها الغلط ، وذلك لأنهم فسروا القرآن ، فَرَاعَوْا فيه المتكلم به ، وهو الله جل جلاله ، وَرَاعَوْا فيه المخاطب به وهو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وراعَوْا فيه المخاطَبين به أيضا وهم عرب قريش ومن حولهم في أول الأمر أو العرب بعمومهم ، وأيضا رَاعَوْا فيه اللفظ وراعوا فيه السياق ، ولهذا تجد أن تفاسيرهم قد تبتعد في بعض الألفاظ عن المشهور في لغة العرب ؛ لكنها توافق السياق .

أما تفاسير الناس بعد القرون الثلاثة المفضلة فقد كثر فيها الغلط ؛ الذي أدى إلى النزاع والخلاف ، لبعد هذه التفاسير كل البعد عن تلك القواعد والضوابط التي سار عليها سلفنا الصالح في تفسير كلام الله رب العالمين ، من مراعاة اللفظ وما يحمل في طياته من معانٍ ، ومراعاة السياق ومكوناته ، عندها لم يبق للنزاع أثر يقول ابن تيمية – رحمه الله - : " .. فالسياق دل عليه ، وما دل عليه السياق هو ظاهر الخطاب فلا يكون من موارد النزاع "[1] .

وقد تجلى موقف ابن تيمية – رحمه الله – حول السياق من خلال بعض آرائه في تفسير كلام الله عز وجل والتي منها :

- قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[2] .

1 – مجموع الفتاوى ، ج 6 / ص 20 .

2 – النساء/ 37 .

قال ابن تيمية – رحمه الله - : " فوصفهم بالبخل الذي هو البخل بالعلم والبخل بالمال ، وإن كان السياق يدل على أن البخل بالعلم هو المقصود الأكبر فلذلك وصفهم بكتمان العلم في غير آية مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[2] وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾[3] "[4] .

فقد رجح ابن تيمية – رحمه الله – المعنى الثاني للبخل وهو البخل بالعلم ، مستندا في ذلك على دلالة سياق الآية من جهة[5] ، ودلالة سياق القرآن الكريم من جهة أخرى ؛ وذلك أن صفة كتمان العلم المعطوفة على البخل في هذه الآية ذُكرت في مواطن متعددة من القرآن الكريم دون ذكرٍ للبخل فيها ، مما يجعلنا نحمله على الوصف الذي تكرر ذكره ، توبيخا وذما لأصحابه وهو كتمان الحق .

وهذا المعنى رجحه ابن جرير ـ رحمه الله ـ بقوله : " وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ، ما قاله الذين قالوا : إن الله وصف هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في هذه

---

1 – آل عمران: 187 .

2 – البقرة: 159.

3 – البقرة: 174 .

4 – اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم ، ابن تيمية ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الثانية / 1369/ تحقيق : محمد حامد الفقي ، ص 330 .

5 – والمقصود بسياق الآية لحاقها وهو قوله تعالى : چ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ چ[النساء: ٣٧] .

الآية ، بالبخل بتعريف من جهل أمَر محمد ﷺ أنه حقّ ، وأنّ محمدًا لله نبيّ مبعوث ، وغير ذلك من الحق الذي كان الله تعالى ذكره قد بيّنه فيما أوحى إلى أنبيائه من كتبه ، فبخل بتبيينه للناس هؤلاء ، وأمروا من كانت حَاله حالَهم في معرفتهم به : أن يكتموه من جَهل ذلك ، ولا يبينوه للناس "[1].

وقد ذكر لذلك مسوغا يتمثل في قوله: "وإنما قلنا : هذا القول أولى بتأويل الآية ؛ لأن الله جل ثناؤه وصفهم بأنهم يأمرون الناس بالبخل، ولم يبلغنا عن أمة من الأمم أنها كانت تأمُر الناس بالبخل ديانَةً ولا تخلُّقًا ، بل ترى ذلك قبيحًا وتذم فاعله؛ وَتَمتدِحُ - وإن هي تخلّقت بالبخل واستعملته في أنفسها - بالسخاء والجود، وتعده من مكارم الأفعال وتحث عليه .ولذلك قلنا : إنّ بخلهم الذي وصفهم الله به، إنما كان بخلا بالعلم الذي كان الله آتاهموه فبخلوا بتبيينه للناس وكتموه دون البخل بالأموال "[2] .

من خلال هذا الطرح ، ندرك مدى وعي ابن تيمية – رحمه الله – بضرورة السياق في توجيه المعاني ، لذلك كثرت عبارات الترجيح بالسياق في مؤلفاته مثل قوله: " .. ونحو ذلك مما فيه الاستدلال بذلك أجود من الاستدلال بقوله : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ ؛ لأن الكتاب هنا في أشهر القولين - هو اللوح المحفوظ كما يدل عليه السياق في قوله : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ٣٨ ﴾[3]"[4].

---

1 – تفسير الطبري ، ج8 / ص 354 .

2 – تفسير الطبري ، ج8 / ص 355 .

3 – الأنعام/ 38 .

4 – درء تعارض العقل والنقل ، ابن تيمية ، دار الكنوز الأدبية – الرياض ، 1391 ، ت : محمد رشاد سالم ، ج 4 / ص 394 .

وقال - رحمه الله - : " فأما قوله : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾[1].

فإن قوله : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ : أي مبدعهما ، كما ذكر مثل ذلك في البقرة وليس المراد أنهما بديعة سماواته وأرضه كما تحتمله العربية لولا السياق ؛ لأن المقصود نفي ما زعموه من خرق البنين والبنات له ومن كونه اتخذ ولدا وهذا ينتفي بضده كونه أبدع السموات "[2] .

- ابن قيم الجوزية(ت : 751 هـ)

أما ابن القيم ـ رحمه الله ـ فقد حلل دور السياق في تحديد المعنى تحليلا دقيقا فقال – رحمه الله - : " السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة ، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[3] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير "[4] .

وقد ذكر ابن القيم – رحمه الله - أنواعا كثيرة للتأويل الباطل منها : التأويل الذي لم يدل عليه دليل من السياق فقال : " العاشر تأويل اللفظ بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق ولا معه قرينة تقتضيه فإن هذا لا يقصده المبين الهادي بكلامه إذ لو قصده

---

1 – الأنعام / 100/ 101 .

2 – مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ج 2 / ص 444 ، 445

3 – الدخان / 49 .

4 – بدائع الفوائد ، ج 4 / ص 815 .

لحف بالكلام قرائن تدل على المعنى المخالف لظاهره حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ فإن الله سبحانه أنزل كلامه بيانا وهدى فإذا أراد به خلاف ظاهره ولم تحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحد لم يكن بيانا ولا هدى"[1] .

بل إن المتأمل في مؤلفات ابن القيم يجده قد وظف السياق في تحديد المعاني توظيفا محكما يدل على استيعابه لفكرة السياق وحسن توظيفها ، ومن الأمثلة التي يمكن أن توضح ذلك :

أولا : **قال** - رحمه الله - : " **في قوله** : ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴾[2] الصحيح أن الضمير يرجع على الإنسان أي أن الله على رده إليه لقادر يوم القيامة وهو اليوم الذي تبلى فيه السرائر ، ومن قال أن الضمير يرجع على الماء أي إن الله على رجعه في الإحليل أو في الصدر أو حبسه عن الخروج لقادر فقد أبعد وإن كان الله سبحانه قادرا على ذلك ، ولكن السياق يأباه **وطريقة القرآن وهي الا**ستدلال بالمبدأ والنشأة الأولى على المعاد والرجوع **إليه** ، وأيضا فإنه قيده بالظرف وهو يوم تبلى السرائر ، **والمقصود أنه سبحانه دعا الإنسان** أن ينظر في مبدأ خلقه ورزقه فإن ذلك يدله دلالة ظاهرة على معاده ورجوعه إلى ربه "[3] .

فاستدّل ابن القيم - رحمه الله – على بطلان قول من قال بعود الضمير في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴾ على الماء بدلالتين :

---

1 – الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار العاصمة – الرياض ، الطبعة الثالثة ، 1418 – 1998 ، تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله ، ج1 / ص201 .

2 – الطارق/ 8 .

3 – إعلام الموقعين ، ج1 / ص 146 .

أ- دلالة سياق الآية فقد قال الله تعالى بعد هذه الآية : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾[1]، والمراد بذلك يوم القيامة فالذي يعود ويرجع إلى ربه يوم القيامة هو الإنسان **وليس الماء .**

يقول ابن جرير – رحمه الله - : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : إن الله على رد الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماته حيا ، كهيئته قبل مماته لقادر ، وإنما قلت : هذا أولى الأقوال في ذلك بالصواب ؛ **لقوله :** ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩ ﴾[2]فكان في إتباعه قوله:﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ **نبأ من أنباء القيامة ، دلالة** على أن السابق قبلها أيضًا منه ، **ومنه**﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ يقول تعالى ذكره : إنه على إحيائه بعد مماته لقادر يوم تُبلى السرائر ، **فاليوم من صفة الرجع ، لأن المعنى** : إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر "[3].

ب- دلالة سياق القرآن ومقصده العام ؛ فقد جرت طريقة القرآن على الاستدلال بالمبدأ والنشأة الأولى على المعاد والرجوع إليه سبحانه ، ونظيره قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ ﴾ إلى أن قال : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ

---

1 – الطارق/ 9 .

2 – الطارق/ 9 .

3 – تفسير الطبري ، ج 24 / ص 358 .

ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[2] .

وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا المقصد العظيم من مقاصد القرآن الكريم

ومن الأمثلة التي تبين عناية ابن القيم ـ رحمه الله ـ بالسياق ـ أيضا ـ ، تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾[3]. فقد قال – رحمه الله -: " أي كذبكم المعبودون بقولكم فيهم : إنهم آلهة وإنهم شركاء أو بما تقولون إنهم أمروكم بعبادتهم ودعوكم إليها ، وقيل الخطاب للمؤمنين في الدنيا أي : فقد كذبكم أيها المؤمنون هؤلاء المشركون بما تقولونه مما جاء به محمد ﷺ عن الله من التوحيد والإيمان ، والأول أظهر وعليه يدل السياق "[4] .

---

1 – الحج / 7 .

2 – القيامة/ 36 – 45 .

3 – الفرقان/ 19 .

4 – إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابن القيم الجوزية) ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية ، 1395 – 1975 ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ج 2 / ص243

فنلاحظ أنّ ابن القيم – رحمه الله – قد رجح في تأويل هذه الآية ؛ القول الأول وهو أن الخطاب موجه إلى المشركين الذين كانوا يعبدون آلهة من البشر[1] **أو من الملائكة**[2] ، بأنها ستتبرأ منهم وتكذبهم يوم القيامة ، واستبعد القول الثاني وهو أن الخطاب موجه للمؤمنين ، وحجته في ذلك أن السياق يأباه ، ويتمثل هذا السياق في قوله تعالى قبل هذه الآية : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾[3] ثم قال الله تعالى في سياق الخبر عنهم : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾[4] **أي قد كذّبوكم أيّها الكافرون من زعمتم أنهم أضلوكم ، ودعوكم إلى عبادتهم بما تقولون**[5] .

هذا وإن الأمثلة التي تبين أهمية السياق في تحديد المعاني عند ابن القيم - رحمه الله - كثيرة جدا ، تجدها مبثوثة في كتبه المتنوعة ، يأتي في مقدمتها كتاب **"بدائع الفوائد"** الذي ذكر فيه جملة من الآيات ؛ تحمل في طياتها فوائد عظيمة وصل إليها – رحمه الله – **من خلال توظيفه المحكم لفكرة السياق .**

---

1 – كعيسى ابن مريم وفيه قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦]

2 – وفيهم قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سبأ: ٤٠ – ٤١]

3 – الفرقان: 17 – 18 .

4 – الفرقان: 19.

5 – تفسير الطبري ، ج19 / ص250 .

- الزركشي (ت : 794 هـ)

أفرد الزركشي ـ رحمه الله ـ فصلا مستقلا في كتابه " البحر المحيط في أصول الفقه " تحت عنوان " دلالة السياق " وقال -رحمه الله- : " أَنكَرَهَا بَعْضُهُمْ ، وَمَنْ جَهِلَ شَيْئًا أَنكَرَهُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إنَّهَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا فِي مَجَارِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى "[1] .

وقد أورد الزركشي ـ رحمه الله ـ في كتابه " البرهان في علوم القرآن " **فصلا عنوانه: "فصل في ذكر الأمور التي تعين على المعنى عند الإشكال " ، فكان منها قوله: "** الرابع : دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته "[2] .

ومما يبين اقتناع الزركشي ـ رحمه الله ـ بفكرة السياق وأثرها في تحديد المعنى استدلاله بكلام نفيس للشيخ العزّ بن عبد السلام والذي نصّه : " السِّيَاقُ يُرْشِدُ إِلَى تَبْيِينِ الْمُجْمَلَاتِ وَتَرْجِيحِ الْمُحْتَمَلَاتِ وَتَقْرِيرِ الْوَاضِحَاتِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِعُرْفِ الِاسْتِعْمَالِ ، فَكُلُّ صِفَةٍ وَقَعَتْ فِي سِيَاقِ الْمَدْحِ كَانَتْ مَدْحًا ، وَإِنْ كَانَتْ بِالْوَضْعِ ، وَكُلُّ صِفَةٍ وَقَعَتْ فِي سِياقِ الذم كانت ذما وإن كانت مدحا بِالوضعِ"[3] .

وقد ضرب لذلك مثالا يتمثل في قوله تعالى : ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾[4]، فلفظ العزيز الكريم هو صفة مدح ، ولكنها صارت ذما لورودها في سياق الذم

---

1 – البحر المحيط في أصول الفقه ، ج4 / ص357 .

2 – البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج 2/ ص200 .

3 – البحر المحيط ، الزركشي، ج4/ ص357 .

4 – الدخان/ 49 .

وهو قوله تعالى قبلها : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ﴾[1].

ثم إن السياق عند الزركشي ـ رحمه الله ـ يعتبر حجة قويّة ، احتج بها بعض العلماء على كثير من المسائل منها : عدم جواز رجوع الواهب في هبته ، قال الإمام الزركشي ـ رحمه الله ـ : " وَقَدْ احْتَجَّ بِهَا – دلالة السياق - أَحْمَدُ عَلَى الشَّافعيِّ فِي أَنَّ الْوَاهِبَ لَيْسَ لَهُ الرُّجُوعُ مِنْ حَدِيثِ ((الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ))[2] حَيْثُ قَالَ الشَّافِعِيُّ : هَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الرُّجُوعِ ، إذْ قَيْءُ الْكَلْبِ لَيْسَ مُحَرَّمًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ أَحْمَدُ : أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ فِيهِ : ((لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ)) ، ((الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ)) الْحَدِيثُ ، وَهَذَا مَثَلُ سَوْءٍ فَلَا يَكُونُ لَنَا "[3].

إنّ اهتمام الإمام الزركشي ـ رحمه الله ـ بالسياق جعله يثني على الزمخشري– رحمه الله – ، ويضرب به المثل في مراعاة نظم الكلام لتحديد المعنى فقال : " ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز ، ولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمدا حتى كأن غيره مطروح "[4].

1 – الدخان/ 43 – 48 .

2 – الحديث بهذه الزيادة أخرجه البخاري (2 / 344) ، والنسائي (6/ 587)والترمذي (3 / 592) ، والبيهقي(2/ 430) وأحمد (1 / 217) وقال الترمذي : " حديث حسن صحيح " .

3 – البحر المحيط ، الزركشي ، ج4/ 375 .

4 – البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج2 / ص317 .

- البقاعي (ت :885 هـ)

إنّ الناظر في كتاب " نظم الدرر في تناسب الآي والسور " يدرك عناية البقاعي- رحمه الله – بالسياق ، وكيف وظفه توظيفا دقيقا محكما ، جعل العلماء ينبهرون بنظمه ، ويشهدون بفضله قال محيي الدين الكافييجي ـ رحمه الله ـ[1] : " ولقد تأمل العبد الفقير فيه حق التأمل كما ينبغي في مواضع كثيرة ، فوجده ممتلئًا بأجناس درر نفيسة منظومة متناسبة عالية ، ومتوجا بأصناف فصوص لامعة غالية ومناسبا صدره عجزه ومقرونا بلطائف دقائق المعاني والفحوى مع رعاية السياق والسباق ، ولأجل هذا صار مثلا مشهورا في البلدان والآفاق ما عامَ أحَدٌ من الفضلاء والعلماء في بحره سوى العالم العلامة الشيخ الإمام الهمام شرف السلف خير الخلف المدرس المؤلف المفتى برهان الدين أبو الحسن إبراهيم الشهير بالبقاعي.."[2] .

فالسياق والسباق هما العنصران المهمّان في تفسير الإمام البقاعي ، وأكبر دليل على ذلك أنّ معرفة المناسبة بين الآية وأختها لا يمكن الوصول إليه إلا بعد معرفة السابق واللاحق وهما مجموع السياق .

والأمثلة التي تبين ذلك من كتاب نظم الدرر كثيرة منها : قوله – رحمه الله – وهو يبين سرّ ورود كلمة ﴿ خَطَـٰيَـٰكُمْ ﴾[3] بالجمع : " ولما كان السياق هنا لتعداد النعم

---

1 – محي الدين محمد بن سليمان 1386 ـ 1474 م / كرس مجالاً كبيراً في مؤلفاته عن معضلات التاريخ ومن أشهر كتبه " المختصر في علم التاريخ ".

2 – ينظر كتاب الإِمَامُ البِقَاعِيّ جهادُه ومنهاجُ تأوِيله بلاغة القرْآن الكَرِيم ، ص 65 .

3 – البقرة / 58 .

حسن أن يعبر عن ذنوبهم بجمع الكثرة فقال : ﴿ خَطَٰيَٰكُمۡۚ ﴾ إشارة إلى أنهم أصروا عليها بحيث كادوا أن يجعلوا بإزاء كل نعمة ذنباً "(1) .

بل رجح الإمام البقاعي – رحمه الله – الكثير من المعاني على غيرها في تأويل كلام الله عز وجل ، معتمدا في ذلك على دلالة السياق منها : تأويله لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾(2) ، بأن الخطاب هنا موجه للكفار الذين استحلوا أكل الربا فقال: "ولما كان السياق بما أرشد إليه التعليل بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ ﴾(3) دالاً على أن الآية في الكفرة ، وأن المراد بالأكل الاستحلال أكد ذلك بقوله: ﴿ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾ أي من قبيح ما ارتكبه بعد أن كان عليه ولا يتبعه شيء من جريرته لأن الإسلام يجب ما قبله وتوبة المؤمن لا تجب المظالم"(4) .

فأفاد السياق – من خلال ما ذكره البقاعي ـ رحمه الله ـ – فائدتين مهمتين كانت الثانية منهما فرعا عن الأولى .

أما الفائدة الأولى : أنّ المخاطب بالآية هم الكفار وليس أهل الإيمان العصاة؛ لأنّ الله تبارك وتعالى علّل هذا الحكم بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ

1 – نظم الدرر ، ج3/ ص132 .

2 – البقرة/ 275 .

3 – البقرة/ 275 .

4 – نظم الدرر ، ج3/ ص132 .

ٱلرِّبَوٰاْۗ ﴾[1] ، وهذا حكم لا يمكن أن يقول به مؤمن ، وإنما هو من صنيع الكفار الذين جاء وصفهم في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2] .

قال القرطبي – رحمه الله – : " قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ ﴾[3] معناه عند جميع المتأولين في الكفار "[4] .

وممّا يؤكد ذلك قوله تعالى في هذا السياق : ﴿ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾ ، وهي فائدتنا الثانية : أن الكافر إذا تاب لا يُتابع على ما اكتسبه من الربا لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وهو ما عبر عنه البقاعي بقوله : " أي من قبيح ما ارتكبه بعد أن كان عليه ولا يتبعه شيء من جريرته ؛ لأن الإسلام يجب ما قبله ، وتوبة المؤمن لا تجب المظالم "[5] .

وقد رجحه القرطبي – رحمه الله – فقال : " ﴿ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾ أي من أمر الربا لا تباعة عليه منه في الدنيا ولا في الآخرة ، قاله السدي وغيره ، وهذا حكم من الله تعالى لمن أسلم من كفار قريش وثقيف ومن كان يتجر هنالك "[6].

---

1 – البقرة/ 275 .

2 – التوبة / 37 .

3 – البقرة / 275 .

4 – تفسير القرطبي ، ج3/ ص355 .

5 – نظم الدرر ، ج3/ ص132 .

6 – تفسير القرطبي ، ج3 / ص361 .

إذن فالحكم باستباحة المال المكتسب من الربا بعد التوبة ، إنما هو خاص بمن أسلم وتاب من الكفار ، ولا دخل لعصاة المؤمنين في هذا الخطاب ، قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : " ولهم – أي الكفار - قيل: ﴿ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾ ولا يقال ذلك لمؤمن عاص بل ينقض بيعه ويرد فعله وإن كان جاهلا ، فلذلك قال ﷺ : ((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)) [1] "[2] .

وإن ممّا يدل على اهتمام البقاعي ـ رحمه الله ـ بالسياق أنّه جعله من الأمور التي يُحدد بها معاني الألفاظ ، وهذا دليل على بلاغة القرآن ، قال – رحمه الله – وهو يبين المراد من السَنَة في قوله تعالى : ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [3] : " وهذا المعنى وإن كان موجوداً في الحول والعام والحجة غير أن مأخذ الاشتقاق ملاحظ في الجملة ، فلبلاغة القرآن لا يطلق واحد من هذه الألفاظ إلا فيما يناسب السياق من أصل اشتقاق هذه الألفاظ ، فهذا السياق لما كان المراد به ذمهم بتهالكهم على بقائهم في الدنيا على أي حالة كانت علماً منهم بأنها ولو كانت أسوأ الأحوال خير لهم مما بعد الموت لتحقق شقائهم عبر بها منه الإسنات وهو القحط وسوء الزمان ، أو ما منه الدوران الذي فيه كد وتعب إن كان أصلها من سنا يسنو إذا دار حول البئر "[4] .

1 – أخرجه مسلم (3/ 1343 ، رقم 1718)، أحمد (6/ 146 ، رقم 25171)

2 – تفسير القرطبي ، ج3 / 355 .

3 – البقرة / 96 .

4 – نظم الدرر ، ج2 / ص63 .

المبحث الأوّل

مـفهــوم التكـرار

المطلب الأوّل

التكـــرار لـغــة

قال ابن منظور ـ رحمه الله ـ : " لكر مصدر كر عليه يكر كرا ، وكرورا ، وَتكرارًا: عطف وكَرَّ عنه : رجع ، وكَرَّ على العدو يكُر ، ورجل كرار ومِكر وكذلك الفرس وكَرَّرَ الشيء وكَرْكَرَه أعاده مرة بعد أخرى ، والكرَّة : المرّة ، والجمع : كرات ، ويقال كرْرت عليه الحديث ، وكركرته إذا رددْته عليه ، وكركرته عن كذا كركرة إذا رددته والكر : الرجوع على الشيء ، ومنه التكرار " [1] .

وقال صاحب تاج العروس : " الكرُّ الرجوع على الشيء ، ومنه التكرار يقال كره وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى ، وكركرته من كذا كرْكَرَةً إذا رددته ، والكّرُّة : البعث وتجديد الخلق بعد الفناء " [2] .

وقال الفيروزبادي ـ رحمه الله ـ : " كر عليه كرا وكرورا وتِكرارا عطف ، وعنه رجع فهو كَرَّارٌ ومِكَرٌّ بكسر الميم ، وكَرَّره تكْرِيرا وتكرارا ، وتلكِرَةً كتحِلَّةٍ ، وكرْكَرَهُ أعاده مرّةً بعد أخرى " [3] .

---

1 – لسان العرب ، ج 5 / ص 135 .

2 – تاج العروس ، ج14 / ص 33.

3 – القاموس المحيط ، ج2 / ص 124 .

من خلال استقراء هذه الآراء المعجمية اللغوية نخلص إلى أن مادة التكـرار:

(ك . ر . ر) تدور حول معنيين اثنين : أولهما الإعادة ، وثانيهما الرجوع .

فمن الأول قول الشاعر :

كررتُ عليهِ الحلمَ حتّى تبدّلت *** جرائمُهُ من خجلةٍ بالمعاذرِ [1] .

ومنه أفناه كَرُّ الليل و النهار أي عودهما مرة بعد أخرى ، و منه اشتقّ تَكْرِيُر الشيء وهو إعادته مرارا [2] .

1 – ديوان حيص بيص. ، حققه مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، سلسلة كتب التراث، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد، 1974م ، ج1/ ض101. حيص بيص هو سعد بن سعد الملقب شهاب الدين أبو الفوارس المعروف بحيص بيص له ديوان شعر مشهور توفي يوم الثلاثاء خامس شهر شعبان من سنة 574هـ وله ثنتان وثمانون سنة وصلى عليه بالنظامية ودفن بباب التبن ولم يعقب ، وقد ذكر أبو سعد السمعاني حيص بيص هذا في ذيله وأثنى عليه وسمع عليه ديوانه ورسائله ،وأثنى على رسائله القاضي ابن خلكان وقال كان فيه تيه وتعاظم ولا يتكلم إلا معربا وكان فقيها شافعي المذهب واشتغل بالخلاف وعلم النظر ثم تشاغل عن ذلك كله بالشعر وكان من أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف لغاتهم قال :وإنما قيل له الحيص بيص لأنه رأى الناس في حركة واختلاط فقال ما للناس في حيص بيص أي في شر وهرج فغلب عليه هذه الكلمة.انظر البداية والنهاية ، ج12/ ص370 .

2 – المصباح المنير ، ج2 / ص530 .

غير أنّ ثمة بونٌ بين التكرار والإعادة ذلك أن التكرار يقع على إعادة الشيء مرة وعلى إعادته مرات والإعادة للمرة الواحد [1] .

ومن الثاني قوله الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ ﴾ [2] .

يقول ابن جرير ـ رحمه الله ـ في تفسيره : " يعني " بالكرة " ، الرجعةَ إلى الدنيا، من قول القائل : "كررت على القوم اكر كرا" ، و" الكرة " المرة الواحدة ، وذلك إذا حمل عليهم راجعًا عليهم بعد الانصراف عنهم ، كما قال الأخطل :

وَلَقَدْ عَطَفْنَ عَلَى فَدَارَةَ عَطْفَةً *** كَرَّ المَنِيحِ ، وَجُلْنَ ثَمَّ مَجَالا [3] "[4] .

ومنها قوله ﷺ : " الله الله والكَرَّة على نبيّكم " أي اتقوا الله وأكروا الكرة إليه: أي ارجعوا إليه " [5] .

ومنه الكَرُّ والفر وهو أسلوب من أساليب الحرب ومعناه الرجوع على العدو بعد التظاهر بالفرار .

---

1 – الفروق اللغوية أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري وكنيته أبوهلال، ولد عام 920م، وتوفي عام 1005م. ، تنظيم: الشيخ بيت الله بيات ، مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، السنة : 1412 هـ ، ص138 .

2 – البقرة/ 167 .

3 ـ ديوان الأخطل ، غياث بن غوث بن طارقة أبو مالك الأخطل ، المحقق مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة : 2 ، السنة : 1414 هـ/ 1994م ، ص 249.

4 ـ تفسير الطبري ، ج3 / ص293 .

5 – المغرب في ترتيب المعرب ، *المطرزي*: المُطَرِّزي (538 – 610هـ بالجرجانية عاصمة خوارزم ،وتوفي سنة: 1143 – 1213م). أبوالفتح برهان الدين ناصر بن أبي المكارم عبد السيد المزيد عن المطرزي. ، مكتبة أسامة بن زيد – حلب ، الطبعة الأولى ، 1979 ، ج2 / ص 214 .

جاء في المصباح المنير : " (كر) الفارس (كرا) من باب قتل إذا فر للجولان ثم عاد للقتال ، و الجواد يصلح (لِلْكَر والفر) " [1] .

فّر ابن مطيع يوم الحرّة ، وسار إلى ابن الزبير ، فلما قوتل ابن الزبير ، جعل يجتهد معه في القتال ، ويقول :

أنا الذي فررت يوم الحرّة ... والحـرّ لا يفرّ إلا مـرّة .

فاليوم أجزى فـرّة بكرّة ... يا حبّـذا الكرّة بعد الفرّة [2].

و إلى هذا المعنى ذهب صاحب كتاب العين فقال : " الكر الرجوع عليه ومنه التكرار "[3].

إذن فالإعادة والرجوع هما المعنيان القريبان من مدلول كلمة تكرار ويظهر ذلك جليا من خلال الوقوف على حد التكرار في الاصطلاح إذ هو إعادة اللفظ بعد ذكره مرة أخرى ، أو رجوع معنى اللفظ الثاني إلى الأول ، وسيأتي الكلام عن هذا في محله .

إلا أن ثمة نقطة لا بد من التعرض إليها ، ونحن نتحدث عن هذا المبحث اللغوي ؛ ألا وهي التفريق بين المصطلحات التي أطلقت على موضوع التكرار .

---

1 – المصباح المنير ، ج 2 / ص530 .

2 – البداية والنهاية ، ج8 / 380 .

3 – كتاب العين ، أبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري 100هـ718/ م 173 – هـ791/ م" وهو عربي النسب من الأزد، ولد في عُمان عام 100هـ، وهو مؤسس علم العروض ومعلم سيبويه وواضع أول معجم للغة العربية وهو العين ، دار ومكتبة الهلال ، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي ، ج5 / ص 277 .

فهناك مصطلحات تقترب في دلالتها اللغوية لمسمى التكرار ، كالتِكرار - بكسر التاء - والتكرير ، حتى إنك تجد العلماء قد اختلفوا في تسمية هذا الموضوع فمنهم من يسميه تكرارا - وهم أكثر العلماء - ومنهم من يسميه تكريرا ، كابن الأثير ، والسيوطي وغيرهم ، ومنهم من يطلق عليه اسم المتشابه اللفظي ، كالكرماني ، أو تصريف القول كالرّماني .

ولهذا لابد من عقد مقارنة بين هذه المصطلحات المتقاربة للوصول إلى سر اختلافهم في تحديد مسمى هذا الموضوع من جهة ، ولضبط استخدام هذه الألفاظ من جهة أخرى .

وأول مقارنة أعقدها ، تكون بين التكرار والتكرير والتِكرار ؛ لأن هذه المقارنة تنسجم مع هذا المبحث اللغوي ، وأما المقارنة الثانية فستكون بين التكرار وغيره من المصطلحات التي تخالفه في الاسم وتقاربه في المعنى ، ومحل هذه المقارنة في المبحث الاصطلاحي .

المطلب الثاني

الفرق بين التكرار والتكرير والتِكرار

التكرير على وزن " تفعيل " مصدر قياسي للفعل الرباعي: كرَّر (مضعف العين) ، كالتثويب لثوب يثوب تثويبا ، قال عباس حسن ـ رحمه الله ـ : " إن كان رباعيا على وزن: "فعَّل" مضاعف العين ، صحيح اللام " أي: صحيح الآخر" غير مهموزها ، فمصدره القياسي : " تفعيل " مثل: قوم تقويمًا ، وقصَّر تقصيرًا "[1] .

وأما التَكرار بفتح التاء فهو مصدر ولا شك ؛ لكن هل هو مصدر سماعي لـ : كرر الثلاثي ، أم هو صورة أخرى للمصدر القياسي " تكرير " فتحت راؤه فانقلبت " الياء " " ألفا " قولان عند علماء الصرف .

فقد ذهب الكوفيون إلى أنه مصدر فعّل والألف عوض عن الياء في التفعيل ، قال عبد القادر الحسيني ـ رحمه الله ـ : " ومنها َتفعال بفتح التاء المثناة من فوق فسكون العين ، وهو قياسي في المصدر المضعف فلذا يطلقه نحو : تجول تجوالا وطوف تطوافا"[2].

بينما ذهب سيبويه إلى أن التكرار على وزن تَفعال – بفتح التاء - هو مصدر غير قياسي بخلاف التفعيل ، وتعقب أصحاب القول الأول بأنهم قالوا التَّلعاب ولم يجئ التلعيب ، قال سبويه : " وأما التِّبيان فليس ببناء مبالغة ، وإلاّ انفتح تاؤه ، بل هو اسم

1ـ النحو الوافي ، عباس حسن (المتوفى : 1398هـ) ، دار المعارف ، الطبعة 15 ، ج3 / ص198 .

2ـ فلك القاموس ، عبد القادر الحسيني ، ت إبراهيم السامرائي ، دار الجيل ، بيروت ، سنة 1414هـ ، ص77 .

أقيم مقام مصدر ، بيّن كما أقيم غارة مقام إغارة في قولهم أغرت غارة ونبات موضع إنبات وعطاء موضع إعطاء في قولهم أنبت نباتاً، وأعطى عطاءً"[1].

وقد يُعترض عليه بجوابين :

الأول منهما : أن هذا مما رفض أصله ، قال سلامة الأنباري في شرح المقامات: " كل ما ورد عن العرب من المصادر على تفعال فهو بفتح التاء إلا لفظتين ، وهما تِبيان وتِلقاء " [2].

قال الحسيني ـ رحمه الله ـ : " وليس في الكلام هذا الوزن مكسور العين ، إلا في إحدى لغتي التبيان مصدرا والتلقاء اسما "[3] .

الثاني : أن صاحب اللسان أورد لهذا نظيرا فقال : " العَدّ : إحصاء الشيء : عدَّه ، يعده : عدا ، وتعدادا ، وعده ، وعدده "[4] .

فذِكره " عَدّ " في هذا السياق جعل " تعدادا " يحتمل أن يكون مصدرا ، لـ :

[redacted] عد ، او عدد ، وهو مؤذن بانه جعل المصادر الثلاثه [عدا ، وتعدادا ، وعده] للفعلين ، الثلاثي والرباعي على سواء .

---

1 ـ شرح شافية ابن الحاجب ، محمّد بن الحسن رضي الدين *الأستراباذي* نسبة إلى أستراباذ من أعمال طبرستان في شمالي فارس ولُقِّبَ بنجم الأئمة ، واحد من أفذاذ المحقِّقين في علم العربيّة ، توفي سنة686هـ ، بيروت ، 1395هـ- 1975 م ، ج1 / ص128 .

2 ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار الكتب ، العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، 1998 ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، ج2 / ص96 .

3 ـ فلك القاموس ، ص77 .

4ـ لسان العرب ، ج3 / ص 281 .

ومن هنا نقول : إن " تَكراراً " - بالفتح - مصدر لمطاوع كرر وهو تكرر [بوزن تفعل] ويقوي هذا المعنى ما ذكره صاحب القاموس حين قال : " كر عليه كرا وكُرورًا وتِكرارًا عطف ، وعنه رجع ... وكَرَّره تَكْرِيرًا وتكرارا ، وتَكِرَّةً كَتحِلَّةٍ ، وكركرهُ أعاده مرَّةً بعد أخرى " [1].

أما التِكرار بالكسر (على وزن تِفعال) هو اسم للكلام أو للشيء المكرر ، قال الجوهري ـ رحمه الله ـ : " قال أبو سعيد الضرير : قلتُ لأبي عمرو : ما بين تَفْعَال وتِفْعال ؟ فقال : تِفْعال اسمٌ بالكسر وتَفْعَالٌ بالفتح مصدر "[2] .

وإن العرب أدركت الملمح الدلالي في هذه الصيغ وغيرها ، عندما تتغير صيغ اشتقاقها ، فإذا كان تَكرار ـ بالفتح على وزن تَفعال ـ مصدرا ، وتِكرار بالكسر على وزن تِفعال اسما ؛ كان الفرق بينهما أن المصدر فيه معنى المبالغة والتكثير ، قال عباس حسن : " وجيء بالمصدر على ذلك الوزن للتكثير "[3] .

الخلاصة : أن كلاً من : ((التكرير)) و((التكرار)) يصلح أن يكون مصطلحا على هذه الظاهرة الأسلوبية ، والفرق بينهما : أن التكرير هو عمل المتكلم المنشئ ، والتَّكرار هو: أثر عمله الذي يصبح به الكلام مكررا ، والتِّكرار بالكسر هو: اسم للكلام الذي حدث فيه التكرار[4] .

1 - القاموس المحيط ، ج2 / ص 124 .

2 ـ ينظر الصحاح ، ج2 / ص805 .

3ـ النحو الوافي ، ص200 .

4 ـ التكرار بلاغة ، د/ محمد عبد الله الخولى ، دار النشر : الشركة العربية للطباعة والنشر، ابريل 1993 ، ص3 .

المطلب الثالث

التعريف الاصطلاحي للتكرار

بعد تعريف التكرار في لغة العرب ، وأنه مطلق الإعادة والرجوع ، تتجلى العلاقة بين هذا المعنى ، والمعنى الاصطلاحي .

قال صاحب المثل السائر : " وحده - التكرير - دلالة اللفظ على المعنى مرددا" [1] ، وقال في موضع آخر ، وهو يبين الفرق بينه وبين الإطناب : " وأما التكرار دلالة على المعنى مرددا ، كقولك لمن تستدعيه : أسرع أسرع ، فإن المعنى مردد واللفظ واحد " [2].

والمقصود بـ " اللفظ " في تعريف ابن الأثير ـ رحمه الله ـ الملفوظ من الكلام قلّ أو كثر لا اللفظ الواحد ؛ لأن التكرار يكون في الألفاظ كما يكون في الجمل ، لذلك تراه يمثل للنوعين معا.

ولعلّ ابن القيم ـ رحمه الله ـ كان تعريفه للتكرار أكثر وضوحا حين حدّه بقوله: " فحقيقة التكرار أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا أو يأتي بمعنى ثم يعيده ، وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول "[3].

---

1 – المثل السائر ، ابن الأثير "عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري 555 630–هـ المعروف بـ ابن الأثير الجزري، مؤرخ إسلامي كبير، عاصر دولة صلاح الدين الأيوبي، ورصد أحداثها ويعد كتابه الكامل في التاريخ مرجعا لتلك الفترة من التاريخ الإسلامي"، ت: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، السنة: 1995، ج2 / ص 146.

2 – المصدر نفسه، ج2 / ص120.

3 – الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزية دار الكتب العلمية ،الطبعة 1، السنة: 1982م ، ص163.

وقال السيوطي ـ رحمه الله ـ : " إن التكرار هو تجديد للفظ الأول ، ويفيد ضربا من التأكيد"[1].

ومقصوده بالتأكيد ها هنا ؛ التأكيد الصناعي ، الذي من ضروبه التأكيد اللفظي وهو تكرار اللفظ الأول[2] وقال السيوطي أيضا: " التكرير، وهو أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة خلافا لبعض لمن غلط "[3].

وقد قرَّر الفرْقَ بينهُما جماعةٌ من عُلماء البَلاغة ، وممَّا فرَّقوا به بينهما : أنَّ التأكيد شَرْطُه الاتِّصال وأنْ لا يُزاد على ثلاثة ، والتَّكْرارُ يُخالِفُه في الأمرَيْن ، ومن ثم بَنَوْا على ذلك أنَّ قَوْلُهُ تَعالى : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[4] تَكْرار لا تأكيد ؛ لأنَّها زادَتْ على ثلاثة وكذا قولُه تعالى : ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾[5] "[6] .

وقال صاحب تاج العروس: " قال شيخنا : معنى كرر الشيء أي كرره فعلا كان أو قولا ، وتفسيره في كتب المعاني بذكر الشيء مرة أو أخرى اصطلاح منهم لا لغة" [7] .

وهو المعنى الذي ذهب إليه صاحب كتاب التعريفات حين قال : " التكرار عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى " [8] .

1ـ الإتقان في علوم القرآن ، ص551 .

2ـ نفسه ، ص551 .

3ـ نفسه ، ص553 .

4 – الرحمن/ 13.

5 – المرسلات/ 19.

6ـ ينظر تاج العروس ، ج14 / ص 28 .

7ـ تاج العروس ، ج14 / ص27 .

8 ـ التعريفات ، ج 1 / ص 90 .

وإن تعريف المحدثين للتكرار لا يختلف كثيرا عن تعريف القدماء ، **ففي معجم** المصطلحات العربية في اللغة العربية : " التكرار هو الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني ، والتكرار هو أساس الإيقاع بجميع صوره ، فنجده في الموسيقى بطبيعة الحال ، كما نجده أساسا لنظرية القافية في الشعر "[1] .

وفي تعريف آخر : " يعتبر التكرار وسيلة أساسية من وسائل الصنعة الفنية ، فبحور الشعر والنبر والإيقاع في النظم وسائل تكرارية ، وقد امتد استعمال المصطلح إلى علوم اللغة أخيرا وإلى علم السرد "[2] .

هذه التعريفات وغيرها تدل على أنّ العلماء قد اجتمعت كلمتهم في حدّ التكرار بأنّه إعادة الكلمة أو الجملة مرة بعد أخرى ، لمعانٍ متعددة .

1 – معجم االمصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة ، وكامل المهندس ، الطبعة الثانية ، مكتبة لبنان 1984، ص 117 – 118

2 – المصطلحات الأدبية الحديثة – د/ محمد عناني ، الطبعة : الأولى ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، السنة : 1996 ، ص91 .

المطلب الرابع

الفرق بين التكرار والمتشابه وتصريف القول

بعد أن وقفنا على حدِّ التكرار في اللغة ، وبينا الفرق بينه وبين التكرير والتِكرار، جاء دور بيان الفرق بينه وبين المصطلحات التي تخالفه في الاسم وتقاربه في المعنى .

أولا : الفرق بين التكرار والمتشابه .

إنّ أول ما يشير إلى الفرق بينهما هو كلام الخطيب الاسكافي ـ رحمه الله ـ وهو يبين سبب تصنيفه لمصنفه (درة التنزيل وغرة التأويل) فقال : "..تدعوني دواع قويّة ، يبعثها نظر ورويّة ، في الآيات المتكرّرة ، بالكلمات المتّفقة ، والمختلفة ، وحروفها المتشابهة المتعلّقة والمنحرفة "[1] .

فدلّ كلامه ـ رحمه الله ـ على أن تكرار الآيات قسمان : متفق الألفاظ ، ومختلف الألفاظ .

أما متفق الألفاظ من غير زيادة ولا نقصان أو تقديم أو تأخير : **فهو عين التكرار ، لذلك عرفه بعضهم بقوله :** " هو إعادة العبارة بنصها في سياق واحد ، **لغرض** يستدعي إعادتها ، وفي مقام يقتضي هذه الإعادة "[2] .

وأما مختلف الألفاظ بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير: **فهو المتشابه اللفظي،** ولهذا حدّه الكرماني ـ رحمه الله ـ وهو يعرف كتابه **بقوله : " فإن هذا كتاب أذكر فيه**

1 ـ درة التنزيل وغرة التأويل ، ج1 / ص217 .

2 ـ التكرار بلاغة ، ص21 .

الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة ، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان ، أو تقديم أو تأخير ،أو إبدال حرف مكان حرف ،أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين ، أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبين ما السبب في تكرارها ، والفائدة في إعادتها ، وما الموجب للزيادة والنقصان ، والتقديم والتأخير والإبدال ، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى ، وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا ؟ "[1] .

وهو التعريف الذي انتهى إليه الزركشي ـ رحمه الله ـ بقوله : " وهو ـ المتشابه ـ إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة ويكثر في إيراد القصص والأنباء "[2] .

من خلال هذا الطرح يتجلى الفرق بين التكرار والمتشابه في : أن التكرار يكون بإعادة الكلام بعينه من غير زيادة أو نقصان ، أو تقديم أو تأخير ، وأما المتشابه فيكون بإعادة الكلام في موضوع واحد مع اختلاف في لفظه أو نظمه .

هذا الفرق مشى عليه كثير من العلماء كالكرماني ، والزبير الغرناطي ، وابن جماعة ، والأنصاري وغيرهم .

---

1 ـ أسرار التكرار في القرآن الكريم ، ص17 .

2 ـ البرهان في علوم القرآن ، ج1 / ص112 .

ولكن من أمعن النظر في كلامهم وجد أن المتشابه إنما هو فرع عن التكرار قال ابن جرير في تعريفه للمتشابه :"**هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور**، بقَصّه باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني،وبقصّه باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني "[1] .

فابن جرير ـ رحمه الله ـ قسم المتشابه إلى قسمين : متشابه :

أ- قصّه باتفاق اللفظ واختلاف المعنى : **وهو عين التكرار .**

ب- قصّه باختلاف اللفظ واتفاق المعنى : وهو ضرب من ضروب التكرار ، **قال** ابن الأثير ـ رحمه الله ـ : " **وهو ينقسم قسمين** : أحدهما **يوجد في اللفظ والمعنى ، والآخر** يوجد في المعنى دون اللفظ "[2] **.**

ويشهد لهذا المعنى ؛ كلام الخطيب الاسكافي ـ رحمه الله ـ **السابق حين قال**: ".. في **الآيات المتكرّرة** ، بالكلمات المتّفقة ، والمختلفة "[3] **.**

فدلّ كلامه هذا على أنّ المتشابه اللفظي ـ المتمثل في الكلمات المختلفة ـ يدخل في مسمى التكرار .

ثانيا : الفرق بين التكرار وتصريف القول (التصريف البياني).

الفرق بينهما كالفرق بين التكرار والمتشابه ؛ لأن تصريف القول عُرف عند أهل العلم بـ "متشابه النظم "[4]وحدّه : **أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ وبطرق مختلفة بمقدرة فائقة خارقة تنقطع في حلبتها أنفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء**"[5] **.**

1 ـ تفسير الطبري ، ج6 / ص178 .

2 – المثل السائر ، ج 2 / ص 146 .

3 ـ درة التنزيل وغرة التأويل ، ج1 / ص217 .

4 ـ الإِمَامُ البِقَاعِيّ جهادُه ومنهاجُ تأوِيله بلاغة القرْآن الكَرِيم ، ص301 .

5 ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني (1367هـ) ، الطبعة 3 ، ج2 / ص318 .

فما قيل عن الفرق بين التكرار والمتشابه ، يقال عن الفرق بين التكرار وتصريف القول .

ولكن قد يقول قائل : ما الفرق بين المتشابه وتصريف القول ؟.

يقول د/ محمد سعد : " **والحقّ أنّ** "التصريف البيانيّ" **عندي أوسع مجالا من "متشابه النظم"** : متشابه النظم **أذهب** إلى **أنّه** يجدر به **أن يكون مصطلحا لما تشابه من البيان في علاقاته النظمية من تقديم** وتأخير ، **وفصل ووصل ، وذكر وحذف** في بناء الجملة **أو الآية أو المعقد أو السورة** ..والتصريف البيانيّ **يشمل هذا مضمومًا** إلى **التشابه الذي مرده اختيار كلمة مكان أخرى(انفجرت : انبجست)** (قضى: كتب) ، (**حلف : أقسم**) ، (**سنة : عام**) ، (زوج : **امرأة**) ، (**أنزل : نزّل**) ،...إلخ "[1] .

فلنا أن نقول : إن تصريف القول فرع عن المتشابه اللفظي وجزء منه ، إلا أنّه يشغل مجالا أوسع من مجال المتشابه ، وذلك أنه يتناول مدلولات الألفاظ .

الخلاصة : إذا أعيد الكلام فاتفق لفظه ونظمه فهو تكرار محض ليس للمتشابه منه شيء ، وإذا أعيد فاختلف نظمه دون لفظه فهو متشابه ، وإذا أعيد فاختلف لفظه ونظمه فهو تصريف بياني ، فكل الأنواع تدخل في مسمى التكرار ، والعلاقة بينهم علاقة عموم وخصوص .

---

1 ـ الإمَامُ البِقَاعيّ جهادُه ومنهاجُ تأوِيله بلاغة القرْآن الكَرِيم ، ص301 .

المبحث الثاني

آراء العلماء في التكرار

لقد بذل المسلمون كل جهد في تفسير التكرار الوارد في القرآن الكريم ، فتفرقت بهم السبل وتعددت الآراء التي اهتدوا إليها ، فمنهم من نفى التكرار عن كلام الله جملة وتفصيلا ، وأعلن أن ما بعد الجملة الأولى ذو معنى مختلف عنها ، وبالتالي لا تكرار موجود ، وكان منهم من نفاه مستندا إلى علل تهدر وجوده أو تزهد من قيمته ، ومنهم من أقرّ بوجوده لعلل تجعل وجوده ضرورة أو مستحبا أو جائزا ، ومنهم من رأى أنّه ضرب من ضروب الإعجاز ، ووجه من وجوه البيان ، تظهر من خلاله بلاغة القرآن وقوة أسلوبه .

وكلّ هذه الآراء لاشك أنّها انبعثت من منطلق الدفاع عن كلام الله تعالى والذب عنه ، فاتُّخذت جميع السبل بالإنكار تارة والتوجيه أخرى وإليكم بعض آراء علمائنا في هذا الباب .

- الجاحظ [1] (ت 255 هـ) :

يعتبر الجاحظ من أبرز العلماء الذين تناولوا الحديث عن جماليات التكرار ، فبينوا محاسنه ، ووقفوا على فوائده سواء تعلق بكلام الله أم بكلام البشر من أدباء وشعراء وخطباء وغيرهم ، جاء في رسائل الجاحظ : " إن الناس لو استغنوا عن التكرير –

1 – أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي البصري المعتزلي ، ولد في البصرة سنة 163 هـ أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، أخذ عن النظام وتوفي بالبصرة سنة 255 هـ . ينظر سير أعلام النبلاء،ج11/ ص526 ،وفيات الأعيان ، ج3/ ص470 ، الأعلام ج 5/ ص74 .

التكرار – وكفوا مؤنة البحث والتنقير ، لقل اعتبارهم ، ومن قل اعتباره قل علمه ، ومن قل علمه قل فضله ، ومن قل فضله كثر نقصه ، ومن قل علمه وفضله وكثر نقصه ، لم يحمد على خير أتاه ، ولم يذم على شر جناه ، ولم يجد طعم العز ، ولا سرور الظفر ، ولا روح الرجاء ، ولا برد اليقين ، ولا راحة الأمن.. " [1] .

هذا إذا استغنى البشر عن التكرار في كلامهم ، فكيف بكلام الله ـ **عز و جل** ـ، بل صرح الجاحظ أن التكرار أسلوب من أساليب العرب له ضوابط إن لم يخضع لها أصبح عيا وعيبا ، فهو لا يستعمل إلا عند الحاجة ، وبالقدر الذي يليق بالمقام ، جاء في **البيان والتبيين** : " ليس التكرار عياّ مادام لحكمة كتقرير المعنى ، أو الخطاب الغبي أو الساهي ، كما أن ترداد الألفاظ ليس بعي ما لم يجاوز مقدار الحاجة ويخرج إلى العبث ، وهذا القرآن قد ردد قصة موسى وهود وهارون ، وشعيب وإبراهيم ، ولوطا وعاد وثمود كما ردد ذكر الجنة والنار وغيرهما لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم وأكثرهم غبي غافل ، أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب " [2] .

فأشار الجاحظ إلى بعض دوافع هذا الأسلوب بقوله : " لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم وأكثرهم غبي غافل ، أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب " [3] ، **فدوافع التكرار من خلال هذا الكلام هو الإفهام والتنبيه وقطع النزاع والخصام .**

---

1 - رسائل الجاحظ ، الجاحظ 3/ 181.

2 - البيان والتبيين ، الجاحظ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ج1/ ص75 .

3 - البيان والتبيين ، ج1 / ص75 .

أما الإفهام ؛ فلأن مستوى التلقي يختلف من أمة لأخرى ، فيَبسط الكلام لأمة ويوجزه لتلك على حسب قوة عقولهم وبديهتهم ، وسرعة امتثالهم وقبولهم ، لذلك قال الجاحظ وهو يبين الفرق بين العرب واليهود ، من ناحية تلقيهم لكلام الله : " ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف ، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام " (1)

قال أبو زهرة : " إنا نقدر كلام الجاحظ حق قدره ، وإن ذلك واضح في كثير من آي القرآن ، وإن الأعراب الذين يعتمدون على ذاكرتهم - لأنهم أميون - يناسبهم الكلام الموجز ، وأحيانا يغني فيهم لمح القول ولحنه وإشاراته " (2) .

وإنّ مما يعاب عليه الجاحظ وصفه لكلام الله بالزيادة حيث قال : " وزاد في الكلام " وإن كان الجاحظ ولا شك لا يقصد اللفظ على ظاهره ، وإنما مراده البسط الملائم للمقام ، ولكننا نبين هذا حتى لا يتخذ الأعداء كلامه مدخلا من مداخل الطعن في كتاب الله ، قال أبو زهرة : " أنّه– الجاحظ– قال : وزاد في الكلام ، وإنا لا نحسب أن هذه الكلمة تتفق مع بلاغة القرآن ، ولا مقامه ، فليس في القرآن زائد وإن أطنب في القول ؛ لأن الزيادة تتسم بالحشو ، ومحال ذلك في أبلغ القول الذي نزل من عند الله تعالى ، ولعله أراد معنى البسط والإطناب ، لا أصل الزيادة ، ولا يمكن أن يكون قد أراد الحشو ولكن مع كل نقول : هذه العبارة ليست سائغة " (3) .

---

1 – الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، لبنان/ بيروت ، السنة : 1416هـ– 1996م ، ج1 / ص94 .

2 – المعجزة الكبرى ، ص 147.

3 – نفسه ، ص147.

وأشار إلى دوافع التكرار في موضع آخر فقال : " وما سمعنا بأحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ وترداد المعاني عيا ، إلا من كان من النخاسين كأوس العذري ، فإنه كان إذا تكلم في الحملات ، وفي الصفح والاحتمال ، وصلاح ذات البين، وتخويف الفريقين من التفاني والبوار كان ربما ردد الكلام عن طريق التهويل والتخويف وربما حمي فنخر "[1] .

وإنّ مما يدلّ على اعتبار الجاحظ للتكرار أنّه لون من ألوان الفصاحة والبيان ، اعتماده عليه في جميع مؤلفاته ، إذ قلما نجد بابا من أبواب كتابه ، أو فقرة من فقراته لا تشتمل على التكرار ، ومن الأمثلة على ذلك قوله وهو يذكر العمائم والأزياء .

" وللخلفاء عمة ، وللفقهاء عمة ، وللبقالين عمة ، وللأعراب عمة ، وللصوص عمة ، وللروم والنصارى عمة...

" ولكل قوم زي ، فللقضاة زي ، ولأصحاب القضاة زي ، وللشرط زي ، وللكاتب زي ، ولكاتب الجند زي ...

" وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب : فمنهم من يلبس المبطنة ، ومنهم من يلبس القباء ، ومنهم يلبس البازبكند ...[2] .

- ابن قتيبة [3] (ت 276 هـ)

1 - البيان والتبيين ، ج1/ ص75

2 - البيان والتبيين ، ج2 / ص314 .

3 - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري 213)هـ 15-رجب 276 هـ 828/ م 13-نوفمبر 889 م)ولد في الكوفة ونشأ ببغداد ، أديب فقيه محدث مؤرخ عربي. له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار، وأدب الكاتب وغيرها..

ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ هو الآخر له رأيه في التكرار ، وذلك من خلال كتابه " تأويل مشكل القرآن " فخصص بابا مستقلا بعنوان " باب التكرار ، والزيادة فيه " تناول في هذا الباب أنواع التكرار ، وأسراره معتبرا إياه طريقا ومأخذا من طرق القول ومآخذه فقال : " وللعرب المجازات في الكلام ، ومعناها : طرق القول ومآخذه ، ففيها الاستعارة ، والتمثيل ، والقلب ، والتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والتكرار[1] .

كما اعتبر ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ التكرار الوارد في القرآن أسلوبا جرى عليه اللسان العربي في الجاهلية ؛ الذين بلغوا الذروة في الفصاحة والبيان ، فهذا دليل على أن التكرار عندهم لا يعتبر عيّا وعيبا ، وإنما العيب في الاقتصار عليه دون غيره من فنون الكلام ، حتى يصير هو الغالب فيه ، يقول في هذا الصدد : " فقد أعلمتك أن القرآن نزل بلسان القوم ، وعلى مذاهبهم ، ومن مذاهبهم التكرار : إرادة التوكيد والإفهام ، كما أن من مذاهبهم الاختصار : إرادة التخفيف والإيجاز ؛ لأن افتنان المتكلم والخطيب في الفنون ، وخروجه عن شيء إلى شيء ، أحسن من اقتصاره في المقام على فن واحد "[2] .

وقال بعد أن ذكر المجازات في الكلام : " وبكل هذه المذاهب نزل القرآن "[3] .

1 – تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، السنة : 2007 ، ص22 .

2 – المصدر نفسه ، ص 149 .

3 – المصدر نفسه ، ص22 .

فكلامه هذا يؤيد ما ذكرناه من أنّ التكرار لا يعد عيبا إذا كان الكلام يضم غيره من الأساليب التي نزل بها القرآن .

وقد تطرق ابن قتيبة ـ أيضا ـ إلى أنواع التكرار فذكر منها :

أ- تكرار الأنباء والقصص .

ب- تكرار الكلام من جنس واحد ، وبعضه يجزئ عن بعض .

ت- وربما جاءت الصفة فأرادوا توكيدها ، واستوحشوا من إعادتها ثانية ؛ لأنها كلمة واحدة ، فغيروا منها حرفا ثم أتبعوها الأولى .

ث- تكرار المعنى بلفظين مختلفين .

بدأ رحمه الله بتكرار القصص والأنباء فأرجع سببه إلى أمور كثيرة منها :

أولا : نزول القرآن منجما في ثلاث وعشرين سنة .

ثانيا : عدم حفظ الكثيرين من الصحابة و المسلمين للقرآن كله .

ثالثا : تلقي بعض الوفود بعضا منه دون بعض .

رابعا : كانت وفود العرب ترد على رسول الله ﷺ للإسلام ، فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن ، فيكون ذلك كافيا لهم .

خامسا : كان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة [1].

هذه الأسباب التي ساقها ابن قتيبة يرى أنها من أعظم دواعي تكرار الأخبار والقصص وذلك من وجهين :

1 ـ ينظر تأويل مشكل القرآن ، 148/ 149 .

1. أنه يستحيل تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتسليته إذا لم يكرر قصص الأنبياء في مدة نزول القرآن والتي تقدر بثلاث وعشرين سنة .

2. عدم وصول قصص القرآن إلى كافة الناس بحكم تباعدهم واختلاف أفكارهم ، وتفاوت درجات حفظهم مما يجعل قصص القرآن في حالة عدم تكررها تصل إلى قوم دون قوم وهو ما عبر عنه بقوله : " فلو لم تكن الأنباء والقصص مثّناة ومكررة ، لوصلت قصة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى قوم ، وقصة نوح إلى قوم ، وقصة لوط إلى قوم فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ، ويلقيها في كل سمع ، ويثبتها في كل قلب ، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير "[1].

وأما باقي أنواع التكرار التي ذكرها ابن قتيبة ، فتدخل تحت باب واحد هو تكرار الكلام سواء كان من جنس واحد وبعضه يجزئ عن بعض ، كتكرار قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ ﴾[2] وفي سورة الرحمن: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾[3] "[4] ، أم كان التكرار صفة مؤكدة للأولى غيروا منها حرفا هروبا من الإعادة كقولهم " عطشان ، نطشان " ، " حسن بسن " ، "شيطان ليطان " [5] أم كان تكرار المعنى بلفظين مختلفين وذلك لإشباع المعنى ، والاتساع في الألفاظ كقولك : " آمرك

1 ـ تأويل مشكل القرآن ، ص149 .

2 ـ الكافرون/ 1 .

3 ـ الرحمن/ 13 .

4 ـ تأويل مشكل القرآن ، ص149 .

5 ـ المصدر نفسه ، ص150 .

بالوفاء ، وأنهاك عن الغدر " ، وكقول الله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾[1] وقوله : " ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ﴾[2]" [3] .

كل هذه الأنواع يردّها ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ إلى ما عرف من سنن العرب ومثل على ذلك بأمثلة كثيرة منها : كم من نعمة كانت لكم كم كم وكم .

* هلا سألت جموع كندة يوم ولوا : أين أينا .
* وكانت فزارة تصلى بنا فأولى فزارة أولى فزارة .

- أبو سليمان الخطابي[4] (388 هـ)

تناول أبو سليمان الخطابي ـ رحمه الله ـ موضوع التكرار في معرض حديثه عن الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، محاولا دفع جميع الشبه التي من شأنها الطعن في كتاب الله عز وجل من هذا الباب – التكرار – فقسمه إلى مذموم ومستحسن ، أما المذموم فعبر عنه بقوله : " وأما ما عابوه من التكرار ؛ فإن تكرر الكلام على ضربين : أحدهما مذموم ، وهو ما كان مستغنى عنه ، غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول ؛ لأنه حينئذ يكون فضلا من القول ولغوا ، وليس في القرآن شيء من هذا النوع " [5] .

---

1 ـ الرحمن/ 68 .

2 ـ الزخرف/ 80 .

3 ـ تأويل مشكل القرآن ، ص152 .

4 – الإمام أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي ولد بمدينة بست سنة بضع عشرة وثلاث مئة كان فقيها محدثا أديبا تلقى الحديث في العراق على يد أبو علي الصفار و أبو جعفر الرزاز و غيرهما.قيل إنه توفي سنة 388 بمدينة بست. التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، ص254 .

5 – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرماني 386 هـ ، والخطابي 388هـ ، وعبد القاهر الجرجاني 471هـ ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد ، ود.محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر– القاهرة ، الطبعة : الثالثة ، السنة : 1976 م ، ص52 .

فمعنى كلام الخطابي ـ رحمه الله ـ : أن المذموم من التكرار هو ما لم يشتمل على فائدة ، أما إذا كان فيه فائدة ، أو زيادة معنى ، فالعيب كل العيب في تركه ؛ لأن الاستغناء عنه في هذا الموضع ، بمثابة تكلف الزيادة في موضع الحاجة إلى الحذف والاختصار ، وهذا هو القسم الثاني من أقسام التكرار عند الإمام الخطابي ـ رحمه الله ـ :

التكرار المستحسن والذي عبر عنه بقوله : " والضرب الآخر ما كان بخلاف هذه الصفة ، فإن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه ، وتدعو الحاجة إليه فيه ، بإزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار "[1] .

وقد تطرق الخطاب ـ رحمه الله ـ إلى البواعث النفسية للتكرار ولكنه يسهب في ذكرها وإنما اكتفى بذكر بعضها فقال : " وإنما يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها ، ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها " [2].

نفهم من كلام الإمام الخطابي أنّه حصر فوائد التكرار في التوكيد ؛ لأن الاهتمام بالشيء وتعظيمه ، وخوف وقوع الغلط أو النسيان أو الاستهانة ، علل نفسية تدعو إلى التأكيد بإعادة لفظ ما يهتم به ويخاف عليه ، فهي علل للتوكيد الذي هو ضرب من ضروب التكرار كما سيأتي ، ولو تطرق رحمه الله إلى بقية الفوائد لتوسع في ذكر بواعث التكرار الكثيرة .

1 – ثلاث رسائل في الإعجاز ، ص52 .

2 – نفسه ، ص52 .

وقد سلك الخطابي طريق من سبقه في إسناد ظاهرة التكرار إلى سنن العرب ، وضرب لذلك أمثالا كثيرة منها : " وقد يقول الرجل لصاحبه في الحث والتحريض على العمل : عجل عجل ، وارم ارم ، كما يكتب في الأمور المهمة على ظهور الكتب : مهم مهم مهم ، ونحوها من الأمور ، وكقول الشاعر[1] :

هلا سألت جموع كندة *** يوم ولوا : أين أينا

وقول آخر : يال بكر أنشروا لي كليبا *** يال بكر أين أين الفرار "[2] [3] .

كما ترجم الخطابي ـ رحمه الله ـ أنواع التكرار عمليّا ، وذلك من خلال سوقه لأمثلة على التكرار المستحسن من كتاب الله عز وجل ، والتي منها تكرار قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[4] من سورة الرحمن ، وتكرار قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾[5] من سورة المرسلات ، فقال مبينا وجه استحسان هذا التكرار : " أما سورة الرحمن فإن الله سبحانه خاطب بها الثقلين من الإنس والجن ، وعدد عليهم أنواع نعمه التي خلقها لهم ؛ فكلما ذكر فصلا من فصول النعم جدد إقرارهم به واقتضاءهم الشكر عليه ، وهي أنواع مختلفة وفنون شتى ، وكذلك هو في سورة ((المرسلات)) ذكر أحوال يوم القيامة وأهوالها فقدم الوعيد وجدد القول عند ذكر كل حال من أحوالها لتكون أبلغ في القرآن وأوكد لإقامة الحجة والإعذار ، ومواقع البلاغة معتبرة لمواضعها من حاجة "[6] .

---

1 ـ وهو عبيد بن الأبرص انظر الأغاني ، أبي الفرج الأصفهاني ، دار الفكر – بيروت ، تحقيق : سمير جابر، الطبعة : الثانية .

2 ـ ديوان مهلهل بن ربيعة ، شرح وتقديم : طلال حرب ، الدار العالمية ، ص25 .

3 ـ ثلاث رسائل في الإعجاز ، ص53 .

4 ـ الرحمن/ 13 .

5 ـ المرسلات / 15 .

6 ـ ثلاث رسائل في الإعجاز ، ص 53 .

ثم ساق ـ الخطابي ـ أمثلة للتكرار المستهجن القبيح ، الذي به زعموا معارضة القرآن الكريم ، والتي منها قول قائلهم : " الفيل وما أدراك ما الفيل ، له مشفر طويل، وذنب أثيل ، وما ذاك من خلق ربنا بقليل "[1] .

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ مبينا بطلان معارضة هذا الكلام لكلام الله ، بسبب قبح التكرار فيه : " فيقال الآن لصاحب الفيل : يا فائل الرأي ، أين ما شرطناه من حدود البلاغة فيما جئت به من الكلام ، وأين ما وصفناه من رسوم المعارضات فيما هذيت من جهلك وضلالتك ، افتتحت قولك بـ : ((الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل..)) فهولت وروعت ، وصعدت وصوبت ثم أخلفت ما وعدت .. أما علمت أن مثل هذه الفاتحة إنما تجعل مقدمة لأمر عظيم الشأن فائت الوصف متناهي الغاية في المعنى كقوله تعالى : ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ ﴾[2]، فذكر يوم القيامة ، وأتبعها من ذكر أوصافها وعظيم أهوالها ما لاق بالمقدمة التي أسلفها وصدّر الخطبة بها فقال : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾[3]، وأنت علقت هذا القول على دابة يدركها البصر في مدى اللحظة ويحيط بمعانيها العلم في اليسير من مدة الفكر"[4].

---

1 ـ قول مسيلمة الكذاب .

2 ـ القارعة/ 1 — 3.

3 ـ القارعة/ 4 — 5.

4 ـ ثلاث رسائل في الإعجاز ، ص 66 / 67 .

- ابن جنّي[1] (302 هـ)

لقد تناول اللغويون أيضا مسألة التكرار بشيء من الإسهاب ، وكانوا أكثر تعمقا من النحاة والبلاغيين ؛ إذ وضعوا له مصطلحا دقيقا يتلائم مع نظرتهم وفقههم لموضوع التكرار .

ويعد ابن جنّي من أبرز اللغويين تطرقا لهذا الموضوع ، ويظهر ذلك جليا من خلال كتابه الخصائص ، حيث أفرد في الجزء الثالث منه بابا سماه باب " الاحتياط " تطرق فيه إلى أوجه كثيرة من أوجه التكرار ، وقد استهله بقوله : " اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له "[2].

أما تمكين المعنى والاحتياط له فهو : عادة عقلية ، ولغوية عند العرب اعتمدها ابن جني واستخرجها – بالطبع - بعد تأمل نتاجهم الأدبي ، وفقه لسانهم العربي .[3]

ولتحقيق هذه الغاية – تمكين المعنى والاحتياط له – لابد من وسائل اعتمدها العرب وذكرها ابن جني ـ رحمه الله ـ قوله : " فمن ذلك التوكيد وهو على ضربين :

1 ـ أبو الفتح عثمان بن جني المشهور بـابن جني عالم نحوي كبير، ولد بالموصل عام 322هـ ، ونشأ وتعلم النحو فيها على يد أحمد بن محمد الموصلي الأخفش ، التقى ابن جني بالمتنبي بحلب عند سيف الدولة الحمداني كما التقاه في شيراز، عند عضد الدولة وكان المتنبي يحترمه ويقول فيه : «هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس، وكان إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول:سلوا صاحبنا أبا الفتح» وكان ابن جني يثني دوما على المتنبي ويعبر عنه بشاعرنا فيقول:«وحدثني المتنبي شاعرنا وما عرفته إلا صادقا » وكان كثير الاستشهاد بشعره ، عاش ابن جني في عصر ضعف الدولة العباسية ومع ذلك فقد وصل ابن جني إلى مرتبة علمية لم يصل إليها إلا القليل ، توفي سنة 392هـ .((ينظر بغية الوعاة ، ج 2 ، ص132)) .

2 – الخصائص ، أبي الفتح عثمان بن جني ، عالم الكتب – بيروت ، تحقيق : محمد علي النجار ، ج3 / ص101 .

3 – التكرار بلاغة ، ص 31 .

أحدهما : تكرير الأول بلفظه [1] ، وهو نحو قولك : " قام زيد ، قام زيد " ، و" ضربت زيدا ، ضربت زيدا " ، و" قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة " ، و" الله أكبر ، الله أكبر " [2] .

وقد ساق رحمه الله الكثير من الشواهد الشعرية ؛ والتي تدخل ضمن ما يعرف عند النحويين واللغويين بالتوكيد اللفظي .

فمن هذه الشواهد قوله :

إذا التياز ذو العضلات قلنا *** إليك إليك ضاق بها ذرعا [3]

وقال :

أخاك أخاك إن من لا أخا له *** كساع إلى الهيجا بغير سلاح [4].

وقد لخص ابن جني هذا القسم بقوله : " وهذا الباب كثير جدا ، وهو في الجمل والآحاد جميعا " [5] .

أما الضرب الثاني من ضروب التوكيد ؛ تكرير الأول بمعناه ، وهو ما يعرف بالتوكيد المعنوي ، وقد قسمه رحمه الله إلى قسمين فقال : " وهو على ضربين : أحدهما للإحاطة والعموم ، والآخر للتثبيت والتمكين " [6] .

1 – وهو ما يسمى بالتوكيد اللفظي ، انظر الإتقان ، 551 .

2 – الخصائص ، ج3 / ص102 .

3 – ذكره أبو علي في إيضاح الشعر عن القطامي انظر خزانة الأدب ،ج3/ ص33.

4 – قول مسكين الدارمي انظر الأغاني ، ج20 / ص223 .

5 – الخصائص ، ج3 / ص103 .

6 – المصدر نفسه ، ج3 / ص104 .

فمـن الأول قولك : " قام القوم كلهم " ، " رأيتهم أجمـعين " ، فـ " كلهم " ، و" أجمعين " ألفاظ تدل على الإحاطة والعموم يؤتى بها لأجل توكيد المثنى والجمع .

ومـن الثاني قولك : " قام زيد نفسه ، ورأيته نفسه " فهذا توكيد معنوي أيضا ، فائدته رفع السهو أو التجوز .

وقد ذكر ابن جني ـ رحمه الله ـ صورا كثيرة للاحتياط من جملتها : " إعادة العامل في العطف ، والبدل فالعطف نحو : " مررت بزيد وبعمرو " فهذا أوكد معنى من : " مررت بزيد وعمرو " ، والبدل كقولك : " مررت بقومك بأكثرهم " فهذا أوكد من قولك : " مررت بقومك أكثرهم " [1] .

وإنّ مما ينبغي الإشارة إليه أنّ فكرة " الاحتياط وتمكين المعنى " التي ذكرها ابن جني وفسر بها كثيرا من تصرفات العرب ، ومسالكهم اللغوية تظل أساسا ، ومنطلقا لتفسير أسلوب التوكيد نحويا ، ولتفسير ظاهرة " التكرار " بلاغيا ، وبهذه الفكرة يكون ابن جني قد أرسى أصلا ، وأقر مبدأ ، يمكن إدارة مسألة " التكرار " بجملتها ، وتفصيلاتها على محوره ورد كل ما يتصل بها إليه [2] .

- أبو هلال العسكري (ت 395 هـ)

أورد أبو هلال العسكري في كتابه (الصناعتين) بابا سماه باب الإطناب تناول فيه وجوها كثيرة من أوجه التكرار ، وذلك من خلال الأمثلة التي ساقها في معرض

---

1 – الخصائص ، ج3 / ص111 .

2 – التكرار بلاغة ، ص32 .

حديثه عن أسلوب الإطناب ، فهو لا يفرق بين الفنين بل يعتبرهما شكلا واحدا ، مع أن هناك فروقا واضحة بينهما .

من جملة **الأمثلة التي ساقها أبو هلال العسكري** للتدليل على أسلوب الإطناب وهي في حقيقتها أمثلة للتكرار قوله : " والموعظة كقول الله تعالى : ﴿ **أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾** ﴾[1] ، فتكرير ما كرّر من الألفاظ ها هنا في غاية حسن **الموقـع** "[2]

وقال : " وقد جاء في القرآن وفصيح الشعر منه – **الإطناب** - شيءٌ كثير : **فمن** ذلك قوله تعالى : ﴿ **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾** ﴾[3] ، **وقوله** تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾[4] ، فيكون للتوكيد كما يقول **القائل: ارم ارم ، واعجل اعجل ، وقد قال الشاعر:**

كم نعمةٍ كانتْ لكمْ ... كمْ كمْ وكم كانتْ وكمْ

وقال آخر: هلاَّ سألت جموع كندَ ... ة يومَ ولّوا أينَ أينَا [5] **.**

فهذه الأمثلة التي ذكرها أبو هلال العسكري ـ رحمه الله ـ في باب الإطناب إنما **هي أمثلة للتكرار .**

---

1 - الأعراف : 97-98 .

2 - كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، سنة النشر 1406هـ- 1986م ، ص192 .

3 - التكاثر / 3- 4 .

4 - الشرح / 5 – 6 .

5 - الصناعتين ، ص 193 / 194 .

ومن هنا شرع ـ رحمه **الله** ـ في ذكر القيمة الفنية للتكرار فقال : " والإطناب إذا لم يكن منه بدٌّ إيجاز ، وهو في المواعظ خاصّة محمود ، كما أن الإيجاز في الإفهام محمود ممدوح"[(1)] .

وقال معلقا على تكرير الحارث بن عبّاد لبيت : " قرّبا مربط النعامة منّي "[(2)]:
" **كرّرها أكثر** من ذلك ، هذا لمّا كانت الحاجةُ إلى تكريرها ماسّة ، والضرورة إليه داعية، لعظم الخطب وشدّة موقع الفجيعة ، فهذا يدلّك على أنّ الإطنابَ في موضعه عندهم مستحسن ، كما أنَّ الإيجاز في مكانه مستحبّ " [(3)].

فالتكرار المستحسن عند أبي هلال العسكري هو ما دعت إليه الضرورة ، **وكانت** الحاجة إليه كالحاجة إلى الإيجاز في مواضعه ، والعيب إنما يكون في استعمال أحدهما – الإيجاز أو الإطناب – في مكان الآخر لذلك قال : " **والقول القصد أنّ** الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكلّ نوع منه ، ولكلّ واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه ، فمن أزال التدبير في ذل عن جهته ، **و**استعمل الإطناب في موضع الإيجاز ،واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ " [(4)].

ثم ذكر رحمه الله الدواعي التي بها يجمل التكرار فكان من جملتها : تفخيم النعم الحادثة ، والترغيب في الطاعة ، والنهي عن المعصية ، والموعظة ، والخطابة في الصلح ،

---

1 – الصناعتين ، ص192 .

2 – ديوان المعاني ، أبو هلال العسكري ، شرحه وضبط نصه : أحمد حسن يسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة1 ، 1414 هـ / 1994م ، ج2 / ص412 .

3 – الصناعتين ، ص194 .

4 – نفسه ، ص 190 .

والمديح ، قال ـ رحمه الله ـ: " البلاغة الإيجاز في غير عجز ، والإطناب في غير خطل ، **ولا** شكّ في أنّ الكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة ، والفتوح الجليلة ، وتفخيم النّعم الحادثة ، والترغيب في الطاعة ، **والنّهي عن المعصية ، سبيلها أن تكون** مشبعة مستقصاة ، تملأ الصدور ، وتأخذ بمجامع القلوب "[1].

كل هذه الدواعي وغيرها تصب في إناء واحد ، **ألا وهو الإفهام والبيان ، وقد نقل** ـ رحمه الله ـ كلام الخليل في هذا الصدد فقال : " يختصر الكتاب ليحفظ ، **ويبسط ليفهم** " ، وقيل لأبي عمرو بن العلاء : " هل كانت العرب تطيل ؟" ، **قال : " نعم ، كانت تطيل ليسمع منها ، وتوجز ليحفظ عنها "** [2] .

فالفهم عند أبي هلال ـ رحمه الله ـ سبب قوي للتكرار ، فكلما كانت درجة الفهم ضعيفة كان التكرار مؤكدا ، لهذا قل ما تجد قصةً لبني إسرائيل في القرآن **إلا مطوّلة** مشروحة ومكرّرة في مواضع معادة ، لبعد فهمهم ، وتأخّر معرفتهم [3].

فهو بهذا الرأي يسير على خطى الجاحظ الذي رد أسباب التكرار ودوافعه إلى **الإفهام والبيان حين** قال في كتابه **"الحيوان"** : " **ورأينا الله تبارك** تعالى إذا خاطب العربَ والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي **والحذف** ، وإذا خاطب بني إسرائيل ، **أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطا "** [4].

---

1 – الصناعتين، ص190 .

2 – نفسه ، ص192 .

3 – نفسه ، ص 193 .

4 – الحيوان ، ج1 / ص94 .

هذا وقد وقف ـ رحمه الله ـ قليلا عند تكرير قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ من سورة الرحمن ، والتي تكررت إحدى وثلاثين مرة ، فبين فوائد التكرير **هنا ، وذكر له نظائر من كلام العرب فقال :** " وقد كّرر الله عزّ وجل في سورة الرحمن قوله : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، وذلك أنه عدَّد فيها نعماءه وأذكر عباده آلاءه ، ونبّههم على قدرها ، وقدرته عليها ، ولطفه فيها ، **وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف موضع ما أسداه إليهم** منها ، وقد جاء مثل ذلك عن أهل الجاهلية ، **قال مهلهل :** " على أن ليسً **عدلاً من كليبٍ** "[1] فكرّرها في أكثر من عشرين بيتاً . وهكذا قول الحارث بن عبّاد :" **قّربا مربط النعامة منّي " كّررها أكثر من ذلك**"[2] .

ابن رشيق[3] (456 هـ)

تطرق ابن رشيق ـ رحمه الله ـ في كتابه **" العمدة "** إلى هذه الظاهرة الفنية ، بعد أن عقد لها بابا مستقلا في القسم الثاني منه سماه **" باب التكرار "** ، والشيء **الملاحظ من ابن** رشيق أنه سبق العلماء إلى نقطة مهمة تتعلق بهذا الموضوع ألا وهي أقسام التكرار .

فنجده رحمه الله قسم التكرار إلى أقسام ثلاثة : **تكرار اللفظ دون المعنى ، وتكرار** المعنى دون اللفظ ، وتكرار اللفظ و المعنى ، قال في العمدة : " فأكثر ما يقع التكرار في

---

1 – ديوان مهلل بن ربيعة ، ص41 .

2 – الصناعتين ، ص194 .

3– أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني أحد الأفاضل البلغاء، له كتب عدة منها :كتاب العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه، وكتاب الأنموذج والرسائل الفائقة والنظم الجيد.يقال أنه ولد بالمسيلة وتعلم فيها قليلا، ثم ارتحل إلى القيروان سنة 406هـ . وقيل ولد بالمهدية سنة 390هـ وأبوه مملوك رومي من موالي الأزد ، وكان أبوه يعمل في المحمدية صائغا، فعلمه أبوه صنعته، وهناك تعلم ابن رشيق الأدب، وفيها قال الشعر، وأراد التزود منه وملاقاة أهله، فرحل إلى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها واتصل بخدمته، ولم يزل بها إلى أن هاجم العرب القيروان وقتلوا أهلها وأخربوها، فانتقل إلى جزيرة صقلية وأقام بمازرة إلى أن توفي سنة 456هـ . الأعلام الزركلي ، ج2 / ص191.

الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل ، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعا ، فذلك هو الخذلان بعينه " [1] .

فحكم ابن رشيق على القسم الثالث من أقسام التكرار بالقبح والخذلان ، **وهذا الرأي لا نسلم به** ؛ لأن هذا النوع لا يمكن أن نحكم عليه بالجودة أو القبح إلا بعد النظر إلى السياق أو المقام الذي ورد فيه ، ولعله استدرك هذا الخطأ عندما قال : " ولا يجب للشاعر أن يكرر اسما إلا على جهة التشوق ، **والاستعذاب** " [2] .

فهو بهذا يشترط المقام الملائم ، ويربط التكرار بالمناسب منه ، ويؤكد هذا أمران:

الأول : أنه أورد أمثلة من هذا النوع (تكرار اللفظ والمعنى) واعتبرها من محاسن التكرار فقال : ومن مليح هذا الباب ما أنشدنيه شيخنا أبو عبد الله محمد بن جعفر **لا بن المعتز وهو قوله :**

لساني لسري كتوم كتوم *** **ودمعـــي بحي نموم نموم**

ولي مـالك شفني حبـه *** بديع الجمال وسيم وسيم

له مقـلتا شادن أحـور * ولفظ سحور رخيم رخيم** [3]

وأما الثاني : استمراره في ذكر المقامات المناسبة التي يجب فيها التكرار ويحسن **فقال** : " أو على **سبيل التنويه به ، والإشارة إليه بذكره** إن كان في مدح " ، ومثل لهذا المقام بأمثلة كثيرة من كلام العرب منها قول أبي أسد :

كأن وفود الفيض يوم تحملوا *** إلى الفيض لاقوا عنده ليـلة القدر

---

1 – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق القيرواني ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت لبنان ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ، السنة : 1401 هـ – 1981 م ، ج 2 / ص 73 ، 74 .

2 – نفسه ، ج 2/ ص 74.

3 – نفسه ، ج 2 / ص 78 .

مواقع جـود الفيض في كل بلدة *** مواقع ماء المـزن في البلد القفر.

ثم علق على هذه الأبيات بقوله : " فتكرير اسم الممدوح – الفيض - ههنا تنويه به ، وإشارة بذكره ، وتفخيم له في القلوب والأسماع "[1] .

وقال : " أو على سبيل التقرير والتوبيخ " مثل لهذا المقام بقوله : " ومن المعجز في هذا النوع قول الله تعالى في سورة الرحمن ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ كلما عدد منة أو ذكر بنعمة كرر هذا "[2] .

ومن المقامات التي ذكرها ابن رشيق أيضا : " أو على جهة الوعيد والتهديد ، إن كان في مدح ، أو على جهة التوجع إن كان رثاء وتأبينا ، أو على سبيل الاستغاثة ، وهي في باب المديح ، أو في باب الهجاء على سبيل الشهرة ، وشدة التوضيع بالمهجو ، أو على سبيل الازدراء والتهكم والتنقيص ، كل ذلك يضرب له أمثلة من كلام العرب[3] .

كما ذكر ـ رحمه الله ـ مواضع أخرى يذم فيها هذا النوع من التكرار ويقبح ، مثل له بقصيدة ابن الزيات وفيها :

أتعزف أم تقيم على التصابي *** فقد كثرت مناقلة العتاب

إذا ذكر السلو عن التصابي *** نفرت من اسمه نفر الصعاب

وكيف يلام مثلك في التصابي ***وأنت فتى المجانة والشباب .

1 – العمدة ، ج2 / ص 74 .

2 –العمدة ، ج2 / ص 75 .

3 – نفسه ، ج2 / ص 75 ، 76 ، 77 .

فهذه القصيدة كرر فيها الزيات كلمة " التصابي " عدة مرات ؛ الأمر الذي أنكره ابن رشيق أشد الإنكار فقال : " فملأ الدنيا بالتصابي ، على التصابي لعنة الله من أجله ، فقد برد به الشعر " [1] .

- ابن الأثيـر (637 هـ)

لقد سار ابن الأثير ـ رحمه الله ـ على منهج قسم فيه التكرار إلى قسمين ، أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى ، مثل له بقول أبي الطيب المتنبي :

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي *** لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمُ مُقَامُ .

والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ كقولك أطعني ولا تعصني فالأمر بالطاعة نهي عن المعصية [2] .

ثم قسم كلا منهما إلى مفيد وغير مفيد ، وبالتالي صارت أقسام التكرار عند ابن الأثير أربعة أقسام وهي :

أ- المفيد من تكرير اللفظ والمعنى : وهو على ضربين :

أولهما – ما يدل على معنى واحد والمقصود به غرضان مختلفان ، وقد مثل له بأمثلة كثيرة منها قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨ ﴾[3] .

---

1 – العمدة ، ج2 / ص 77 .

2 – المثل السائر ، ج 2 / ص 146 .

3 – الأنفال / 7 ـ 8 .

ثم بين فائدة التكرير هنا فقال : " هذا تكرير في اللفظ والمعنى وهو قوله : ﴿ يُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾ ، و ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾ إنما جيء به هاهنا لاختلاف المراد ، وذاك أن الأول تمييز بين الإرادتين ، والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها ، وأنه ما نصرهم وخذل أولئك إلا لهذا الغرض "[1].

وقد حكم ابن الأثير ـ رحمه الله ـ على هذا الضرب من التكرار بالحسن والغموض ، وبه تعرف مواقع التكرير والفرق بينه وبين غيره [2] .

أما كونه حسنا فلأن فيه زيادة معنى ، وأما الغموض فلأنه لا يمكن لأي أحد أن يقف على فوائده ، بل ذلك للحذاق من أهل العلم .

ثانيهما : ما يدل على معنى واحد والمراد به غرض واحد ، وهذا الضرب من التكرار يؤتى به لتقرير المعنى المراد وإثباته ، وله أمثلة كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ﴾[3]، قال ابن الأثير : " والتكرير دلالة على التعجب من تقديره وإصابته الغرض ، وهذا كما يقال : قتله الله ما أشجعه ، أو ما أشعره "[4] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ﴾[5]. والأمثلة في هذا الباب كثيرة نأتي على ذكرها في محلها .

ب- القبيح من تكرار اللفظ والمعنى : وهو الذي لا يأتي في الكلام إلا عبثا وخطلا من غير حاجة إليه[6] ، مثل له بقول مروان الأصفر :

---

1 – المثل السائر ، ج 2 / ص 147 .

2 – المصدر نفسه ، ج 2 / ص150 .

3 – المدثر / 19ـ 20 .

4 – المثل السائر ، ج 2 / ص150 .

5 – القيامة / 34 .

6 – المثل السائر ، ج2 / ص159 .

سَقَى اللهُ نَجْداً وَالسَّلامُ عَلَى نَجْدِ *** وَيَا حَبَّذا نَجْدٌ عَلَى النَّأْيِ وَالْبُعْدِ
نَظَرْتُ إِلَى نَجْـدٍ وَبَغْدَادُ دُونَهَا *** لَعَلِّي أَرَى نَجْداً وَهَيْهَاتَ مِنْ نَجْدِ .

ثم علق عليه بقوله : " وهذا من العي الضعيف ، فإنه كرر ذكر نجد في البيت الأول ثلاثا وفي البيت الثاني ثلاثا ، ومراده في الأول الثناء على نجد ، وفي الثاني أنه تلفت إليها ناظرا من بغداد وذلك مرمى بعيد ، وهذا المعنى لا يحتاج إلى مثل هذا التكرير . أما البيت الأول فيحمل على الجائز من التكرير ، لأنه مقام تشوق وتحرق وموجدة بفراق نجد ، ولما كان كذلك أجيز فيه التكرير على أنه قد كان يمكنه أن يصوغ هذا المعنى الوارد في البيتين معا من غير أن يأتي بهذا التكرير المتتابع ست مرات " [1] .

كما عاب على أبي نواس قوله :

أَقَمْنَا بِهَا يَوْماً وَيَوْماً وَثالِثاً *** وَيوْماً لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خَامِسُ .

فقال : " ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام ، ويا عجبا له يأتي بمثل هذا البيت السخيف الدال على العي الفاحش في ضمن تلك الأبيات العجيبة الحسن ، التي تقدم ذكرها في باب الإيجاز وهي : "وَدارِ نَدَامَى عَطَّلُوها وَأَدْلَجُوا ... " [2] .

ج- المفيد من تكرار المعنى دون اللفظ وهو فرعان :

أولهما : إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين مختلفين ، ونعته ابن الأثير بأنه من قبيل التكرار المشكل ؛ لأنه يسبق إلى الوهم أنه تكرير يدل على معنى واحد وهو ليس كذلك [3] .

---

1 – المثل السائر، ج 2 / ص159 .

2 ـ نفسه ، ج2 / ص159 .

3 ـ نفسه، ج2 / ص160 .

وقد مثل لهذا الضرب من التكرار بقول حاطب بن أبي بلتعة ـ رضي الله عنه ـ **وهو يعتذر من رسول الله** ﷺ ، بعد أن كشف سره في فتح مكة ، وأخبر المشركين ببعض شأنه عليه الصلاة والسلام ، فقال : " ما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضًى بالكفر بعد الإسلام " [1] .

قال ابن الأثير ـ رحمه الله ـ : " فقوله ما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني... من التكرير الحسن ، وبعض الجهال يظنه تكريرا لا فائدة فيه ، فإن الكفر والارتداد عن الدين سواء ، وكذلك الرضى بالكفر بعد الإسلام وليس كذلك ، والذي يدل عليه اللفظ هو أني لم أفعل ذلك وأنا كافر ، أي باق على الكفر ، ولا مرتدا أي أني كفرت بعد إسلامي ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، أي ولا إيثارا لجانب الكفار على جانب المسلمين وهذا حسن في مكانه واقع في موقعه" [2] .

ولقد أدخل ابن الأثير في هذا الفرع تكرير المعنى الذي يدل على معنيين أحدهما خاص والآخر عام ، مثل له بقول الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾[3]، قال ابن الأثير : " فإن الأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء إلى الخير ؛ لأن الأمر بالمعروف خاص والخير عام ، فكل أمر بالمعروف خير وليس كل خير أمرا بالمعروف ، وذاك أن الخير أنواع كثيرة من جملتها الأمر بالمعروف ، ففائدة التكرير هاهنا أنه ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله كقوله تعالى : ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى

---

1 ـ البخاري (3/ 1095 ، رقم 2845) ، ومسلم (4/ 1941 ، رقم 2494) .

2 ـ المثل السائر ، ج2 / ص 161 .

3 ـ آل عمران/ 104.

ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾[1] ، وكقوله تعالى : ﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ ﴾[2]"[3].

ثانيهما : إذا كان التكرير في المعنى يدل على معنى واحد لا غير ، وهذا الفرع من التكرير فائدته كفائدة تكرير اللفظ والمعنى إذا كان الغرض به شيئا واحدا ، تتمثل هذه الفائدة في تأكيد الغرض المقصود به [4] ، وله أمثلة كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾[5]، قال ابن الأثير ـ رحمه الله ـ : " فإنه إنّما كرر العفو والصفح والمغفرة ، والجميع بمعنى واحد للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده والزوج عن زوجته " [6].

د- القبيح من تكرار المعنى دون اللفظ : هذا الضرب من التكرار اختلف العلماء في حكمه اختلافا كثيرا ، وأكثر العلماء على جوازه ، ذلك أن الألفاظ متغايرة والمعنى واحد ، وليس هذا بمعيب ، إلا أن ابن الأثير خالف في هذا ، ففرق بين الناثر والناظم في حكم استعماله فقال : " وهذا القول فيه نظر، والذي عندي فيه أن الناثر يعاب على استعماله مطلقا إذا أتى لغير فائدة ، وأما الناظم فإنه يعاب عليه في موضع دون موضع ، أما الموضع الذي يعاب استعماله فيه فهو صدور الأبيات الشعرية وما والاها ،

---

1 ـ البقرة/ 238 .

2 ـ الرحمن/ 11 .

3 ـ المثل السائر، ج2 / ص161 .

4 ـ المصدر نفسه، ج2 / ص162 .

5 ـ التغابن/ 14 .

6 ـ المثل السائر، ج2 / ص162 .

وأما الموضع الذي لا يعاب استعماله فيه فهو الأعجاز من الأبيات لمكان القافية ، وإنما جاز ذلك ولم يكن عيبا ؛ لأنه قافية والشاعر مضطر إليها والمضطر يحل له ما حرم عليه "[1] ، ثم مثل للجائز بقول امرؤ القيس :

وَهَلْ يَنْعَمَنْ إلاَّ سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ *** قَلِيلُ الهُمُومِ لاَ يَبِيتُ بِأَوْجَالِ[2]

قال ابن الأثير ـ رحمه الله ـ : " وإذا كان قليل الهموم فإنه لا يبيت بأوجال ، وهذا تكرير للمعنى إلا أنه ليس بمعيب ؛ لأنه قافية " [3] .

ومثل للمعيب من التكرار بقول الحطيئة :

قَالَتْ أُمَامَةُ لاَ تَجْـزَعْ فَقُلْتُ لَهَا *** إنَّ الْعَزَاءَ وَإنَّ الصَّبْرَ قَـد غُلِبَا

هَلاَّ الْتَمَسْتِ لَنَا إنْ كُنْتِ صَادِقَةً *** مَالاً نَعِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ أَوْ نَشَبَا [4] .

وعلق عليه بقوله : " فالبيت الأول معيب ؛ لأنه كرر العزاء والصبر إذ معناهما واحد ولم يردا قافية ؛ لأن القافية هي الباء ، وأما البيت الثاني فليس بمعيب ؛ لأن التكرير جاء في النشب وهو قافية "[5] .

ثم ختم كلامه هذا بذكر سبب التفريق يبن الناثر والناظم في حكم استعمال هذا القسم من التكرار فقال : " فإن قيل لم أجزت ذلك للناظم وحظرته على الناثر ؟ قلت في الجواب : أما الناثر إذا سجع كلامه فالغالب أن يأتي به مزدوجا على فقرتين من الفقر ،

---

1 ـ نفسه ، ج2 / ص167 .

2 ـ ديوان امرؤ القيس ، اعتنى به وشرحه : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، سنة : 1425هـ / 2004م ، ص 167 .

3 ـ المثل السائر ، ج2 / ص 167 .

4 ـ ديوان الحطيئة ، اعتنى به وشرحه : حمدو حماس ، دار المعرفة ـ بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، سنة 1426هـ/ 2005م ، ص 9 بلفظ : "مالا يسكننا بالخرج أو نشبا" .

5 ـ المثل السائر ، ج2 / ص 167 .

ويمكنه إبدال تلك الفقرتين بغيرهما فيسلم منه ، وأما الشاعر فإنه يصوغ قصيدا **ذا أبيات** متعددة على قافية من القوافي ، فإذا تكرر لديه شيء من الكلام في آخر بيت من الأبيات عسر إبداله من أجل القافية ، وهذا غير خاف والسؤال عنه غير **وارد**" (1) .

والشيء الذي نخلص إليه من رأي ابن الأثير ـ رحمه الله ـ **هو : أنّ أقسام التكرار** التي ذكرها ومثل لها بأمثلة من كلام الله تعالى وكلام العرب ، لها الأثر البارز في إظهار قيمة التكرار وفائدته البيانية والبلاغية ، ومن هنا استطاع ابن الأثير أن يدفع عن القرآن الكريم الكثير من الشبه والتهم التي من شأنها التشكيك في بلاغته **وفصاحته بسبب التكرار الوارد فيه ، لذلك نجده بين الفينة والأخرى ، وهو يذكر أقسام التكرار** يذب عن بلاغة القرآن ، فمرة ينفي وجود مكرر في القرآن لا فائدة منه فيقول : " وبالجملة **فاعلم أنّ**ه ليس في القرآن مكرر لا فائدة من تكريره " (2) ، **ومرة يتعرض لأقوال المغرضين بالرد والتوجيه** ، وتارة بإبراز الفروق بين القرآن الكريم وكلام العرب في استعمال التكرار.

رأيه هذا نتج عن دراسته المعمقة لهذا الأسلوب من جهة ، وحسن صنيعه في تقسيم التكرار من جهة أخرى ، فهو بهذا **التقسيم المحكم** أسس قاعدة متينة تشد صرح **التكرار وتقيم بنائه** ، وتبرز قيمته وفوائده ، **ومن هنا رأيت أن أزيد هذا الرأي - وأراء** غيره من العلماء السابقين واللاحقين **- إعلاء وتوكيدا ، بعقد مبحث خاص أذكر فيه** أقسام التكرار على النحو الذي جاء به ابن الأثير ـ رحمه الله ـ ، مع شيء من الإسهاب والتفصيل في ذكر الشواهد والأدلة .

---

1 ـ المثل السائر ، ج2 / ص170 .

2ـ نفسه، ج2 / ص149 .

المبحث الثالث

أقســـام التكـــرار

بعد اطلاعي على ما ذكره ابن الأثير ـ رحمه الله ـ وكذا ابن القيم في الفوائد المشوق حول أقسام التكرار ، تبين لي أنّ التكرار في القرآن الكريم على ثلاثة أقسام :

- تكرار المعنى دون اللفظ : وهذا القسم متفق عليه بين ابن الأثير وابن القيم، ويكثر إيراده في القصص التي تتكرر معانيها دون ألفاظها ، ولا شك أننا سنضرب عنه صفحا ؛ لأنّه غير مقصود في هذه الدراسة .
- تكرار اللفظ والمعنى : اعتمده ابن الأثير ـ رحمه الله ـ وقسمه إلى قسمين[1] اعتمدهما ابن القيم ـ رحمه الله ـ في تقسيمه للتكرار[2] .

أ. تكرار اللفظ والمعنى الذي يدل على معنى واحد .

ب. تكرار اللفظ والمعنى الذي يدل على معنيين مختلفين .

فيتبين من خلال ما ذكرنا أن أقسام التكرار ثلاثة : ما تكرر معناه دون لفظه ، وما تكرر لفظه ومعناه متحد ، وما تكرر لفظه ومعناه مختلف .

1 – ينظر المثل السائر ، ج2، ص147 .

2 – ينظر الفوائد المشوق ، ص111 .

المطلب الأول

تكرار اللفظ والمعنى الذي يدل على معنى واحد

مفهومه : أي أن اللفظ واحد والمقصود به غرض واحد يتمثل غالبا في **التوكيد وتقرير المعنى** ، وهو ما عناه ابن القيم ـ رحمه الله ـ بقوله : " **ما يتكرر لفظه ومعناه متحد** "[1].

ولا يكون هذا القسم من التكرار إلا موصولا .

وشرط الموصول : **ألا** يفصل بين العبارة الأولى والثانية فاصل ، وله صور متعددة : إما كلمات في سياق الآية مثل قوله تعالى:﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾[2]، **قال الآلوسي** ـ رحمه الله ـ في تفسيره : " وقوله تعالى : ﴿ هَيْهَاتَ ﴾ **تكرير لتأكيد البعد،** والغالب في هذه الكلمة مجيئها مكررة وجاءت غير مكررة في **قول جرير** : " ... **وهيهات خل بالعقيق نواصله** " [3] ، وإلى هذا المعنى ذهب الشوكاني ـ رحمه الله ـ **فقال:** " **والتكرير للتأكيد** " [4] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ ﴾[5]، قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ : " **وانتصاب** ﴿ دَكًّا ﴾ الأوّل على أنه مصدر مؤكد للفعل ، **و**﴿ دَكًّا ﴾ الثاني تأكيد **الأوّل** ،

---

1 – الفوائد المشوق ، ص111 .

2 – المؤمنون/ 36 .

3 – روح المعاني ، ج18 / ص31 .

4 – فتح القدير ، الشوكاني ، ج3 / ص692 .

5 – الفجر/ 21 .

ويجوز أن يكون النصب على الحال ، أي حال كونها مدكوكة مرة بعد أخرى "[1] ، **وهذا** المعنى رجحه الألوسي ـ رحمه الله ـ **بقوله :** " وتكريره للدلالة على الاستيعاب فليس الثاني تأكيداً للأول ، بل ذلك نظير الحال في نحو قولك **جاءوا رجلاً رجلاً** ، **وعلمته** الحساب بابا بابا ، أي إذا دكت الأرض دكاً متتابعاً حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وأبنية وقصور وغيرها حين زلزلت المرة بعد المرة وصارت هباء منثوراً "[2] .

ومن الموصول تكرار الآية بعد الآية كقوله تعالى : ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ﴾[3] ، **قال البغوي** ـ رحمه الله ـ في تفسيره : " **كرره للتأكيد** ، **وقيل : معناه** لعن على أي حال قدر من الكلام "[4] .

وبهذا الغرض – **التأكيد** - فسر الشيخ **الطاهر بن عاشور** ـ رحمه الله ـ **هذه الآية فقال :** " ﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ تأكيد لنظيره المفرع بالفاء " ، إلا أنه فرق بين الجملة الأولى والثانية ، بأن الثانية أرقى من الأولى وأرفع درجة **منها وذلك لأجل العطف بـ : " ثم "** ، قال في هذا الصدد : " **والعطف** بـ " **ثم** " يفيد أن جملتها أرقى رتبة من التي قبلها في

1 – فتح القدير، ج5 / ص623 .

2 – روح المعاني، ج30 / ص128 .

3 – المدثر / 19.

4 –معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى ـ"ولد في بغشور وإليها نسبته وهى بليدة بين هراة ومروالروذ من بلاد خرسان، لم تشر المصادر إلى السنة التي ولد فيها، ولا كم كان عمره عند موته، إلا أن جميع من ترجم له أرخوا أنه توفى سنة (516) من الهجرة وقالوا إنه قد بلغ الثمانين أو تجاوزها ، فيغلب الظن أنه ولد في أوائل العقد الرابع من القرن الخامس الهجرى."ـ ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الرابعة ، السنة 1417 هـ –1997 م ، ج 8 / ص269 .

الغرض المسوق له الكلام ، فإذا كان المعطوف بها عين المعطوف عليه ، أفادت أن معنى المعطوف عليه ذو درجات متفاوتة مع أن التأكيد يكسب الكلام قوة " [1] .

وقد كان للزمخشري ـ رحمه الله ـ السبق إلى هذه القاعدة ، حيث قال في كتابه الكشاف : " فإن قلت : ما معنى " ثم " الداخلة في تكرير الدعاء ؟ قلت ؛ الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الأولى [2] .

ومن هنا فكل مكرر بعد أداة العطف " ثم " يأتي لغرض واحد هو التوكيد ، إلا أن المعنى المكرر أبلغ من المعنى الأول ، يدل عليه السياق الذي ورد فيه الكلام .

ونظير هذا في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ [3] ، فتكرير ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ غرضه العام توكيد الجزاء ، عطف على الأول بأداة العطف " ثم " للدلالة على أنه أبلغ منه ؛ حيث أفاد تحقيق الأول وتهويله ، لهذا روي عن ابن عباس أنه قال : " ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ ما ينزل بكم من عذاب في القبر ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ عند البعث إن ما وعدتم به صدق " أي تجعل كل جملة مرادا بها تهديد بشيء خاص [4] .

ومن أمثلة الموصول الذي اتفق لفظه ومعناه واحد قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ ﴾ [5] ، قال محمد الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ : " وجملة

1 – ينظر التحرر والتنوير ، ج29 / ص287 .

2 – الكشاف ، ج4 / ص651 .

3 – التكاثر / 3 ـ 4 .

4 – ينظر التحرير والتنوير ، ج30 / ص459 .

5 – الشرح / 5 ـ 6

﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ مؤكدة لجملة ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ وفائدة هذا التأكيد تحقيق اطراد هذا الوعد وتعميمه لأنه خبر عجيب (1) .

بينما ذهب جماعة من العلماء إلى نفي التكرار عن هذه الآية مستندين في ذلك على أمرين اثنين :

أولهما : قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فإنّه ما ينزل بعبد مؤمن من منزله شدة إلا يجعل الله له بعدها فرجا ولن يغلب عسر يسرين " (2) ، ويبين هذا الأثر الأمر الثاني وهو :

ثانيهما : أن اللفظ النكرة إذا أعيد نكرة فالثاني غير الأول ، فاليسر في الآيتين جاء نكرة ، فالمعنى المراد باليسر في الآية الأولى غير المعنى المراد باليسر في الآية الثانية ، وإذا أعيد اللفظ معرفة كان الثاني عين الأول ، فالعسر في الآيتين جاء معرفة وبالتالي هما بمعنى واحد (3) .

وقد أبطل هذا التوجيه جماعة من العلماء كعلي ابن الحسين الجرجاني في كتابه " النظم " حيث رأى أنه قول مدخول ؛ لأنه يجب على هذا التدريج إذا قال الرجل : " إن مع الفارس سيفا ، إن مع الفارس سيفا " ، أن يكون الفارس واحدا والسيف اثنان "(4) .

وقال ابن هشام ـ رحمه الله ـ بعد أن تعرض إلى هذه القاعدة : " ويُشكل على ذلك أمور ثلاثة :

1 – التحرير والتنوير ، ج 30 / ص366 .

2 – أخرجه الحاكم في مستدركه ، ج2 / ص329 ، الحديث رقم : 3176 . وقال صحيح على شرط مسلم

3 – ينظر فتح القدير ، الشوكاني ، ج8/ ص21 .

4– غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، تحقيق : الشيخ زكريا عميران ، الطبعة : الأولى ، سنة : 1416 هـ – 1996 م ، ج6 / ص523 .

أحدها : أن الظاهر في آية (ألم نشرح) أن الجملة الثانية تكرار للجملة الأولى ، كما تقول إنّ لزيدٍ داراً ، إن لزيد داراً وعلى هذا فالثانية عين الأولى .

الثانية : **أن ابن مسعود** رضي الله عنه **قال** : " لو كان العسر في جُحْر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ، إنه لن يغلب عسرٌ يسرين " [1]، مع أن الآية في قراءته وفي مصحفه **مرة واحدة** ، **فدل** على ما ادعينا من التأكيد ، وعلى أنه لم يستفد تكرر اليسر من تكرره ، بل هـو من غير ذلك كأن يكون فهِمه مما في التنكير من التفخيم فتأوله بيسر الدارين .

الثالثة : أن في التنزيل آيات تردُّ هذه الأحكام الأربعة ، فيشكل على الأول **قوله** تعالى ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً** ﴾ [2]، ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ** ﴾ [3] والله إلهٌ واحد سبحانه وتعالى ، وعلى الثاني قوله تعالى : ﴿ **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ** ﴾ [4] فالصلح الأول خاص ، وهو الصلح بين الزوجين ، والثاني عام ، ولهذا يستدل بها على استحباب كل صلح جائز، **ومثله** : ﴿ **زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ** ﴾ [5]، والشيء لا يكون فوق نفسه ، وعلى الثالث قوله تعالى ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ**

---

1 - أخرجه الطبراني مرفوعا في المعجم الكبير (ج10/ ص70 ، رقم 9977) ، وقال الهيثمي (ج7/ ص139) : فيه إبراهيم النخعي ، وهو ضعيف ، وأخرجه البيهقي موقوفا في شعب الإيمان (7/ 206 ، رقم 10011) وقال الألباني : ضعيف ، انظر ضعيف الجامع الحديث رقم : 4834 .

2 - الروم / 54 .

3 - الزخرف :84 .

4 - النساء / 128 .

5 - النحل / 88 .

مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾[1] فإن الملك الأول عام والثاني خاص ، ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾[2] فإن الأول العملُ والثاني الثوابُ ، ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾ [3] فإن الأولى القاتلة والثانية المقتولة ، وكذلك بقية الآية ، وعلى الرابع ﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ ﴾[4] " [5] .

كما أبطل الزمخشري ـ رحمه الله ـ هذه القاعدة في كتابه الكشاف بقوله : " فإن قلت : ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما :" لن يغلب عسر يسرين " ، قلت : هذا عمل على الظاهر ، وبناء على قوّه الرجاء ، وأن موعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه ، والقول في أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريراً للأولى كما كرر قوله : ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾[6] لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب ، وكما تكرر المفرد في قولك : جاءني زيد زيد ، وأن تكون الأولى عدّة بأنّ العسر مردوف بيسر لا محالة ، والثانية عدة مستأنفة بأنّ العسر متبوع بيسر ، فهما يسران على تقدير الاستئناف ، وإنما كان العسر واحداً لأنه لا يخلو إما أن يكون تعريفه للعهد ، وهو العسر الذي كانوا فيه ، فهو هو ؛ لأنّ حكمه حكم زيد في قولك : إن مع زيد مالاً، إن مع زيد مالاً ، وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه لك كل أحد فهو هو أيضاً ، وأما اليسر فمنكر

---

1 – آل عمران / 26 .

2 – الرحمن / 60 .

3 – المائدة / 45 .

4 – النساء / 153 .

5 – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة السادسة ، 1985، تحقيق : د . مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ص 861–863 .

6 – المرسلات/ 19 .

متناول لبعض الجنس ، فإذا كان الكلام الثاني مستأنفاً غير مكرّر فقد تناول بعضاً غير **البعض** الأوّل بغير إشكال ، فإن قلت : " فما المراد باليسرين ؟ " قلت: يجوز أن يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله ﷺ وما تيسر لهم في أيام الخلفاء ، وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾[1] وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب . فإن قلت : فما معنى هذا التنكير؟ قلت : التفخيم ، **كأنه قيل** : إن مع العسر يسراً عظيماً وأيّ يسر ، وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة ، **فإن قلت** : " فإذا ثبت في قراءته غير مكرر ، فلم قال : والذي نفسي بيده ، لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ، إنه لن يغلب عسر يسرين؟ " **قلت : كأنه** قصد باليسرين : ما في قوله : ﴿ يُسْرًا ﴾ **من معنى التفخيم ، فتأوله** بيسر الدارين ، وذلك يسران في الحقيقة "[2] .

وهذا الرأي رجحه الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير **حين قال : " والذي** يظهر في تقرير معنى قوله : « **لن يغلب** عسر يسرين » أن جملة : ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ **تأكيد** لجملة ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ومن المقرر أن المقصود من تأكيد الجملة في مثله هو تأكيد الحكم الذي تضمنه الخبر ، ولا شك أن الحكم المستفاد من هذه الجملة هو ثبوت التحاق اليسر بالعسر عند حصوله ، فكان التأكيد مفيداً ترجيح أثر اليسر على أثر العسر ، وذلك الترجيح عبر عنه بصيغة التثنية في قوله : « يسرين » ، **فالتثنية هنا كناية رمزية عن التغلب** والرجحان فإن التثنية قد يكنى بها عن التكرير المراد منه التكثير كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ

1 – التوبة / 52 .

2 – الكشاف ، ج4 / ص776 ـ 777 .

ﭐرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴾ الملك/ 4 أي ارجع البصر كثيراً لأن البصر لا ينقلب حسيراً من رَجعتين ، ومن ذلك قول العرب : « لبّيْك ، وسَعْدَيك ، ودَواليك » والتكرير يستلزم قوة الشيء المكرر فكانت القوة لازمَ لازِم التثنية وإذا تعددت اللوازم كانت الكناية رمزية ، وليس ذلك مستفاداً من تعريف « العسر » باللام ولا من تنكير « اليسر » وإعادته منكراً " [1] .

وخلاصة القول في هذه المسألة : أن الله عز وجل وعد نبيه ﷺ بيسرين ؛ يسر الدنيا بعد أن عيره المشركون ورفضوا دعوته لفقره ، فوعده ربه بيسر عاجل في الدنيا ، وقد أنجز له ذلك فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز واليمن ، ووسع ذات يده ، حتى كان يعطي الرجل المائتين من الإبل ، ويهب الهبات السنية ، ويعد لأهله قوت سنة ، ثم ابتدأ فضلا آخرا من الآخرة وفيه تأسية وتعزية له ، فقال مبتدئا : ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ﴾ فهو شيء آخر ، والدليل على ابتدائه ، تعريه من فاء أو واو أو غيرها من حروف النسق التي تدل على العطف .

وأما قول ابن مسعود : " لن يغلب عسر يسرين " يعني العسر الواحد لن يغلبهما ، وإنما يغلب أحدهما إن غلب ، وهو يسر الدنيا ، فأما يسر الآخرة فكائن لا محالة ، ولن يغلبه شيء [2] .

هذا عن تكرار اللفظ والمعنى الذي يدل على غرض واحد ، يتمثل غالبا في التوكيد وتقرير المعنى .

---

1 – التحرير والتنوير ، ج30 / ص367 .

2 – ينظر تفسير القرطبي ، ج20 / 108 .

المطلب الثاني

تكرار اللفظ والمعنى الذي يدل على غرضين مختلفين

مفهومه : أي أنّ المعنى المقصود واحد ، لكنه يشير إلى معنى آخر غير التوكيد ، وهو ما عبر عنه ابن القيم ـ رحمه الله ـ **بقوله :** " ما تكرر لفظه ومعناه مختلف "[1] ويكون هذا النوع من التكرار في الغالب موصولا .

والمفصول **هو : ما وقع فيه الفصل بين المكّررين** [2] وهو على صورتين :

أ- تكرار في السورة نفسها : وهو على ضربين :

- التكرار النظميّ الذي تكون فيه الإعادة لنمط تركيبي بحروفه ومعناه [3] .

ولهذا الضرب أمثلة كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[4] حيث تكررت هذه الآية بعد كل قصة من قصص الأنبياء في سورة الشعراء ثمان مرات ، وذلك لتأكيد الجزاء المترتب على كل من الكفر والإيمان ، فالله عزَّ في نقمته من الكفار ، ورحم مؤمني كل أمة [5] .

---

1 – الفوائد المشوق ، ص112 .

2 – ينظر الإتقان للسيوطي ، ص553.

3 – ينظر العزف على أنوار الذكر ، ص123 .

4 – [الشعراء / 9 ، 69 ، 104 ، 122 ، 140 ، 195 ، 175 ، 191]

5 – ينظر تفسير البحر المحيط ، ج7 / ص7 .

قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ: " وفي هذا التكرير لهذه الكلمات في آخر هذه القصص من التهديد والزجر والتقرير والتأكيد ما لا يخفى على من يفهم مواقع الكلام ويعرف أساليبه " [1] .

وقال النسفي ـ رحمه الله ـ : " وقد كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر تقريراً لمعانيها في الصدور ليكون أبلغ في الوعظ والزجر ، ولأن كل قصة منها كتنزيل برأسه ، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت جديرة بأن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وأن تختتم بما اختتمت به " [2] .

ومن أمثلة التكرار المفصول في السورة الواحدة قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[3] تكررت في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة ، وذلك لتقرير النعمة وتأكيد التذكير بها قال ابن قتيبة : " أن الله عدّد في هذه السورة نعماءه ، وذكر خلقه آلاءه ثم أتبع كل خلة وَصَفها ، ونعمة وضعها بهذه ، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقررهم بها " [4] .

وقال البغوي ـ رحمه الله ـ في تفسيره : " وكرر هذه الآية في هذه السورة تقريرًا للنعمة وتأكيدًا في التذكير بها على عادة العرب في الإبلاغ والإشباع ، يعدد على الخلق آلاءه ويفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ، كقول الرجل لمن أحسن إليه وتابع عليه

1 – فتح القدير ، ج4 ، 165 .
2 – تفسير النسفي ، ج3 ، ص159 .
3 – الرحمن / 13 .
4 – تأويل مشكل القرآن ، ص151 .

بالأيادي وهو ينكرها ويكفرها : " ألم تكن فقيرًا فأغنيتك أفتنكر هذا ؟ " ألم تكن عريانًا فكسوتك أفتنكر هذا ؟ ألم تك خاملا فعززتك أفتنكر هذا ؟ ومثل هذا التكرار شائع في كلام العرب حسن تقريرًا " [1].

وذكر الشيخ الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ لهذا التكرار غرضا آخر فقال : " وذلك تكريرٌ من أسلوب التوبيخ ونحوه أن يكون بمثل الكلام السابق ، فحق هذا أن يسمى بالتعداد لا بالتكرار ، لأنه ليس تكريراً لمجرد التأكيد ، فالفاء من قوله : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[2] هنا تفريع على قوله : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ١٧ ﴾[3] ؛ لأن ربوبيته تقتضي الاعتراف له بنعمة الإِيجاد والإِمداد وتحصل من تماثل الجمل المكررة فائدة التأكيد والتقرير أيضاً فيكون للتكرير غرضان كما قدمناه في الكلام على أول السورة " [4].

وقد أشار محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في كتابه : « دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب » إلى هذين الغرضين فقال : " والجواب من وجهين [5] :

---

1 – معالم التنزيل ، ج7 ، ص443 .

2 – الرحمن / 16 .

3 – الرحمن / 17 .

4 – التحرير والتنوير، ج27 / ص230 .

5 – يجيب رحمه الله على إيهام وقع على قوله تعالى : ((يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)) [الرحمن : 35] وهو : أن إرسال شواظ النار الذي هو لهبها والنحاس الذي هو دخانها أو النحاس المذاب وعدم الانتصار ليس في شيء منه إنعام على الثقلين. وقوله لهم فبأي آلاء الله أي نعمه على الجن والإنس.

الأول : أن تكرير ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ للتوكيد ولم يكرره متواليا؛ لأن تكريره بعد كل آية أحسن من تكريره متواليا ، وإذا كان للتوكيد فلا إشكال ؛ لأن المذكور منه بعد ما ليس من الآلاء مؤكد للمذكور بعد ما هو من الآلاء .

الوجه الثاني : أن ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لم تذكر إلا بعد ذكر نعمة أو موعظة أو إنذار وتخويف ، وكلها من آلاء الله التي لا يكذب بها إلا كافر جاحد .

أما في ذكر النعمة فواضح ، وأما في الموعظة ، فلأن الوعظ تلين له القلوب فتخشع وتنيب ، فالسبب الموصل إلى ذلك من أعظم النعم ؛ فظهر أن الوعظ من أكبر الآلاء ، وأما في الإنذار والتخويف كهذه الآية ، ففيه أيضا أعظم نعمة على العبد ؛ لأن إنذاره في دار الدنيا من أهوال يوم القيامة من أعظم نعم الله عليه ، ألا ترى أنه لو كان أمام إنسان مسافر مهلكة كبرى وهو مشرف على الوقوع فيها من غير أن يعلم بها ، فجاءه إنسان فأخبره بها وحذره عن الوقوع فيها ؛ أن هذا يكون يدا له عنده وإحسانا يجازيه عليه جزاء أكبر الإنعام .

وهذا الوجه الأخير هو مقتضى الأصول ؛ لأنه قد تقرر في علم الأصول أن النص إذا احتمل التوكيد والتأسيس ، فالأصل حمله على التأسيس لا على التوكيد ؛ لأن في التأسيس زيادة معنى ليست في التوكيد .

وعلى هذا القول فتكرير ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إنما هو باعتبار أنواع النعم المذكورة قبلها ؛ من إنعام ، أو موعظة ، أو إنذار " [1] .

---

1 – دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي ، دار النشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة: الأولى ، السنة :1417هـ / 1996م ، ص 227 ـ 228 .

والملفت للانتباه من كلام محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ **هنا أمران :**

الأول : أنه أشار إلى غرض مهم فسر به الكثير من العلماء قبله ـ كالزمخشري والكرماني والآلوسي ـ التكرار الوارد في القران الكريم ألا وهو التأسيس نأتي على ذكره في محله .

الثاني : ضرورة الرجوع إلى السياق لفهم معنى التكرار ، يظهر ذلك جليا من **قوله : "** ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لم تذكر إلا بعد **ذكر نعمة أو موعظة أو إنذار** وتخويف وكلها من آلاء الله التي لا يكذب بها إلا كافر جاحد "[1] .

ومن أمثلة المفصول أيضا قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ عشر مرات في المرسلات ، فحكم التكرار هنا كحكم ما سبقه من التكرار المفصول في السورة الواحدة ، **غرضه العام تأكيد** المعنى وتقريره في النفوس ، قال الزمخشري : " كما كرر قوله : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب[2] .

ويتجلى هذا المعنى في التخويف والوعيد قال القرطبي : **" وكرر :** ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ **لمعنى تكرير التخويف والوعيد "**[3] .

هذا وقد **يُحمل التكرار هنا** على التأسيس لا على التأكيد ، بمعنى أن كلَّ آية تحمل مدلولا مغايرا لمدلول أخواتها يحدده سياق كل آية ، قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : **" وقيل : ليس بتكرار ؛** لأنه أراد بكل قول منه غير الذي أراد بالآخر ، كأنه ذكر شيئا فقال : **ويل**

1 – نفسه ، ص227 .

2 – الكشاف ، ج 4 ، ص776 .

3 – تفسير القرطبي ، ج19 ، ص169 .

لمن يكذب بهذا ، ثم ذكر شيئا آخر فقال : ويل لمن يكذب بهذا ، ثم ذكر شيئا آخر فقال : ويل لمن يكذب بهذا " [1] .

ويؤيد هذا المعنى تفسير الإمام البيضاوي ـ رحمه الله ـ لهذه الآيات على نحو **هذا النمط الذي ذكره القرطبي** ـ رحمه الله ـ **فيقول** : " ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [2] بآيات **الله وأنبيائه** فليس تكريرا **وكذا إن أطلق التكذيب أو علق** في الموضعين بواحد ؛ **لأن الـ" ويل " الأول لعذاب الآخرة** ، وهذا للإهلاك في الدنيا مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب " [3].

وقال في موضع آخر : " ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [4]بقدرتنا على ذلك أو على **الإعادة**" [5] .

وهكذا فسر البيضاوي ـ رحمه الله ـ بقية الآيات المتكررة في سورة المرسلات ، معتمدا في ذلك على سياق كل آية وردت فيه ؛ **لأن التكرار سببه تعدد المتعلق .**

وسار على هذا المنهج أغلب العلماء قديما كالطبري وابن كثير والبغوي والقرطبي وغيرهم ، ومن المتأخرين كالطاهر بن عاشور ومحمد الأمين الشنقيطي ، **عملا بقاعدة تأسيس المعنى** ، والتي من شأنها دفع الاضطراب عن كتاب الله تعالى ، **وقد أحسن القرطبي** ـ رحمه الله ـ في إبراز هذا المعنى فقال : " وكرره في هذه السورة عند كل

---

1 –تفسير القرطبي ، ج19 / ص169 .

2 –المرسلات / 19 .

3 – تفسير البيضاوي ، ج5 / ص434 .

4 –المرسلات / 24 .

5 – تفسير البيضاوي ، ج5 / ص434 .

آية لمن كذب ؛ لأنه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم ، فإن لكل مكذب بشيء عذابا سوى تكذيبه بشيء آخر ، ورب شيء كذب به هو أعظم جرما من تكذيبه بغيره ؛ لأنه أقبح في تكذيبه ، وأعظم في الرد على الله ، فإنما يقسم له من الويل على قدر ذلك ، وعلى قدر وفاقه وهو قوله: ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾[1]" [2].

- التصريف النظميّ الذي تكون فيه الإعادة لنمط تركيبي ذي عدول في بعض مفرداته أو مواقعها : ويعرف بمشتبه النظم في السورة الواحدة قال صاحب كتاب العزف على أنوار الذكر : " وهذا الضرب جدير باسم التصريف لما فيه من تصريف في العبارة هو آية (أي علامة) على تصريف في المعنى مما يَصْرِفُه عن استحقاق اسم التكرار ، فإنَّه كما ذهب إليه الإمام " **عبد القاهر**" من أنَّه لا يكون لإحدى العبارتين مزيّة على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها ، وقد تكون تلك المزيّة تقديم حرف من حروف المعاني على آخر من نحو قولك: " **كأنّ زيداً أسدٌ** " **وقولك** " **إنّ زيداً كالأسد** " [3].

والأمثلة على هذا الضرب في القرآن الكريم كثيرة جدا منها قوله تعالى : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[4]، تكررت في السورة نفسها بلفظ : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾[5].

1- النبأ/ 26 : أي موافقا لأعمالهم ينظر تفسير القرطبي ، ج19 / ص181 .

2 - المصدر نفسه ، ج19 / ص158 .

3 - العزف على أنوار الذكر ، ص 123 .

4 - الأنفال/ 52 .

5 - الأنفال/ 54 .

قال الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ : " ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ تكرير لقوله : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ المذكور قبله لقصد التأكيد والتسميع ، تقرير للإنذار والتهديد ، وخولف بين الجملتين تفنّناً في الأسلوب ، وزيادة للفائدة ، بذكر التكذيب هنا بعد ذكر الكفر هناك ، وهما سببان للأخذ والإهلاك كما قدّمناه آنفا"(1).

قال الزمخشري ـ رحمه الله ـ : " ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ تكرير للتأكيد"(2) ، وقد ذهب إلى هذا المعنى الإمام الآلوسي ـ رحمه الله ـ في تفسيره فقال : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ استئناف آخر على ما ذكره بعض المحققين مسوق لتقرير ما سيق له الاستئناف الأول بتشبيه دأبهم بدأب المذكورين " (3).

بينما ذهب القرطبي ـ رحمه الله ـ إلى خلاف هذا ، حيث نفى أن تكون هذه الآية تكريرا فقال : " ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ ليس هذا بتكرير ؛ لأن الأول للعادة في التكذيب ، والثاني للعادة في التغيير ، وباقي الآية بين " (4).

وهو ما استدركه الآلوسي ـ رحمه الله ـ بقوله : " لكن لا بطريق التكرير المحض ، بل بتغيير العنوان وجعْل الدأب في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الأول من تغيير الحال

1 – التحرير والتنوير ، ج9 / ص139 .

2 – الكشاف ، ج2 / 218 .

3 – روح المعاني ، ج10 / ص20 .

4 – تفسير القرطبي ، ج8 / ص28 .

وتغيير النعمة أخذا مما نطق به قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرًا ﴾[1] تفسير لدأبهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم "[2].

ولهذا الاستدراك فائدة عظيمة تتمثل في أن حمل هذا الضرب من التكرار على معنى التوكيد والتقرير مطلقا لا يعطي الصورة الحقيقية لنكت التكرار وفوائده ؛ لأن القول بالتأكيد لا يكون إلا بعد تعذر حمله على معنى التأسيس عملا بالأصل ، لذا نجد جماعة من العلماء كالكرماني وابن عطية والقرطبي وغيرهم قد اجتهدوا في تحديد معنى تكرير هذه الآية ، فكان ذلك من وجوه عديدة :

أولها : أن " دَأْبٌ " الأولى في أن هلكوا لَمَّا كفروا ، والثانية دَأْبٌ في أَنْ لم يغير الله نعمتهم حتى غَيَّروها هم[3].

ثانيا : قالوا أن الثاني جارٍ مجرى التفصيل الأول فإن الأولَ متضمِّنٌ لِذِكْرِ إجرامهم والثاني متضمِّنٌ لذكر إغراقهم ، وفي الأولى ما يَنْزِل بهم حالَ الموت من العقوبة، وفي الثاني ما يَحُلُّ بهم من العذاب في الآخرة ، وجاء في الأولى بآيات الله إشارةً إلى إنكارِ ذِكْر دلائلِ الإِلهيَّة ، وفي الثاني بآيات ربهم إشارةً إلى إنكارهم مَنْ رَبَّاهم وأحسنَ إليهم[4].

---

1 – الأنفال/ 53 .

2 – روح المعاني ، ج10 / ص20 .

3 – ينظر المحرر الوجيز ، ج2 / ص 620 .

4 – ينظر تفسير البحر المحيط ، ج4 / ص503 .

ثالثا : يُحتمل أن يكون الضمير في " **كفروا** " في الآية الأولى عائداً على قريش ، والضمير في " **كذبوا** " في الثانية عائداً على آلِ فرعون ومَنْ **ذُكِر معهم** [1] .

رابعا : يحتمل أن يكون الأول خبرا عن عادتهم في الأشر والبطر والطغيان عند الاستغناء ، والمعنى : جرت عادتهم بمقابلة الإحسان بقبيح العصيان ويكون الأخير بعد ذكر الله معاقبتهم على فعلهم خبرا عما أجرى الله تعالى به العادة في عقاب مثلهم ، فكان **معنى** الأول عُوِّدوا من أنفسهم عادة ، ومعنى الثاني : عُوّدوا إذا فعلوا ذلك عادة، وهي سلب نعمة الدنيا ، والنقل إلى عذاب الآخرة "[2] .

خامسا : ذكر في الآية الأولى عقوبته إياهم عند الموت كما فعله بآل فرعون ومن **قبلهم من الكفار ،** وذكر في الثانية ما يفعل بهم بعد الموت كما فعله بآل فرعون ومن **قبلهم فلم يكن تكرارا** [3] .

سادسا : أن المراد بالأول كفرهم بالله ، وبالثاني تكذيبهم الأنبياء ؛ لأن تقدير **الآية كذبوا الرسل بردّهم آيات الله** [4] .

فهذه التوجيهات وغيرها تهدف إلى إبراز غرض حقيقي للتكرار – غير **التوكيد - ُتدفع به شبهة المشككين في بلاغة القرآن الكريم ، وقد** تمثل في **غرض التأسيس ، إلا** أنه لا يمكننا تحديده ، والوصول إلى سره دون استخدام ما يعرف بالسياق القرآني ، وهو ما قام به الخطيب الاسكافي في توجيهه لهذه الآية حيث قال : " والجواب عندي : أنه

1 – أسرار التكرار في القرآن ، ص94 .

2 – درة التنزيل وغرة التأويل ، ج 1 / ص 371 .

3 – أسرار التكرار في القرآن الكريم ، ص 94 .

4 – المصدر نفسه ، ص95 .

أخبر في الأولى عمّا عاقبهم من العذاب الذي لم يملّك الناس إيقاعه ، ولم يمكّن بعضَهم مِن أن يفعل ببعض مثله ، وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم ، وإخبارُهم إياهم بمصيرهم إلى عذاب يحرقهم ، وفي الثانية أخبر عمّا أنزله بهم من العذاب الذي مكّن الناس من فعل مثله ، والإهلاك والإغراق ، لأن ذلك مما أقدر الله تعالى العباد عليه ، فالنوعان هما العذاب الأول من أحكام الآخرة بعد ظهور أشراط الساعة والعذاب الثاني من أحكام عذاب الدنيا "[1].

فهذا الحكم ما وصل إليه الخطيب ، إلا بعدما تعرض لسياق كل آية وردت فيه ، فالآية الأولى جاءت في سياق الإخبار عن ضرب الملائكة للوجوه والأدبار عند انتزاع الأرواح ، والإخبار عن مصيرهم إلى عذاب يحرقهم ، فلا يقدر على هذا النوع من العذاب إلا الله عز وجل ، فحقيق أن يكون هذا المشهد من أحكام يوم القيامة ، وقد بينه الخطيب ـ رحمه الله ـ بقوله : " فالعقاب الأول أولى أن يكون المراد به عذاب الآخرة ؛ لأن فيه الإخبار بالإحراق.. مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾[2] ، ويعقبه بقوله : ﴿ ..كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ ﴾[3] ، وقوله في سورة آل عمران : ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾[4] ، فذكر أنهم وقود النار ، وذلك في الآخرة " [5] .

---

1 – درة التنزيل وغرة التأويل ، ج 1 / ص 368

2 – الأنفال/ 50 .

3 – الأنفال/ 50 .

4 – آل عمران / 10ـ11 .

5 – درة التنزيل ، ج 1 ، ص 370 / 371

واستدل ـ أيضا ـ بقوله : " .. ثم قال : ﴿ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ والمراد به عذاب عقاب الآخرة كما قال : ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾[1]" [2] .

وأما الآية الثانية فوردت في سياق الإخبار عن الهلاك والغرق الذي أصاب آل فرعون وهو عقاب مكن الله عز وجل الناس من فعل مثله ، فحقيق أن تكون هذه الآية لونا من ألوان العذاب في الدنيا ، وقد بين الخطيب هذا الحكم بقوله : " ويشهد لذلك قوله في الآية الثانية ﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ ﴾ فذكر هذا الاسم دون غيره ، لأن فيه معنى : أنه نعمهم ورباهم وقام بمصالحهم حتى بلغوا حدّ التكليف ، والمبلغ الذي قدروا فيه على أداء حق الإنعام ، فلما غيروا ما أنعم الله به عليهم عن جهته ، وصرفوه إلى معصيته وتقوّوا بنعمته على مخالفته سلبهم ذلك في الدنيا بأن عجل هلاكهم فأغرقهم ، فالعقاب الموجود ذكر في الآية الأخيرة مما يفعله أهل الدنيا بعضهم ببعض ، فذكره عقيب إنعامه عليهم وتغييرهم له بوضع الكفر موضع الشكر ، فغيّر الله سابق الإنعام بيد الانتقام وكما غيّروا غُيِّر عليهم " [3] .

ومن الأمثلة التي تضرب لهذا النوع من التكرار قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٤٨ ﴾[4] فقد تكررت

1 – طه/ 127 .

2 – درة التنزيل ، ج 1 ، ص 369

3 – نفسه ، ج 1 ص(369 ، 370) .

4 – البقرة/ 47 ـ 48 .

هذه الآية في السورة نفسها مع تغيير في نمط تركيب ألفاظها فقال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣ ﴾[1] .

قال **أبو حيان** ـ رحمه الله ـ : " كرر نداء بني إسرائيل هنا وذكرهم بنعمه على سبيل التوكيد إذ أعقب ذلك النداء ذكر نداء ثان يلي ذكر الطائفتين متبعي الهدى والكافرين المكذبين بالآيات ، وهذا النداء أعقب ذكر تلك الطائفتين من المؤمنين **والكافرين** – **يقصد قوله** تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١ ﴾[2]- وكان ما بين النداءين قصص بني إسرائيل ، وما أنعم الله به عليهم وما صدر منهم من أفعالهم التي لا تليق بمن أنعم الله عليه من المخالفات ، **والكذب ، والتعنتات ، وما** جوزوا به في الدنيا على ذلك ، وما أعدّ لهم في الآخرة محشواً بين التذكيرين ، ومجعولاً بين الوعظين ، والتخويفين ليوم القيامة ، ونظير ذلك في الكلام : أن تأمر شخصاً بشيء على جهة الإجمال ، ثم تفصل له ذلك الشيء إلى أشياء كثيرة عديدة وأنت تسردها له سرداً ، وكل واحدة **منها هي مندرجة تحت ذلك الأمر السابق ويطول بك الكلام حتى تكاد تتناسى ما سبق من ذلك الأمر** فتعيده ثانية لتتذكر ذلك الأمر ، وتصير تلك التفصيلات محفوفة بالأمرين المذكورين بهما"[3] .

ذكر أبو حيان في توجيه هذه الآية غرضين من أغراض التكرار :

1- التوكيد : وبه فسر كثير من العلماء هذه الآية قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : " وكررت هاهنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول النبي الأميّ الذي يجدون صفته في

1 – البقرة / 122ـ123 .

2 – البقرة / 121 .

3 – تفسير البحر المحيط ، ج1 / ص541 .

كتبهم ونعتَه واسمه وأمره وأمته ، فحذرهم من كتمان هذا ، وكتمان ما أنعم به عليهم ، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم ، من النعم الدنيوية والدينية ، ولا يحسدوا بني عَمِّهم من العرب على ما رزقهم الله من إرسال الرسول الخاتم منهم ، ولا يحملهم ذلك الحسدُ على مخالفته وتكذيبه ، والحيدة عن موافقته ، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين" [1] .

وسار الشوكاني ـ رحمه الله ـ على خطى ابن كثير ـ رحمه الله ـ فقال : " وإنما كرر ذلك سبحانه توكيداً للحجة عليهم ، وتحذيراً لهم من ترك اتباع محمد ﷺ " [2].

وقال البيضاوي ـ رحمه الله ـ وهو يبين سبب التكرير هنا : " لما صدّر قصتهم بالأمر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر من إضاعتها والخوف من الساعة وأهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وإيذانا بأنه فذلكة [3] القصة والمقصود من القصة " [4] .

2- إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانية تطرية له وتجديدا لعهده: وليس المقام مقام الحديث عن هذا الغرض - الذي سيأتي تفصيله في المبحث الخامس من هذا الفصل – وإنما نحن بصدد الحديث عن توجيه أبي حيان لهذا التكرار وما ساقه من أغراض لذلك حيث قال : "ويطول بك الكلام حتى تكاد تتناسى ما سبق من ذلك الأمر فتعيده ثانية لتتذكر ذلك الأمر " [5] .

---

1 – تفسير ابن كثير ، ج 1/ ص 404 .

2 – فتح القدير ، ج1 / ص128 .

3 – فذلكة : أي ملخصها ومحصولها وفذلكة الحساب ما يقال في آخر حساب الأمور الكثيرة المنفصلة فذلك يكون كذا فهي مأخوذة منه كما تؤخذ البسملة من قول المسمي بسم الله الرحمن الرحيم والسبحلة من قول المسبح سبحان الله فان مثلها مأخوذ من كلام مركب من أكثر من كلمة . (انظر تفسير البيضاوي ج1 / ص394 .)

4 – تفسير البيضاوي ، ج 1 / ص394 .

5 – تفسير البحر المحيط ، ج 1 ص 541 .

وبهذا الغرض فسر البقاعي ـ رحمه الله ـ **تكرير هذه الآية فقال : " ولما طال** المدى في استقصاء تذكيرهم بالنعم ، ثم في بيان عوارهم وهتك أستارهم ، وختم ذلك بالترهيب بخسارهم لتضييع أديانهم بأعمالهم وأحوالهم وأقوالهم ، **أعاد ما صدّر به** قصتهم من التذكير بالنعم والتحذير من حلول النقم يوم يجمع الأمم ويدوم فيه الندم لمن **زلت به القدم ، ليعلم** أن ذلك فذلكة القصة والمقصود بالذات في الحث على انتهاز الفرصة في التقصّي عن حرمة النقص إلى لذة الربح بدوام الشكر " [1] .

وذكره البقاعي مستشهدا بكلام الإمام الحرالي [2] **فقال : " فلبعده بالتقدم كرره** تعالى إظهاراً لمقصد التئام آخر الخطاب بأوله وليتخذ هذا **الإفصاح والتعليم أصلاً لما** يمكن أن يرد من نحوه في سائر القرآن حتى كأن **الخطاب إذا** انتهى إلى غاية خاتمة يجب أن يلحظ القلب بداية تلك الغاية فيتلوها ليكون في تلاوته جامعاً لطرفي البناء وفي تفهمه جامعاً لمعاني طرفي المعنى " [3] .

ولكن ثمة إشكال لابد من طرحه ها هنا ألا وهو : إذا كان التكرير للتذكير بما نسي جراء طول الفصل ؛ فلماذا اختلفت الآية الأولى عن الثانية من حيث التقديمُ والتأخيرُ ؟ .

---

1 – نظم الدرر ، ج2 / ص144 ـ 145.

2 – أبو الحسن علي بن أحمد التجيبي الحرالي (ت : 637 هـ بحماة) ، مولده ونشأته بمراكش ، وأصله همن حرالة ، إحدى قرى إقليم مرسية بالأندلس ، كان ضليعا في العربية والفقه والكلام والأدب والفلسفة ، رحل إلى المشرق ، وكان بين شيوخه بالحجاز، الفقيه المتمرس بعلوم القرآن والعربية أبو عبد الله محمد القرطبي، وكتب الحرالي تفسيرا تميز بأصالته ، وظف فيه معارفه في العقليات وروحه الصوفية ، وانشطر قراؤه بين ناقد كابن تيمية وعز الدين بن عبد السلام ، ومحبذ كالغبريني والبقاعي الشامي الذي وضع تفسيرا على منواله . (ينظر عنوان الدراية ، الغبريني ص :143 – 155 ، طبقات المفسرين ، السيوطي ، ص: 22 ، توشيح الديباج ، القرافي ، ص : 162– 165) .

3 – نظم الدرر ، ج2 / ص145 .

أجاب عن هذا الإشكال محمد الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ في تفسيره فقال: " وقد أعيدت هذه الآية بالألفاظ التي ذكرت بها هنالك للتنبيه على نكتة التكرير للتذكير ولم يخالف بين الآيتين إلا في الترتيب بين العدل والشفاعة فهنالك قدم ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ وأخر ولا يؤخذ منها عدل وهنا قدم ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ **وأخر لفظ** الشفاعة مسندا إليه تنفعها وهو تفنن والتفنن في الكلام تنتفي به سآمة الإعادة مع **حصول المقصود من التكرير** "[1] .

فالتفنن في الكلام والنفي السآمة سبب في الاختلاف بين الآيتين من حيث التقديم والتأخير عند الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ .

إلا أن هذا التوجيه غير كاف لمثل هذا النوع من التكرار ؛ لأنه يحمل في طياته غالبا معان راقية بينها العلماء وتناولوها بالبحث والدراسة قديما وحديثا ، **ولعل من أبرزهم الإمام البقاعي** ـ رحمه الله ـ في نظم الدرر ، فقد بين سرَّ اختلاف الآيتين معتمدا في ذلك على سياق كل آية وردت فيه ، فقال عن الآية الأولى : " **ولما تقدم أنه فضلهم** وعاهدهم وأن وفاءه بعهدهم مشروط بوفائهم بعهده ناسب **تقديم** الشفاعة "[2] .

وقال عن الآية الثانية : " ولما ختمت الآية الماضية بحصر الخسارة فيهم ناسب **تقديم نفي القبول فقال** : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ يبذل في فكاكها من غير الأعمال **الصالحة** "[3] .

وللإمام الآلوسي ـ رحمه الله ـ توجيه بديع في ذلك حيث قال : " وقد تفنن في التعبير فجاءت الشفاعة أولا بلفظ القبول متقدمة على العدل ، وهنا بلفظ النفع متأخرة

1 – التحرير والتنوير ، ج1 / 679 .

2 – نظم الدرر ، ج2 / ص 146 .

3 – المصدر نفسه ، ج1/ 352 .

عنه ولعله كما قيل إشارة إلى انتفاء أصل الشيء وانتفاء ما يترتب عليه وأعطى المقدم وجودا تقدمه ذكرا والمتأخر وجودا تأخره ذكرا ، وقيل : إن ما سبق كان للأمر بالقيام **بحقوق النعم** السابقة وما هنا لتذكير نعمة بها فضلهم على العالمين وهي نعمة الإيمان بنبي زمانهم وانقيادهم لأحكامه ليغتنموها ويؤمنوا ويكونوا من الفاضلين لا المفضولين وليتقوا بمتابعته عن أهوال القيامة وخوفها كما اتقوا بمتابعة موسى" [1].

كما أشار الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ إلى معنى آخر فقال : " أعيد نداء بني إسرائيل نداء التنبيه والإنذار والتذكير على طريقة التكرير في الغرض الذي سيق الكلام الماضي لأجله ، فإنه ابتدأ نداءهم أولا بمثل هاته الموعظة في ابتداء التذكير بأحوالهم الكثيرة خيرها وشرها عقب قوله : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، **فذكر مثل هاته** الجملة هناك كذكر المطلوب في صناعة المنطق قبل إقامة البرهان ، **وذكرها هنا كذكر** النتيجة في المنطق عقب البرهان ، تأييدا لما تقدم وفذلكة له ، وهو من ضروب رد العجز على الصدر " [2] .

هذا عن الصورة الأولى من صور التكرار المفصول في السورة الواحدة ، **أما الصورة الثانية فهي :**

ب- أن يقع في مواضع مختلفة من القرآن : وهو على التقسيم الذي ذكرناه في الصورة الأولى ؛ التكـرار النظميّ الذي تكون فيه الإعادة لنمط تركيبي بحروفه ومعناه، والثاني التصريف النظميّ الذي تكون فيه الإعادة لنمط تركيبي ذي عدول في بعض مفرداته أو مواقعها .

1 – روح المعاني ، ج1 / ص373 .

2 – التحرير والتنوير ، ج1 / ص679 .

فمن الأول قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[1] تكررت في موضعين من القرآن الكريم؛ في سورة التوبة [الآية / 73] وفي سورة التحريم الآية [الآية / 9] **وهذا القسم من** التكرار يتعلق بالإطار العام للسورة ، وتفسيره يكون من جنس تفسيرها ، فالآية التي في التوبة جاءت عقب ذكر صفات المنافقين ونعوتهم ؛ من خيانة للعهد ، **وتكذيب بالدين ،** وقطعٍ لروابط الأخوة بين المسلمين ، وإذاية للنبي المصطفى الأمين ، ولمز للمؤمنين **الصادقين .**

قال السيد قطب ـ رحمه الله ـ : " وبعد بيان صفة المؤمنين الصادقين **وصفة** المنافقين الذين يدّعون الإيمان . . يأمر الله نبيه أن يجاهد الكفار والمنافقين ، ويقرر القرآن الكريم أن هؤلاء المنافقين قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ، وهموا بأمر خيبهم الله فيه ، وهو من وحي الكفر الذي صاروا إليه ، ويعجب من نقمتهم على رسول الله ﷺ وما كان لهم من بعثته إلا الخير والغنى ، ويرغبهم في التوبة ويخوفهم التمادي في **الكفر والنفاق :** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٧٤ ﴾[2] "[3] .

---

1 – التوبة / 73 ، التحريم / 9 .

2 – التوبة / 73 ـ 74 . .

3 – في ظلال القرآن ، السيد قطب ، دار الشرق ، بيروت ، الطبعة الشرعية : الثانية عشر ، سنة : 1406 هـ / 1986 م ، ج3 / ص 1676 ـ 1677 .

وقال البقاعي ـ رحمه الله ـ في نظم الدرر : " ولما ثبتت موالاة المؤمنين ومقاطعتهم للمنافقين والكافرين ، وكان ما مضى من الترغيب والترهيب كافياً في الإنابة ، وكان من لم يرجع بذلك عظيم الطغيان غريقاً في الكفران ، أتبع ذلك الأمر بجهادهم بما يليق بعنادهم فقال آمراً لأعظم المتصفين بالأوصاف المذكورة مفخماً لمقداره بأجل أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التوبة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ "[1] .

أما آية التحريم فإطارها العام هو ذكر أحوال النبي ﷺ الشخصية ، من حسن معاشرته لنسائه ، وأدبه الرفيع في التعامل معهن ، ولين الكلام في مخاطبتهن ، وهذا دأبه في معاملة الخلق من صحابته الكرام رضوان الله عليهم ، ثم جاء في سياق هذه المعطيات الأمر بقتال المنافقين والكافرين فما مناسبة ذلك ؟ .

قال البقاعي ـ رحمه الله ـ : " ولما ذكر ما تقدم من لينه ﷺ لأضعف الناس النساء وحسن أدبه وكريم عشرته ؛ لأنه مجبول على الشفقة على عباد الله والرحمة لهم ، وختم بما للمؤمنين من الشرف ولله من تمام القدرة ، أنتج ذلك القطع بإذلال أعدائهم وإخزائهم فقال مدارياً لهم من خطر ذلك اليوم بيد أنصح الخلق ليكون جامعاً في طاعته سبحانه وتعالى بين المتضادات من اللين والشدة والرضى والغضب والحلم والانتقام وغيرها ، فيكون ذلك أدل على التعبد لله بما أمر به سبحانه وتعالى والتخلق بأوامره وكل ما يرضيه "[2] .

وهناك توجيه بديع ذهب إليه سيد قطب في ظلال القرآن ، بعد أن بين أبعاد هذه السورة وإطارها العام وهو ؛ مكانة الأسرة في قيام الجماعة المسلمة التي يهيمن عليها

1 – نظم الدرر ، ج8 / ص 546 ـ 547 .

2 – ظلال القرآن ، ج20 / ص 205 .

الإسلام ، والتي يتحقق فيها وجوده الواقعي ، قال في هذا الصدد : " **والبيت المسلم هو** نواة الجماعة المسلمة ، وهو الخلية التي يتألف منها ومن الخلايا الأخرى ذلك الجسم الحي .. **المجتمع الإسلامي** " [1]

والجماعة المسلمة تعتبر قلعة من قلاع هذه العقيدة ، فلا بد أن تكون متماسكة من داخلها حصينة في ذاتها ، كل فرد فيها يقف على ثغرة لا ينفذ إليها ، وإلا كان سهلا اقتحام المعسكر من الداخل ، فلا يصعب على طارق ، ولا يستعصي على **مهاجم** [2].

ومن مقومات هذه الجماعة أن تتواصى بالإسلام ، وتحتضن فكرته وأخلاقه وآدابه وتصوراته كلها ، فتعيش بها فيما بينها ، وتعيش لها تحرسها وتحميها وتدعو إليه ، في صورة واقعية يراها من يدعون إليها من المجتمع الجاهلي الضال ليخرجوا من الظلمات إلى النور بإذن الله ، إلى أن يأذن الله بهيمنة الإسلام ، حتى تنشأ الأجيال في ظله، في حماية من الجاهلية الضاربة الأطناب .. " [3] .

ثم ختم كلامه بتوجيه الآية التي بين أيدينا فقال : " وفي سبيل حماية الجماعة المسلمة الأولى كان الأمر لرسول الله ﷺ **بمجاهدة أعدائها :** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[4] ، **وهي لفتة** لها معناها وقيمتها بعدما تقدم من أمر المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم من النار ، وبالتوبة النصوح التي تكفر عنهم السيئات وتدخلهم الجنة تجري من تحتها الأنهار .. لها معناها وقيمتها في ضرورة حماية المحضن الذي تتم فيه الوقاية من النار ، فلا تترك هذه

1 – ظلال القرآن ، ج 6 / ص3619 .

2 – المصدر نفسه بتصرف يسير ، ج6 / ص3619 .

3 – ظلال القرآن بتصرف يسير ، ج6 / ص3620 .

4 – التوبة / 73 .

العناصر المفسدة الجائرة الظالمة ، تهاجم المعسكر الإسلامي من خارجه كما كان الكفار يصنعون ، أو تهاجمه من داخله كما كان المنافقون **يفعلون** " [1].

ومن أمثلة هذا القسم من التكرار قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ والذي تكرّر في ست مواضع من القرآن الكريم ؛ في سورة يونس [الآية / 48] ، والأنبياء [الآية / 38] ، والنمل [الآية / 71] ، وسبأ [الآية / 29]، ويس [الآية / 48] ، والملك [الآية / 25] .

وتفسير هذا النوع من التكرار يحتاج إلى معرفة السياق الذي وردت فيه كل آية، يقول **الإمام** البقاعي في توجيه الآية الأولى :" ولما تقدم في هذه الآيات تهديدهم بالعذاب في الدنيا أو في الآخرة ، حكى سبحانه جوابهم عن ذلك عطفاً على قوله : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[2]"[3].

وقال الشيخ الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ : " ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ عطف على جملة ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾[4] ، والمناسبة أنه لما بيَّنت الآية السالفة أن تعجيل الوعيد في الدنيا لهم وتأخيره سواء عند الله تعالى ، إذ الوعيد الأتم هو وعيد الآخرة ، أتبعت بهذه الآية حكاية لتهكمهم على تأخير الوعيد " [5].

---

1 – ظلال القرآن ، ج6 / 3620 ـ 3621 .

2 – يونس / 48 .

3 – نظم الدرر ، ج9 / ص 132 .

4 – يونس / 46 .

5 – التحرير والتنوير ، ج11 / ص99 .

وأما الآية التي في سورة الأنبياء فقد قال البقاعي ـ رحمه الله ـ في توجيهها : " ولما ذم العجلة وهي إرادة الشيء قبل أوانه ، ونهى عنها ، قال دالاً عليها عاطفاً على عامل ﴿ هَٰذَا ﴾: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي في استهزائهم بأولياء الله : ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ﴾ وتهكموا بقولهم : ﴿ ٱلْوَعْدُ ﴾ أي بإتيان الآيات من الساعة ومقدماتها وغيرها ، وزادوا في الإلهاب والتهييج تكذيباً فقالوا : ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أي عريقين في هذا الوصف جداً - بما دل عليه الوصف وفعل الكون "[1] .

بينما ذهب الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ إلى توجيه آخر فقال : " نشأ عن ذكر استبطاء المسلمين وعد الله بنصرهم على الكافرين ذِكر نظيره في جانب المشركين أنهم تساءلوا عن وقت هذا الوعد تهكماً ، فنشأ به القولان واختلف الحالان فيكون قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾[2]عطفاً على جملة ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾[3]، وهذا معبّر عن مقالة أخرى من مقالاتهم التي يتلقون بها دعوة النبي ﷺ استهزاء وعناداً ، وذكر مقالتهم هذه هنا مناسب لاستبطاء المسلمين النصر ، وبهذا الاعتبار تكون متصلة بجملة ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾[4]فيجوز أن تكون معطوفة عليها "[5] .

---

1 – نظم الدرر ، ج12 / ص461 .

2 – الأنبياء / 37 .

3 – الأنبياء / 37 .

4 – الأنبياء / 36 .

5 – التحرير والتنوير ، ج17 / ص51 .

فحاصل كلامه ـ رحمه الله ـ : أنّ الاستعجال جاء من كلا الفريقين ؛ المؤمنين والكافرين ، ولكنه يختلف من حال إلى حال ، فإن المؤمنين استعجلوا النصر من الله عز وجل على أعداهم من المشركين ، أما الكفار فقد استعجلوا العذاب استهزاءً وعنادا ، وهذا يتناسب تمام المناسبة مع قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾[1] .

أما آية النمل فيقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ في توجيهها : " كانوا يقولون هذا كلما خوفوا بمصائر المجرمين قبلهم ، ومصارعهم التي يمرون عليها مصبحين كقرى لوط ، وآثار ثمود في الحجر ، وآثار عاد في الأحقاف ، ومساكن سبأ بعد سيل العرم ..كانوا يقولون مستهزئين : ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[2]متى هذا العذاب الذي تخوفوننا به ؟ إن كنتم صادقين فهاتوه ، أو خبرونا بموعده على التحديد ! ، وهنا يجيء الرد يلقي ظلال الهول المتربص ، وظلال التهكم المنذر في كلمات قصار : ﴿ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ٧٢ ﴾[3]"[4] .

فاعتمد سيد قطب ـ رحمه الله ـ في توجيه هذه الآية ـ على ما يعرف بالسياق الموضوعي ؛ الذي جاء ليبين أخبار الجاحدين لدعوة الأنبياء والمرسلين ، وما حل بهم من العذاب الأليم ، وما هو إلا تذكير لقريش ، وترهيب لهم ، فكان جوابهم أشد من إنكارهم لدعوة النبي ﷺ بأن قالوا : ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ .

---

1 – الأنبياء / 37 .

2 – النمل / 71

3 – النمل / 72 .

4 – في ظلال القرآن ، ج 5 / ص 2663 .

وقال البقاعي ـ رحمه الله ـ: " ولما أشار إلى أنهم لم يبقوا في المبالغة في التكذيب بالساعة وجهاً ، أشار إلى أنهم بالوعيد بالساعة وغيرها من عذاب الله أشد مبالغة ، فقال : ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ بالمضارع المؤذن بالتجدد كل حين للاستمرار : ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ **وسموه وعداً** إظهاراً للمحبة تهكماً به ، وهو العذاب والبعث والمجازاة ﴿ إن كنتم ﴾ أي أنت ومن تابعك ، كوناً هو في غاية الرسوخ ، كما تزعمون ﴿ صادقين ﴾"[1] .

وإن أحسن ما وقفت عليه من توجيهات لتكرار هذه الآية في سورة سبأ ، **هو ما ذكره الإمام السعدي** ـ رحمه الله ـ في تفسيره **حين قال** : " ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[2] أي : ليس لهم علم صحيح ، بل إما جهال أو معاندون لم يعملوا بعلمهم ، فكأنهم لا علم لهم ، ومن عدم علمهم ، جعلهم عدم الإجابة لما اقترحوه على الرسول موجبا لرد دعوته ، فمما اقترحوه ؛ استعجالهم العذاب الذي أنذرهم به فقال : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3] **وهذا ظلم منهم . فأي ملازمة بين** صدقه ، وبين الإخبار بوقت وقوعه ؟ وهل هذا إلا رد للحق ، وسفه في العقل ؟ أليس النذير في أحوال الدنيا ، لو جاء قوما يعلمون صدقه ونصحه ، ولهم عدو ينتهز الفرصة منهم ويُعِدُّ لهم فقال لهم : تركت عدوكم قد سار، يريد اجتياحكم واستئصالكم . **فلو قال بعضهم : إن كنت صادقا** ، فأخبرنا بأية ساعة يصل إلينا ، وأين مكانه الآن ؟ فهل يعد هذا القائل عاقلا أم يحكم بسفهه وجنونه ؟ "[4] .

1 – نظم الدرر ، ج14 / ص209 .

2 – سبإ / 28 .

3 – سبإ / 29 .

4 – تفسير السعدي ، ص 680 .

فمراد الإمام السعدي ـ رحمه الله ـ : أنّ الجهل الذي أصاب الناس عامة ، والكفار من قريش خاصة ، جعلهم يستعجلون العذاب الذي أنذرهم به النبي ﷺ عنادا ومكابرة ، فهو من أعظم الأدلة على عدم علمهم .

وقد بين البقاعي ـ رحمه الله ـ هذا المعنى بقوله : " ولما سلب عنهم العلم - ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ - ، أتبعه دليله ، فقال معبراً بصيغة المضارعة الدال على ملازمة التكرير للإعلام بأنه على سبيل الاستهزاء لا الاسترشاد : ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي ما أرسلناك إلا على هذا الحال والحال أن المنذرين يقولون جهلاً منهم بعاقبة ما يوعدونه غير مفكرين به في وجه الخلاص منه والتقصي عنه في كل حين استهزاء منهم : ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ أي بالبشارة والنذارة في يوم الجمع وغيره فسموه وعداً زيادة في الاستهزاء . ولما كان قول الجماعة أجدر بالقبول ، وأبعد عن الرد من قول الواحد ، أشار إلى زيادة جهلهم بقوله : ﴿ إِن كُنتُمْ ﴾ أي أيها النبي وأتباعه ! كوناً أنتم عريقون فيه ﴿ صَٰدِقِينَ ﴾ أي متمكنين في الصدق "[1] .

وأما آية "يس" فيمكن أن توجه بما ذكره البقاعي ـ رحمه الله ـ : " ولما ذكر قلة خيرهم المستندة إلى تهكمهم باليوم الذي ذكروا به بالأمر بالاتقاء والتعليل بترجي الرحمة ، أتبعه حكاية استهزاء آخر منهم دال على عظيم جهلهم بتكذيبهم بما يوعدون على وجه التصريح بذلك اليوم والتصوير له بما لا يسع من له أدنى مسكة غير الانقياد له فقال : ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي عادة مستمرة مضمونة إلى ما تقدم مما يستلزم تكذيبه ، وزادوا بالتعبير

1 –نظم الدرر ، ج15 / ص506 .

بأداة القرب في تقريعهم إشارة إلى أنكم زدتم علينا في التهديد به والتقريب له ، **حتى ظن** أنه مصبحنا أو ممسينا ، ولم نحس منه عيناً **ولا أثراً** : ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ ﴾ وزادوا في **الاستهزاء** بتسميته **وعداً فقالوا** : ﴿ ٱلۡوَعۡدُ ﴾ أي الذي تهددوننا به تارة تلويحاً وتارة تصريحاً ، عجلوه لنا ، وألهبوا وهيجوا زيادة في التكذيب بقولهم : ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾"[1] .

وقد رجح هذا التوجيه الشيخ الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ **حين قال** : " **ذكر** عقب استهزائهم بالمؤمنين - **لمّا منعوهم الإنفاق بعلة أن الله لو شاء لأطعمهم - استهزاء** آخر بالمؤمنين في تهديدهم المشركين بعذاب يحلّ بهم فكانوا يسألونهم هذا الوعد استهزاء بهم بقرينة قوله : ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾.. "[2] .

ثم جاء تكرير هذه الآية في سورة الملك وتوجيهها كما قال البقاعي ـ رحمه الله ـ: " ولما كان التقدير ؛ فلقد أبلغ سبحانه في وعظهم بنفسه وعلى لسانك يا أشرف الخلق ﷺ وذلك بما هدى إليه السياق قطعاً ، ذكر حالهم عند ذلك فقال إعلاماً بكثافة طباعهم حيث لم تلطف أسرارهم لقبول محبة الله تعالى وإثارة الأحوال الحسنة من الصبر المثبت واليقين وحسن الانطباع لقبول النصائح والخوف وعدم الاعتزاز بأحد غير الله تعالى من جهة نفع أو ضر ، وكذلك لفت القول إلى الإعراض إيذاناً بشديد الغضب **منهم** : ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي يجددون هذا القول تجديداً مستمراً استهزاء وتكذيباً "[3] .

وقال الشيخ **الطاهر بن عاشور** ـ رحمه الله ـ : " لما لم تكن لهم معارضة للحجة التي في قوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمۡ ﴾[4] إلى ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ

---

1 – نظم الدرر ، ج 16 / ص138 ـ 139 .

2 – التحرير والتنوير ، ج22 / ص242 .

3 – نظم الدرر ، ج20 / ص 261 ـ 262 .

4 – الملك / 23 .

﴿ ٢٤ ﴾[1]انحصر عنادهم في مضمون قوله: ﴿ وإليه تحشرون ﴾ فإنهم قد جحدوا البعث وأعلنوا بجحده وتعجبوا من إنذار القرآن به ، وقال بعضهم لبعض ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ ﴾[2] وكانوا يقولون : ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[3] واستمروا على قوله ، فلذلك حكاه الله عنهم بصيغة المضارع المقتضية للتكرير "[4].

إذن فكل آية من هذه الآيات التي تكررت في مواضع مختلفة من القرآن ، تشترك في معنى واحد ؛ ألا وهو الاستعجال المتضمن للتكذيب والاستهزاء والعناد ، إلا أنّ كل واحدة منها تتعلق بالإطار العام للسورة ، أو بما قبلها من الآيات ، فيكون توجيهها من جنس توجيه ما قبلها .

ومن الثاني – التصريف النظميّ الذي تكون فيه الإعادة لنمط تركيبي ذي عدول في بعض مفرداته أو مواقعها – كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[5] ، حيث تكرّرت هذه العبارة في موضعين : في سورة النحل [الآية / 43] ، وفي الأنبياء من غير زيادة حرف الجر في قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾[6] .

1 – الملك / 24 .

2 – سبإ / 7 .

3 – سبإ / 29 .

4 – التحرير والتنوير ، ج29 / ص 45 .

5 – الأنبياء / 7 ، والنحل / 43 .

6 – الأنبياء / 7 .

قال البقاعي ـ رحمه الله ـ في توجيه ذلك : " ولما كان السياق لإنكار أن يكون النبي بشراً ، وكان الدهر كله ، ما خلا قط جزء منه من رسالة ، إما برسول قائم ، وإما بتناقل أخباره ، كان تعميم الزمان أنسب فقال من غير حرف جر : ﴿ قَبْلَكَ ﴾ أي في جميع الزمان الذي تقدم زمانك في جميع طوائف البشر ﴿ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ ﴾ بالملائكة سراً من غير أن يطلع على ذلك الملك غيرهم كما اقتضته العظمة من التخصيص والاختيار والإسرار عن الأغيار ، وذلك من نعم الله على خلقه ، لأن جعل الرسل من البشر أمكن للتلقي منهم والأخذ عنهم " [1] .

أما آية النحل فقال عنها ـ رحمه الله ـ : " ولما كان الإرسال بالفعل إنما كان في بعض الأزمنة ، دل عليه بالجار فقال : ﴿ مِن قَبۡلِكَ ﴾ إلى الأمم من طوائف البشر " [2] .

ومن الأمثلة على هذا التكرار أيضا قوله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ ﴾[3] تكررت هذه الآية بأداة العطف « ثم » في قوله : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ٢٢ ﴾[4] ، بدلا من « الفاء » في قوله تعالى : ﴿ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا ﴾[5] ، وتوجيه ذلك ما قاله الخطيب ـ رحمه الله ـ : " والجواب أن يقال : إن « الفاء » و « ثم » مشتركتان في أن ما بعدهما في

---

1 – نظم الدرر ، ج12 / ص389 ـ 390 .

2 –نظم الدرر ، ج11 / ص 166 ـ 167 .

3 – الكهف / 57 .

4 – السجدة / 22 .

5 – الكهف / 57 .

اللفظ متأخر عمّا قبلها في المعنى ، ومختلفتان في أنّ « **الفاء** » قرُب ما بعدها مما قبلها ، وفي « **ثم** » **تراخيا عنه وبُعدا** ، فكان استعمال الفاء في سورة الكهف أولى ، واستعمال « **ثم** » **هناك أحق وأحرى** ، وذلك أن ما في سورة الكهف في ذكر قوم يستدعون إلى الإيمان ، ولم تختم أعمالهم بالكفر لقوله تعالى : ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾ ﴾[1]، **وليس كذلك قوله :** ﴿ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ ﴾ الآية ، في وصف الكفار بعد موافاتهم القيامة لقوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] أي : ذكّر مدة عمره بآيات ربّه ، وتطاول الأمر بزجره ووعظه ، ثم ختم ذلك بترك القبول وبالإعراض ، فكان هذا قولا **يقال فيهم** عند الانتقام منهم كما حكى قولهم : ﴿ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[3] فقد بان بما ذكرنا أن « **ثم** » هنا مكانها ، والفاء هناك مكانها " [4].

وخلاصة كلامه ـ رحمه الله ـ : أنّ الله تعالى عبر عن الإعراض في سورة الكهف بالفاء الدالة على التعقيب ؛ **لأنّ الكلام ها** هنا في الأحياء من الكفار ، فإنهم ذكّروا فأعرضوا عقب ما ذكّروا ، قال الشيخ الطاهر بن عاشور : " **وعطف إعراضهم عن**

---

1 – الكهف / 56 .

2 – السجدة / 12 ـ 22 .

3 – السجدة / 12 .

4 – درة التنزيل ، ج 2 / 876 ـ 877 .

الذكر على التذكير بفاء التعقيب إشارة إلى أنهم سارعوا بالإعـراض ولم يتركوا لأنفسهم مهلة النظـر والتأمل "[1] .

وعبر عنه ـ الإعراض ـ في سورة السجدة بـ « ثم » الدالة على التراخي ؛ لأن الكلام هنا عن الأموات من الكفار ، فإنهم ذُكّروا مرة بعد أخرى ، ثم أعرضوا بالموت فلم يؤمنوا ، قال البقاعي : " ويجوز - وهو أحسن - أن يكون « ثم » على بابها للتراخي ، ليكون المعنى أن من وقع له التذكير بها في وقت ما ، فأخذ يتأمل فيها ثم أعرض عنها بعد ذلك ولو بألف عام فهو أظلم الظالمين ، ويدخل فيه ما دون ذلك عن باب الأولى ؛ لأنه أجدر بعدم النسيان ، فهي أبلغ من التعبير بالفاء كما في سورة الكهف، ويكون عدل إلى الفاء هناك شرحاً لما يكون من حالهم ، عند بيان سؤالهم ، الذي جعلوا بأنه آية الصدق ، والعجز عن آية الكذب "[2] [3] .

وأمثلة هذا التكرار قوله تعالى : ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[4] تكررت هذه الآية واصفة لبني إسرائيل بالظلم بدلا من الكفر قال تعالى : ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ ﴾[5] وتوجيه ذلك أن الآية الأولى جاءت في سياق ذكر اختلاف الأحزاب في شأن عيسى عليه السلام بين قائل بأنه ابن الله وهو قول النسطورية من النصارى ، وقائل بأنه هو الله وهو قول اليعقوبية ، وقائل بأنه إله ، وأمه إله والله إله ،وهو قول الإسرائيلية من النصارى ،

---

1 – التحرير والتنوير ، ج15 / ص94 .

2 – نظم الدرر ، ج15 / ص262 .

3 – ينظر أسرار التكرار في القرآن الكريم ، ص 133.

4 – مريم / 37 .

5 – الزخرف / 65 .

ولا شك أن هذه الأقوال كلها كفر بالله جلّ وعلا ، فكان الوصف به في الآية ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ، قال الخطيب : " .. والكفر أعظم من الظلم وإن كان كل ظالما لنفسه ، فلما قالوا في عيسى عليه السلام إنه ابن الله كفروا بذلك وظلموا أنفسهم فأخبر الله تعالى عنهم في القصة التي شرح فيها ابتداء أمره بالوصف الذي يتضمن لفظ أكبر الذنوب ، وهو الكفر " [1] .

أما آية الزخرف فجاءت بلفظ الظلم ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ وما ذلك إلا لأنهم – النصارى – خالفوا مقتضى الحكمة التي جاء بها عيسى عليه السلام لدفع الخلاف والشقاق بينهم ، وحقيقة الحكمة هي وضع الشيء في محله ، فكان الإعراض عنها ظلما لأنه وضع الأشياء في غير محلها ، قال البقاعي ـ رحمه الله ـ : " ولما كان في سياق الحكمة [2] ، وهو وضع الشيء في أتقن مواضعه ، جعل الوصف الظلم الذي أدى إليه الاختلاف فقال : ﴿ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ أي وضعوا الشيء في غير موضعه مضادة لما أتاهم عليه السلام به من الحكمة ﴿ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴾ أي مؤلم ، وإذا كان اليوم مؤلماً فما الظن بعذابه " [3] .

ومن أمثلته ـ أيضا ـ قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝ ﴾ [4] تكررت هذه الآية في موضعين من القرآن الكريم مع اختلاف في ألفاظها حيث قال تعالى : ﴿ وَمَن

1 – درة التنزيل وغرة التأويل ، ج2 / ص 885 ـ 886 .

2 – يقصد ـ رحمه الله ـ قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الزخرف / 63] .

3 – نظم الدرر ، ج17 / ص475 .

4 – التغابن / 9 .

يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ﴾[1] ، فكان الاختلاف في تخصيص الآية الأولى بقوله تعالى : ﴿ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ ﴾ وإخلاء الثانية منها .

وتوجيه ذلك ما ذكره الخطيب الاسكافي ـ رحمه الله ـ مبينا علاقة كل آية بما قبلها فقال : " إن الآية الأولى جاءت بعد قوله مخبرا عن الكفار : ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ۝٦ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧ ﴾[2] ، فهذه السيئات تحتاج إلى تكفير إذا آمن بالله بعدها فقال : ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا ﴾ في مستقبل عمره ، يمسح عنه ما سبق من كفره ثم يوجب له جنات ، والآية الثانية لم يتقدمها خبر عن كفار بسيئات فيوعدوا بتكفيرها إذا أقلعوا عنها وتابوا منها وعملوا الصالحات مكانها ، وكان مضمونا تكفير السيئات عند الإيمان وعمل الصالحات فلم يحتج إلى ذكره كما كان الأمر في غيره "[3].

وبه قال الكرماني ـ رحمه الله ـ في البرهان : " قوله : ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[4] ، ومثله في الطلاق سواء لكنه زاد هنا يكفر عنه سيئاته ؛ لأن ما في هذه

1 – الطلاق / 11 .

2 – التغابن / 6 ـ 7 .

3 – درة التنزيل وغرة التأويل ، ج3 / ص1281 ـ 1282 .

4 – التغابن : 9 .

السورة جاء بعد قوله : ﴿ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ الآيات فأخبر عن الكفار سيئات تحتاج إلى تفكير إذا آمنوا بالله ولم يتقدم الخبر عن الكفار بسيئات في الطلاق فلم يحتج إلى ذكرها "[1] .

[redacted] وامثلة هذا القسم من التكرار في القران الكريم كثيرة جدا ، وربما عبر عنها

بعض العلماء بـ " **علم المتشابه** " كالزركشي ؛ والذي ذكر له أنواعا كثيرة وهي على النحو الآتي [2] :

أ- التشابه بالتقديم والتأخير .

ب- التشابه بالإبدال .

ت- التشابه بالزيادة والنقصان (الإثبات والحذف) .

ث- ما يشتبه بالجمع والإفراد .

ج- ما يشتبه بالتذكير والتأنيث .

ح- ما يشتبه بالتعريف والتنكير .

خ- ما يشتبه بالإظهار والإضمار .

د- الاختلاف بتغير الصيغة الصرفية

ولكل نوع من هذه الأنواع أمثلته من كتاب الله تعالى سنأتي على ذكر بعضه في دراستنا التطبيقية .

---

1 - أسرا التكرار في القرآن الكريم ، ص205 .

2 - ينظر البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص من 112 إلى 132

المبحث الأول

أثر السياق في توجيه تكرار الألفاظ

تمهيد

تكرار الألفاظ في القرآن الكريم على أنواع ، ولست أعُد من قبيل التكرار أن أحصي وجود اللفظ في القرآن الكريم كلّه ، وإنّما أشترط لذلك أن يكون تكراره في وحدة سياقية أو موضوعية ، كأن يتكرر في عدة آيات متقاربة ، أو موضوع واحد موزع على عدة سور ، أو في سورة واحدة فقط ، أما أن نمسك بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ونحصي عدد مرات ورود لفظ ما في القرآن كله ونعد ذلك من قبيل التكرار ، فهذا ليس بسليم من الناحية العلمية .

والجدير بالتنبيه عليه هنا أن تكرار لفظ ما في مواضع متقاربة من نص واحد ، أو في النص كله ، له دلالات كثيرة ، تختلف من موضع لآخر نتيجة ارتباطه بسياق كل نص من النصوص الذي ورد فيه .

ومن هنا سنقوم بدراسة تطبيقية نتناول فيها بعض الألفاظ التي تكررت في وحدة موضوعية في القرآن الكريم ، لنرى أثر السياق في توجيه تكرارها .

المطلب الأول

أثر السياق في توجيه تكرار ألفاظ السورة .

1- أثر السياق في توجيه تكرار مادة "أ.و.ل" في سورة يوسف .

إنّ مادة " **أول** " تأتي في القرآن **الكريم** على معنيين ، الأول منهما : تفسير أمر غامض أو مبهم كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾[1]، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾[2] .

والمعنى الثاني : تعبير الرؤيا وتفسيرها ، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ : " وَالتَّأْوِيلُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ تَأْوِيلُ أَحَادِيثِ الرُّؤْيَا "[3].

والعجيب أن هذه المادة لم ترد في سورة يوسف إلا بالمعنى الثاني ، ولم ترد في **المواضع الأخرى إلا بالمعنى الأول .**

فتكررت هذه المادة في سورة يوسف ـ **عليه السلام** ـ في ثمانية مواضع وهي :

1- قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾[4].

---

1 ـ آل عمران/ 7 .

2 ـ الكهف/ 82 .

3 ـ مجموع الفتاوى ، ج 13 / ص291 .

4 ـ يوسف / 6 .

2- قَالَ تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن **تَأۡوِيلِ** ٱلۡأَحَادِيثِۚ ﴾[1].

3- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا **تَأۡوِيلُ** رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ ﴾[2].

4- قال تعالى: ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن **تَأۡوِيلِ** ٱلۡأَحَادِيثِۚ ﴾[3].

5- قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ **بِتَأۡوِيلِ** ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾[4].

6- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم **بِتَأۡوِيلِهِۦ** فَأَرۡسِلُونِ ﴾[5].

7- قال تعالى: ﴿ نَبِّئۡنَا **بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ** إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[6].

8- قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا **بِتَأۡوِيلِهِۦ** قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ﴾[7].

1ـ يوسف/ 21 .

2ـ يوسف/ 100 .

3ـ يوسف/ 101 .

4ـ يوسف/ 44 .

5ـ يوسف/ 45 .

6ـ يوسف/ 36 .

7ـ يوسف/ 37 .

وإنّ السرّ في تكرار مادة " **أول** " بهذا العدد في سورة يوسف على معنى تعبير الرؤيا وتفسيرها ، يرجع إلى سياق السورة وإطارها العام ، ذلك أن قصة يوسف تبدأ برؤياه الشهيرة في قوله تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ** ﴾[1] .

قال الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ : " **وابتداء قصة يوسف** - عليه السلام - بذكر رؤياه إشارة إلى أن الله هيأ نفسه ـ أي محمد ﷺ ـ للنبوة فابتدأه بالرؤيا الصادقة كما جاء في **حديث عائشة** ـ رضي الله عنها ـ : " أن أول ما ابتدئ رسول الله ﷺ **من** الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح "[2] . وفي ذلك تمهيد للمقصود من القصة وهو تقرير فضل يوسف – عليه السلام – من طهارة وزكاء نفس وصبر. فذكر هذه الرؤيا في صدر القصة كالمقدمة والتمهيد للقصة المقصودة "[3] .

فقصة يوسف ـ عليه السلام ـ دارت مجرياتها ، وبنيت أحداثها على الرؤيا التي صُدرت بها السورة ، ولما كانت الرؤيا تحتاج إلى تفسير وتعبير ، تكرر ذكر التأويل الذي **يقرر فضيلة يوسف** ـ عليه السلام ـ في كل حدث من أحداث سيرته ، فمرة بتأويل رؤيا الفتيين في السجن ثم رؤيا الملك.. وكلها رؤى ذات مغزى في سيرته ـ عليه السلام ـ .

---

1 ـ يوسف/ 4 .

2 ـ البخاري (3 / 1292 ، رقم الحديث : 3318) ومسلم(1/ 97 ، رقم : 422) .

3 ـ التحرير والتنوير ، ج 12 / ص14 .

ومن هنا يتبين لنا أنّ فضيلة يوسف ـ عليه السلام ـ قائمة على تأويل الرؤى والأحلام ، وهو ما دلّ عليه قوله تعالى : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن **تَأْوِيلِ** ٱلْأَحَادِيثِ ۚ ﴾[1].

ولهذا تكرر ذكر التأويل في السورة إشارة إلى هذه الحقيقة .

2- أثر السياق في توجيه تكرار مادة "أ.و.ب" في سورة"ص" .

لقد تكرر في سورة " **ص**" ذكر مادة " **أ.و.ب** " بصيغتي أوّاب ومآب ، **حيث** وردت الأولى في خمسة مواضع أربعة منها في هذه السورة وهي :

الموضع الأول : قوله تعالى :﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

الموضع الثاني : ﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ ﴾[3].

الموضع الثالث : قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[4] [ص / ٣٠] .

الموضع الرابع : قوله تعالى : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[5].

ووردت الثانية في ثمانية مواضع أربعة منها في هذه السورة وهي :

---

1 ـ يوسف/ 101 .

2 ـ ص/ 17 .

3 ـ ص/ 19 .

4 ـ ص/ 30 .

5 ـ ص/ 44 .

1- قوله تعالى : ﴿ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

2- قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

3- قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ ﴾[3].

4- قوله تعالى : ﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ ﴾[4].

وكلا من الصيغتين " أواب ، ومآب " معناه في اللغة الرجوع والتوبة ، جاء في **الصحاح** : " آب أي رجع ، يؤوب أوبا وأوبة وإيابا . والأوّاب : التائب . والمآب : المرجع "[5].

وقال ابن منظور ـ رحمه الله ـ : " وأَوَّابٌ كثير الرُّجوع إِلى اللهّ ـ **عز وجل** ـ **من ذنبه والأَوْبَةُ الرجوع كالتَّوْبةِ والأَوابُ التائِبُ** "[6].

ومن تأمل سورة "ص" يجدها تتناول محورا واحدا هو الاستسلام لله بالرجوع إلى الحق بلا عناد ؛ فبدأت بذكر استكبار الكفار ، وإعراضهم عن الله فقال عز وجل : ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ ﴾[7]، **وأعطى مثالا عن** هؤلاء الكفار الذين أعرضوا وبين سبب إعراضهم ، وهو الاغترار بالقوة فقال : ﴿

1 ـ ص/ 25 .

2 ـ ص/ 40 .

3 ـ ص/ 49 .

4 ـ ص/ 55 .

5ـ الصحاح ، الجوهري ، ج 1/ ص90 .

6ـ لسان العرب ، ج1 / ص217 .

7 ـ ص/ 1ـ2 .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

وفي مقابل هؤلاء ذكر الله عز وجل إنابة طائفة من الناس ورجوعهم إليه واستسلامهم وانقيادهم له ، مع وجود الداعي نفسه للإعراض والاستكبار المتمثل في القوة .

فبدأ بداود ـ عليه السلام ـ وهو نبي أتاه الله عز وجل من القوة ما جعله يكسب مكانة في قومه ، إذ اصطفاه الله سبحانه وتعالى وجعله ملكا عليهم لقتال جالوت وجنوده ، فأظهره الله عليه وقتله وألحق به شر هزيمة ، ومنذ ذلكم الحين سطع نجمه ، وارتفع شأنه ، فآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ، وقصته في سورة البقرة مشهورة.

كما بينت سورة سبأ جانبا من قوة داود ـ عليه السلام ـ ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[2].

فداود ـ عليه السلام ـ كان أوابا تائبا مستسلما لربه عز وجل مع ما أوتي من قوة وملك عظيم ، لهذا جاء ذكر أوبته مع قوته في سورة "ص" ليقابل به كفر من كفر من قوم نوح وعاد وفرعون وثمود وقوم لوط بداعي القوة والملك .

قال الإمام الرازي ـ رحمه الله ـ : " قلنا بيان هذا التعلق من وجوه الأول : كأنه قيل إن كنت قد شاهدت من هؤلاء الجهال جراءتهم على الله وإنكارهم الحشر والنشر ،

1 ـ ص/ 12 – 13.
2 ـ سبإ/ 10 – 11.

فاذكر قصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله تعالى ومن يوم الحشر ، فإن بقدر ما يزداد أحد الضدين شرفاً يزداد الضد الآخر نقصانا "[1] .

وقال السيد قطب ـ رحمه الله ـ : " يذكر داود هنا بأنّه ذو القوة ، وبأنه أواب ، وقد جاء من قبل ذكر قوم نوح وعاد وفرعون ذي الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة .. وهم طغاة بغاة ، كان مظهر قوتهم هو الطغيان والبغي والتكذيب . فأما داود فقد كان ذا قوة ، ولكنه كان أواباً ، يرجع إلى ربه طائعاً تائباً عابداً ذاكراً . وهو القوي ذو الأيد والسلطان "[2] .

ثم ذكر نموذجا آخر لمن لم تدفعه قوته وملكه وسلطانه إلى التجبر والتكبر والإعراض عن الحق سبحانه ، ألا وهو سليمان عليه السلام ، إذ قال فيه تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[3] .

ولقد جاء بيان قوة سليمان ـ عليه السلام ـ وعظيم ملكه في سورة " سبأ " حيث قال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[4] .

فهذا الملك الذي أوتيه سليمان ـ عليه السلام ـ ما دفعه - حين تقصيره ـ إلى الاستكبار والتمادي في الباطل كما حصل لفرعون ، وأقوام الرسل المكذبين لأنبيائهم ، بل

1ـ مفاتيح الغيب ، ج26 / ص160 .

2ـ في ظلال القرآن ، ج5/ ص3017 .

3 ـ ص/ 30.

4 ـ سبأ/ 12 – 13.

كان توابا إلى ربه أوابا : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ ﴾[1].

قال البقاعي ـ رحمه الله ـ : " ولما كانت الخيل من أعظم ما زين للناس من حب الشهوات ، وكان السياق للعزة والشقاق الدالين على عظيم الاحتياج إلى ما يكف ذلك مما أعظمه الخيل ، ذكر فيها آمراً له ﷺ ، دل على أنه مع ما له من عظمة الملك كثير الأوبة عظيمها ؛ لأنّ من لم يكن ذلك له طبعاً لم يقدر على ما فعل " [2] .

وقال في موضع آخر : " ولما كان بيان ضخامة ملكه وكثرة هيبته وعزته مع زيادة أوبته لتحصل التأسية به في حسن ائتماره وانتهائه والتسلية بابتلائه مع ذلك من شرفه وبهائه ، أشار إلى كثرة الخيل جداً وزيادة محبته له وسرعة أوبته "[3] .

وأما النموذج الثالث فهو نبي الله أيوب ـ عليه السلام ـ إذ قال الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤ ﴾[4] .

وهذا مثال لمن لم يصدّه البلاء عن الاستسلام لربّ الأرض والسماء ، قال السيد قطب ـ رحمه الله ـ : " ويبدو أن ابتلاءه كان بذهاب المال و الأهل والصحة جميعاً ولكنه ظل على صلته بربه ، وثقته به ، ورضاه بما قسم له "[5].

وقال الرازي ـ رحمه الله ـ : " اعلم أنّ هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة ، واعلم أن داود وسليمان كانا ممن أفاض الله عليه أصناف الآلاء والنعماء ، وأيوب كان ممن خصه الله تعالى بأنواع البلاء ، والمقصود من جميع هذه

---

1 ـ ص/ 35.

2ـ نظم الدرر ، ج16 / ص378 .

3ـ المصدر نفسه ، ج 16 / ص379 .

4 ـ ص/ 44.

5ـ في ظلال القرآن ، ج5/ ص3021 .

القصص الاعتبار . كأن الله تعالى قال : يا محمد اصبر على سفاهة قومك فإنه ما كان في الدنيا أكثر نعمة ومالاً وجاهاً من داود وسليمان عليهما السلام ، وما كان أكثر بلاء ومحنة من أيوب ، فتأمل في أحوال هؤلاء لتعرف أن أحوال الدنيا لا تنتظم لأحد، وأن العاقل لا بد له من الصبر على المكاره "[1] .

فصبر هؤلاء الأنبياء الثلاثة ـ داود وسليمان وأيوب ـ عليهم السلام ـ على البلاء من خير أو شر ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ ﴿٣٥﴾ ﴾ [2] ، دليل على **أوبتهم وشدة** استسلامهم لله تعالى .

فلما كان رجوعهم لله ـ عز وجل ـ حسنا ، مع وجود ما يفسد هذا الرجوع من قوة وضعف ، وصحة ومرض ، خير وشر ، كان رجوعهم يوم القيامة حسنا .

فقال عن داود ـ عليه السلام ـ : ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[3] .

وقال عن سليمان ـ عليه السلام ـ : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾[4] .

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ : **"وقوله(وَحُسْنَ** مَآبٍ) يقول: مَرْجع ومنقَلب **ينقلب إليه يوم القيامة "[5].**

1ـ مفاتيح الغيب ، ج26 / ص183ـ184 .

2 ـ الأنبياء / 35 .

3 ـ ص/ 25.

4 ـ ص/ 40.

5ـ تفسير الطبري ، ج21 / ص188 .

وهذا جزاء عباد الله المتقين : ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[1]. وقال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[2] . وما سبب هذا الجزاء ؟.

بيّنه ربُّ السماء بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[3].

ولما كانت معاملة المجرمين لربّهم سيئة ؛ إذ أنّهم لم يرجعوا إليه ولم يستسلموا لأوامره بل غرتهم قوتهم وكبرياؤهم وعظمتهم ، كان رجوعهم يوم القيامة سيئا : ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ ﴾[4] .

ثم ختم الله عز وجل سورة "ص" بحادثة تبين حقيقة ما ذكرناه ، وهي قصة إبليس ؛ الذي صدّه الكبر والتعاظم عن الرجوع إلى مولاه : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾[5]. فكان جزاء عدم الانقياد والاستسلام لله تعالى : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[6].

---

1 ـ ص/ 49.

2 ـ آل عمران/ 133 .

3 ـ آل عمران/ 135 .

4 ـ ص/ 55ـ56 .

5 ـ ص / 74 ـ 76 .

6 ـ ص/ 85 .

3- أثر السياق في توجيه تكرار كلمة "الحق" في سورة يونس

كلمة "الحق" في اللغة تعني الصحة والثبوت ، والمطابقة والموافقة قال أبو هلال العسكري ـ رحمه الله ـ : " الحق في اللغة : هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ، من حق الشيء يحق، إذا ثبت ووجب "[1].

وقال الراغب الأصفهاني ـ رحمه الله ـ : " **أصل الحق: المطابقة والموافقة،** كمطابقة رجل الباب في حقه (هي عقب الباب) لدورانه على استقامة "[2].

وفي اصطلاح أهل المعاني: " الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والعقائد، والأديان، والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك، ويقابله الباطل "[3].

وقد وردت كلمة "الحق" في القرآن الكريم على عدة معان منها [4]:

أولها : الموجِد للشيء ، وهو الله عز وجل ، قال تعالى:﴿ **ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ** ﴾[5] . وقال تعالى : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ **ٱلۡحَقُّۖ** فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢ ﴾[6].

1ـ الفروق اللغوية ، ص193 .

2ـ مفردات ألفاظ القرآن ، ج1 / ص248 .

3ـ الفروق اللغوية ، ص193 .

4ـ ينظر مفردات ألفاظ القرآن ، ج1 / ص249 .

5 ـ الأنعام / 62.

6 ـ يونس/ 32 .

ثانيا : والموجَد بحسب اقتضاء الحكمة ، ولهذا يقال : فعل الله تعالى كله حق ، فالموت حق ، والبعث حق ، والجنة حق ، والنار حق ، قال تعالى : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ ﴾[1] .

ثالثا : الاعتقاد للشيء المطابق ، لما هو عليه في نفس الأمر، كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ﴾[2] .

رابعا : **للفعل** والقول بحسب ما يجب ، وبقدر ما يجب ، كقولنا قولك حق وفعلك حق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٣ ﴾[4] .

ومن السور التي تكرر ذكر كلمة " الحق " فيها ؛ سورة يونس فقد احتوت على أعلى نسبة تردد للفظ بمشتقاته ، وهي مع ذلك من السور المتوسطة الطول ، وقد تكررت فيها المادة نحوا من عشرين مرة ، في حين تكررت المادة في سورة البقرة أطول سور القرآن ثلاث عشرة مرة فقط ، ولذلك أسرار تتعلق بالسورة وموضوعاتها نذكرها بعد إيراد بعض الشواهد منها ، فمن ذلك :

---

1 ـ آل عمران/ 86 .

2 ـ البقرة/ 213 .

3 ـ غافر/ 6 .

4 ـ السجدة/ 13 .

- قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[1].
- وقال: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[2].
- وقال : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[3].

هذه الآيات جاءت لتبين أن القرآن الكريم حق أنزله الله سبحانه وتعالى على نبينا الكريم ﷺ بواسطة جبريل ـ عليه السلام ـ ، وما هي إلا خلاصة لأدلة سيقت من أجل بيان الحكمة من وصف الكتاب في أول السورة بقوله : ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[4]، قال السيد قطب ـ رحمه الله ـ : " ثم يأخذ السياق في عرض عدة أمور تبدو فيها الحكمة التي أشير إليها في وصف الكتاب ، من الوحي إلى الرسول ﷺ لينذر الناس ويبشر المؤمنين ، والرد على المعترضين أن يوحي الله إلى بشر . . إلى خلق السماوات والأرض وتدبير الأمر فيهما . . إلى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً ، وتقدير منازل القمر ليعلموا عدد السنين والحساب . . إلى اختلاف الليل والنهار وما فيه من حكمة وتدبير . . "[5].

---

1 ـ يونس / 94 .

2 ـ يونس / 108.

3 ـ يونس / 35 .

4 ـ يونس / 1 .

5ـ ظلال القرآن ، ج 3 / ص 1758 .

ومما يبين ذلك ويدل عليه كثرة الآيات المبثوثة في السورة من أولها إلى آخرها، والتي تدل على أن القرآن الكريم كلام الله الموحى به إلى رسوله ﷺ ، **وهي بذلك بينت** كذب المشركين وإعراضهم عن الحق **الذي جاء به سيد المرسلين.**

فمن ذلك قوله تعالى :﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ** قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : " يخبر تعالى عن تعنّت الكفار من مشركي قريش الجاحدين الحقّ ، المعرضين عنه، أنهم إذا قرأ عليهم الرسول ﷺ **كتاب الله وحُجَجه الواضحة قالوا له** :﴿ ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ ﴾ "[2].

ومقولتهم هذه يريدون من ورائها الطعن في نبوة محمد ﷺ ، **قال الإمام الرازي** ـ رحمه الله ـ : " **اعلم أنّ** هذا الكلام هو النوع الثالث من شبهاتهم وكلماتهم التي ذكروها في الطعن في نبوة النبي ﷺ ، حكاها الله تعالى في كتابه وأجاب **عنها** "[3]

---

1 ـ يونس / 15 ـ 17 .

2ـ تفسير ابن كثير ، ج4 / ص253 .

3ـ تفسير الرازي ، ج17/ ص58 .

وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1] .

لما بين الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة إعراض المشركين عن الحق وتكذيبهم للقرآن وما جاء به النبي العدنان ـ عليه الصلاة والسلام ـ بجملة من الشبه التي سبق الإشارة إليها ، شرع في عرض جملة من الأدلة توضح بطلان حججهم وضعف شبهاتهم وتلبيساتهم ، قال البقاعي ـ رحمه الله ـ : "ولما قدم في هذه السورة قولهم ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ ﴾[2] ، وأتى فيها رداً عليهم ووعظاً لهم من الآيات البالغة في الحكمة جداً يتجاوز قوى البشر ويضمحل دونه من الخلق القدر ، وكان آخر ذلك التنبيه على أن شركاءهم لا يهتدون إلا أن هداهم الهادي فضلاً عن أن يهدوا ، وإقامة الدليل على أن مذاهبهم ليست مستندة إلى علم بل هي تابعة للهوى ، أتبع ذلك دليلاً قطعياً في أمر القرآن من أنه لا يصح أصلاً أن يؤتى به من دون أمره سبحانه رداً لقولهم : إنه مفترى ؛ لأنه من وادي ما ختم به هذه الآيات من اتباعهم للظنون ؛ لأنه لا سند لهم في ذلك بل ولا شبهة أصلاً ، وإنما هو مجرد هوى بل وأكثرهم عالم بالحق في أمره ، فنفى ذلك بما يزيح الظنون ويدمغ الخصوم ولا يدع شبهة لمفتون ، وأثبت أنه هو الآية

---

1 ـ يونس / 37 ـ 40 .

2 ـ يونس / 20 .

الكبرى والحقيق بالاتباع ؛ **لأنه هدى** ، فقال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ** أَن يُفْتَرَىٰ ﴾ "[1].

وقال صاحب اللباب :" لما تقدم قول القوم : ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[2] ، وذكروا ذلك ؛ لاعتقادهم ؛ أنَّ القرآن ليس بمعجز ، وأنَّ محمداً ﷺ إنَّما أتى به من عند نفسه ؛ افتعالاً ، واختلافاً ، وذكر - تعالى - هنا : أنَّ إتيان محمَّد بهذا القرآن ، ليس هو افتراءٌ على الله - تعالى - ، وإنَّما هو وحي نازل عليه من عند الله ، وأنَّه مُبَرَّأ عن الافتعال ، والافتراء ، ثم احتجَّ على صحَّة هذا الكلام ، بقوله : ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾[3] "[4].

نخلص من خلال هذه النقول أن صحّة نبوة محمد ﷺ وما جاء به من القرآن ، وأنه حق أنزله الله سبحانه ، ثبتت في هذه الآيات عن طريق المعجزة : ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ ، **قال الإمام الرازي** ـ رحمه الله ـ : " اعلم أن الطريق إلى إثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام أمران : **الأول** : أن نقول إن هذا الشخص قد ادعى النبوة وظهرت المعجزة على يده وكل من كان كذلك ، فهو رسول من عند الله حقاً وصدقاً ، وهذا الطريق مما قد ذكره الله تعالى في هذه السورة وقرره على أحسن الوجوه في قوله : ﴿

1ـ نظم الدرر ، ج9/ ص119ـ120 .

2 ـ يونس / 20 .

3 ـ يونس / 37 .

4 ـ اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي توفي سنة 775هـ ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، الطبعة : الأولى سنة: 1419 هـ – 1998 م ، ج8 / ص474 .

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾[1] وقد ذكرنا في تفسير هذه الآية ما يقوي الدين ويورث اليقين ويزيل الشكوك والشبهات ويبطل الجهالات والضلالات"[2].

وأما الأمر الثاني فقد عناه بقوله : " أن نعلم بعقولنا أن الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو؟ "[3] ، وهو ما جاء بيانه في الآية الثالثة :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[4].

قال الرازي ـ رحمه الله ـ : " إذا عرفت هذه المقدمة فنقول : إنه تعالى لما بيّن صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بطريق المعجزة ، ففي هذه الآية بيّن صحة نبوته بالطريق الثاني ، وهذا الطريق طريق كاشف عن حقيقة النبوة معرف لماهيتها ، فالاستدلال بالمعجز هو الذي يسميه المنطقيون : " برهان الآن " ، وهذا الطريق هو الطريق الذي يسمونه برهان اللم ، وهو أشرف وأعلى وأكمل وأفضل "[5].

وبعد هذه الدلائل البيّنات والحجج القاطعات ؛ تصل بنا سورة يونس إلى النتيجة التي لابد منها ألا وهي : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ

1 ـ يونس / 37ـ38 .

2ـ تفسير الرازي ، ج17 / ص120 .

3ـ تفسير الرازي ، ج17 / ص120 .

4 ـ يونس / 57ـ58 .

5ـ تفسير الرازي ، ج17/ ص121 .

ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ١٠٨ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩ ﴾ [1].

وهذه الحقيقة لا يمكن ترسيخها في قلوب المشركين وهم ينكرون ألوهية الله سبحانه ، وأحقيته بالعبادة .

فمراعاة لهذا الظرف كان لزاما ذِكْر حق الله عز وجل على العبيد ، وإثبات ألوهيته ، وأنه لا معبود بحق إلا الله ، وهذا ما تطرقت إليه الآيات الأولى في صدر هذه السورة ، حيث استدل فيها ربنا عز وجل بالربوبية ـ التي لا ينكرها أحد من المشركين ـ على إثبات الألوهية فقال : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ... ﴾ [2].

ثم انتهى إلى نتيجة تكرر معها ذكر كلمة " الحق " مرة أخرى ؛ لأنه اللفظ الذي يتناسب تمام المناسبة مع مفهوم الألوهية :

- فقال تعالى : ﴿ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ [3].
- وقال: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [4].

وقد تنبه لهذا الترتيب البديع والتناسق العجيب ثلة من المفسرين الذين أدركوا العلاقة بين الآيات الكونية التي تثبت حق الله سبحانه على العبيد من الألوهية والتعظيم ، وبين الآيات التي تبين صحة النبوة والقرآن ، قال أبو حيان ـ رحمه الله ـ : " ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر الأدلة على الألوهية والوحدانية والقدرة، ذكر الدلائل

1 ـ يونس / 108 ـ 109 .
2 ـ يونس / 3 .
3 ـ يونس / 30 .
4 ـ يونس / 32 .

الدالة على صحة النبوة والطريق المؤدّي إليها وهو القرآن ، والمتصف بهذه الأوصاف الشريفة هو القرآن"[1].

وقال أبو السعود ـ رحمه الله ـ : " ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ ﴾ شروعٌ في بيان ردِّهم للقرآن الكريم إثرَ بيانِ ردهم للأدلة العقليةِ المندرجةِ في تضاعيفه ، أي وما صح وما استقام أن يكون هذا القرآنُ المشحونُ بفنون الهداياتِ المستوجبةِ للاتّباع التي من جملتها هاتيك الحججُ البينةُ الناطقةُ بحقية التوحيدِ وبطلان الشرك "[2]

وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ : " لما فرغ سبحانه من دلائل التوحيد **وحججه ،** شرع في تثبيت أمر النبوّة : أي وما صح وما استقام أن يكون هذا القرآن المشتمل على الحجج البيّنة ، والبراهين الواضحة ، يفترى من الخلق من دون الله ، وإنما هو من عند الله عزّ وجلّ ، وكيف يصح أن يكون مفترى ، وقد عجز عن الإتيان بسورة منه القوم الذين هم أفصح العرب لساناً وأدقهم أذهاناً "[3] .

وقد بين الشيخ الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ هذه المناسبة أحسن بيان لما قال :

" لما كان الغرض الأول في هذه السورة إبطال تعجب المشركين من الإيحاء بالقرآن إلى النبي ﷺ وتبيين عدم اهتدائهم إلى آياته البينات الدالة على أنه من عند الله، وكيف لم ينظروا في أحوال الرسول الدالة على أن ما جاء به وحي من الله ، وكيف سألوه مع ذلك أن يأتي بقرآن غيره أو يبدل آياته بما يوافق أهواءهم . ثم انتقل بعد ذلك إلى سُؤَالهم أن

1ـ البحر المحيط ، ج5 / ص168 .

2ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود الحنفي ولد سنة898هـ بالقسطنطنية ، وكانت وفاته في سنة982هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ج4 / ص145 .

3ـ فتح القدير ، ج2 / ص644 .

تنزل عليه آية أخرى من عند الله غير القرآن ، وتخلل ذلك كلّه وصفُ افترائهم الكذب في دعوى الشركاء لله وإقامة الأدلة على انفراد الله بالإلهية وعلى إثبات البعث، وإنذارهم بما نال الأمم من قبلهم ، وتذكيرهم بنعم الله عليهم وإمهالهم ، وبيان خطئهم في اعتقاد الشرك اعتقاداً مبنياً على سوء النظر والقياس الفاسد ، **لا جرم أن** عاد الكلام إلى قولهم في القرآن بإبطال رأيهم الذي هو من الظن الباطل أيضاً بقياسهم أحوالَ النبوءة والوحي بمقياس عاداتهم كما قاسُوا حقيقة الإلهية بمثل ذلك ، فقارعتهم هذه الآيةُ بذكر صفات القرآن في ذاته الدالة على أنه حق من الله وتحدتهم بالإعجاز **عن الإتيان بمثله** "[1] .

الخلاصة : لقد تميزت سورة يونس بما تميز به المكي من سور القرآن ؛ إذ أنه خص بخصائص من أبرزها : محاجة المشركين و تبيّن خطأهم الواضح ، وبذلك يظهر الحق وتعلو رايته ، ويُدحض الباطل وزخارفه ، وهذا ما اعتنت به سورة يونس من إثبات حقائق تدل بمجموعها على أن هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ حق ، فالله حق ، وأرسل نبيه محمدا ﷺ النبي الحق بالهدى ودين الحق ، وستنجلي هذه الحقيقة يوم القيامة الوعد الحق ، ومن هنا كثر دوران هذا اللفظ في السورة ؛ لأن المقصد العام منها : إثبات الحق .

1ـ التحرير والتنوير ، ج 11 / ص167 .

المطلب الثاني

أثر السياق في توجيه تكرار ألفاظ الآية.

ورد في بعض الآيات من كتاب الله ألفاظ تكرر ذكرها مرّة ومرّتان وثلاث ، وهذا التكرار له علاقة بسياق كل آية ؛ أي لا يتبين الغرض منه إلا بعد النظر في سياق الآية نفسها ، وشواهد ذلك من كتاب الله تعالى في ذلك كثيرة منها :

1) **قوله تعالى :** ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[1] .

تكرار لفظ "الاصطفاء " في هذا الموضع فسره العلماء بتفسيرات كثيرة يأتي في **مقدمتها ؛** التأكيد وزيادة التوكيد ، قال الألوسي ـ رحمه الله ـ : "ويحتمل أن يراد به الأول وكرر للتأكيد وتبيين من اصطفاها عليهن"[2] .

وفي ذكر الزركشي ـ رحمه الله ـ لفوائد التكرير أوردها كشاهد من شواهد التأكيد **فقال :** " وله فوائد : أحدها : التأكيد .. وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾"[3].

ورجح أبو السعود ـ رحمه الله ـ هذا المعنى مراعيا في ذلك ترتيب نظم القرآن **فقال : ".. المرادُ بالاصطفاءين واحدٌ والتكريرُ للتأكيد وتبيين مَن اصطفاها عليهن** فحينئذ لا إشكالَ في ترتيب النظم الكريم إذ يُحمل حينئذ الاصطفاءُ على ما ذُكر أولاً ، وتُجعل هذه المقاولةُ قبل بشارتها بعيسى عليه الصلاة والسلام إيذاناً بكونها قبل ذلك

1 ـ آل عمران 42 .

2ـ روح المعاني ، ج 3 / ص155 .

3ـ البرهان في علوم القرآن ، ج3 / من ص11 إلى13 .

متوفرةً على الطاعات والعبادات حسبما أُمِرت بها مجتهدةً فيها مُقْبِلةً على الله تعالى مُتبتِّلةً إليه تعالى منسلخةً عن أحكام البشرية مستعدةً لفيضان الروح عليها "[1].

وقد أبطل الإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ هذا التوجيه ، وحجته في ذلك أن التأكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده شيء ، قال ـ رحمه الله ـ : " ومنه ما وقع فيه الفصل بين المكررين فإن التأكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده نحو ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾[2] ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[3]فالآيتان من باب التكرير لا التأكيد اللفظي الصناعي"[4] .

ومراده من التكرير هاهنا : التأسيس الذي يقابل التأكيد ، والفرق بينهما أن التأكيد يكون بإيراد المعنى مرددًا بلفظ واحد ، أما التأسيس فيفيد معنى آخر، لم يكن حاصلاً قبل، وهو خير من التأكيد ؛ لأن حمل الكلام على الإفادة خير من حمله على الإعادة ، ولهذا قال الزمخشري ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾[5] : فقال : "وفي ((ثُم)) تنبيه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول "[6].

1ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج2/ ص35 .

2 ـ الحشر / 18 .

3 ـ آل عمران / 42 .

4ـ الإتقان ، ص553.

5 ـ التكاثر / 4.

6ـ الكشاف، ج4 / ص798.

وقال الزركشي ـ رحمه الله ـ : " واعلم أن التكرير أبلغ من التأكيد ؛ لأنه وقع في تكرار التأسيس وهو أبلغ من التأكيد فإن التأكيد **يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز**"[1].

وقال الرازي ـ رحمه الله ـ : " ولا يجوز أن يكون الاصطفاء أولاً من الاصطفاء الثاني ، لما أن التصريح بالتكرير غير لائق ، فلا بد من صرف الاصطفاء الأول إلى ما اتفق لها من الأمور الحسنة في أول عمرها ، والاصطفاء الثاني إلى ما اتفق لها في آخر عمرها "[2].

ومن تأمل سياق الآية وجدها إلى معنى التأسيس أقرب منها إلى معنى التأكيد، ذلك أن الاصطفاء الأول لم يعد إلى متعلق ، وعُدّي الثاني ، وهذا سبب الفرق بينهما ، قال نظام الدين النيسابوري ـ رحمه الله ـ : " **الاصطفاء ثلاثة أنواع : اصطفاء** على غير الجنس ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ** ﴾[3] ، ولم يكن له جنس حين خلقه وأسجد له ملائكته ، واصطفاء على الجنس وعلى غير الجنس كاصطفاء محمد ﷺ على الكائنات كقوله : لولاك لما **خلقت الأفلاك وقال** ﷺ : **((آدم فمن دونه تحت لوائي))** [4]، واصطفاء على الجنس **كقوله :** ﴿ **قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ** ﴾[5]، **ولمريم** ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ** ﴾

1ـ البرهان ، ج3 / ص11.

2ـ تفسير الرازي ، ج8 / ص47.

3 ـ آل عمران / 33 .

4ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، مؤسسة قرطبة – القاهرة ، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها ، ج1 / ص281 رقم الحديث : 2546 .

5 ـ الأعراف / 144 .

لاصطفائك إياه ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ عن الالتفات لغيره ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لنيل درجة الكمال وإن لم يكن ذلك من شأن النساء "[1].

وإلى هذا المعنى ذهب الشيخ الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ فقال : " وتكرر فعل "اصطفاك" ؛ لأن الاصطفاء الأول ذاتي ، وهو جعلها منزهة زكية ، والثاني بمعنى التفضيل على الغير، فلذلك لم يعد الأول إلى متعلق، وعُدّي الثاني . ونساء العالمين نساء زمانها ، أو نساء سائر الأزمنة"[2].

وإنّ تأويل العلماء لهذه الآية يدّل على اقتناعهم بفكرة التفريق بين الاصطفاءين ، حيث تكاد تجتمع كلمتهم على أن الاصطفاء الأول تفضيل على غير الجنس ، بمعنى أن هذا الاصطفاء لا يمنع أن يوجد معها في مجاله آخرون .

وأما الثاني فإنه يُخرج الرجال عن دائرته ، ويمنع دخول أي أنثى فيه ؛ لأنها الوحيدة التي ستلد دون ذكر .

قال الزمخشري ـ رحمه الله ـ : "و﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ﴾ آخراً ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بأن وهب لك عيسى من غير أب ؛ ولم يكن ذلك لأحد من النساء "[3] .

وخلاصة القول : أن الله سبحانه وتعالى خص مريم ـ عليها السلام ـ باصطفاءين ؛ اصطفاء شاركها فيه آخرون من الأنبياء والصالحون ، واصطفاء خصت به عن غيرها بولادة عيسى ـ عليه السلام ـ .

1ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري الملقب بنظام الأعرج توفي سنة 850هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – 1416 هـ – 1996 م ، الطبعة: الأولى ، تحقيق : الشيخ زكريا عميران ، ج2 / ص175 .

2ـ التحرير والتنوير ، ج3 / ص95 .

3ـ الكشاف ، ج1 / ص389 .

2) تكرار الأمر بالتقوى في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾[1].

لقد اختلف المفسرون في تحديد غرض التكرير الوارد في هذه الآية إلى فريقين:

الفريق الأول : ذهب أصحابه كابن كثير وغيره إلى أن التكرار للتوكيد ، وذلك من باب تثبيت المكرر في النفس يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ : " ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ **تأكيد ثان**"[2].

وقد أشار الشيخ الطاهر ابن عاشور ـ رحمه الله ـ إلى هذا القول ، وأسهب في **التدليل له بقوله : " إعادة** ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ **ليبني عليه** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ فيحصل الربط بين التعليل والمعلل إذ وقع بينهما فصل ﴿ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾ وإنما أعيد بطريق **العطف** لزيادة التأكيد ، **فإن** التوكيد اللفظي يؤتى به تارة معطوفا كقوله تعالى: ﴿ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ٣٥ ﴾[3] **وقوله:** ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤ ﴾[4]. وذلك أن في العطف إيهام أن يكون التوكيد يجعل كالتأسيس لزيادة الاهتمام بالمؤكد ، **فجملة** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ **تعليل للحث** على تقوى الله ، وموقع **"إن" فيها موقع التعليل "**[5].

---

1 ـ الحشر / 18 .

2ـ تفسير ابن كثير ،ج8 / ص 77 .

3 ـ القيامة / 34،35 .

4 ـ التكاثر / 3ـ4 .

5ـ التحرير والتنوير ، ج28 / ص100 .

ومما يستدرك على كلامه هذا أمران :

الأول منهما : إذا كانت الفائدة من العطف في التوكيد ؛ إيهام أن يكون التوكيد يجعل كالتأسيس لزيادة الاهتمام بالمؤكد ، فلماذا لا نحكم على التكرير بالتأسيس ـ وهو الأصل ـ ونحكم عليه بالتوكيد ، وخاصة مع وجود قرائن تشير إلى معنى التأسيس عبر عنها الشيخ ـ رحمه الله ـ بالإيهام .

ثم إنّ المقرر في مثل هذه الحالة أن يترك العطف لئلا يوهم التعدد ، جاء في شرح شذور الذهب : "وقد يتعين ترك العاطف إذا توهم التعدد ، نحو ضربت زيدا ضربت زيدا ؛ [لأنه مع العطف يوهم تكرار الضرب ، وليس مرادا]" [1] .

قال عباس حسن : " ويجب ترك العطف بين الجملتين إذا أوقع في لبس، نحو: عاقب الحاكم اللصوص، عاقب الحاكم اللصوص، فلو قلنا؛ عاقب الحاكم اللصوص ثم عاقب الحاكمُ اللصوص لوقع في الوهم أن العقاب تكرر، وأنه مرتان؛ إحداهما بعد الأخرى. مع أن المراد: مرة واحدة "[2]. فعدم تركه يفضي إلى القول بالتأسيس .

الثاني : في قوله : " إن التوكيد اللفظي يؤتى به تارة معطوفا " فهو ليس على سبيل الإطلاق ، قال عباس حسن : "ومما تجب ملاحظته أن العاطف هنا مهم لا

1ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي (المتوفى : 889هـ) ، المحقق : نواف بن جزاء الحارثي ، الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق) ، الطبعة : الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2004م ، ج2 / ص768 . وما بين العارضتين من كلام المحقق .

2ـ النحو الوافي ، ج3 / ص 536 .

..يعطف مطلقًا، فهو صوريّ ، أيْ: في صورة العاطف وشكله الظاهر، دون حقيقته"[1] .

فيجوز عطف التوكيد إذا تعددت الأوصاف والنعوت واختلفت معانيها ، ويمنع العطف إذا اتفقت واجتمعت ، جاء في قطر الندى : " **وهي بخلاف النعوت لا يجوز أن تتعاطف المؤكدات** " قال الشارح : " ذكرت في هذا الموضع مسألتين من مسائل باب النعت إحداهما : أن النعوت إذا تكررت فأنت فيها مخير بين المجيء بالعطف وتركه فالأول : كقوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[2].

والثاني : كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾[3].

الثانية : أن النعت كما يتبع المعرفة كذلك يتبع النكرة وذكرت أن ألفاظ التوكيد مخالفة للنعوت في الأمرين جميعا وذلك أنها لا تتعاطف إذا اجتمعت "[4] .

وهذا ما دفع الإمام الزركشي ـ رحمه الله ـ إلى حمل تكرير الآية على معنى التأسيس لا على التوكيد ، وهو مذهب الفريق الثاني من العلماء : قال ـ رحمه الله ـ : " قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾ فإن المأمور فيهما واحد كما قاله النحاس والزمخشري والإمام فخر الدين والشيخ عز

1ـ النحو الوافي ، ج3 / ص 536 .

2 ـ الأعلى / 1ـ4 .

3 ـ القلم / 10ـ13 .

4ـ شرح قطر الندى وبل الصدى ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري – القاهرة ، الطبعة الحادية عشرة ، السنة: 1383 ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، ص295 ـ 296 .

الدين ، ورجحوا ذلك على احتمال أن تكون" التقوى "الأولى مصروفة لشيء غير" التقوى "الثانية مع شأن إرادته ، وقولهم: إنه تأكيد فمرادهم تأكيد المأمور به بتكرير الإنشاء لا أنه تأكيد لفظي ولو كان تأكيدا لفظيا لما فصل بالعطف ولما فصل بينه وبين غيره : ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ ﴾"[1].

ويؤيد كلامه هذا تأويل هؤلاء العلماء للتقوى في الموضعين بتفسير مختلف قال الزمخشري ـ رحمه الله ـ : " كرر الأمر بالتقوى تأكيداً : واتقوا الله في أداء الواجبات؛ لأنه قرن بما هو عمل ، واتقوا الله في ترك المعاصي ؛ لأنه قرن بما يجري مجرى الوعيد "[2].

وقال الرازي ـ رحمه الله ـ : " كرر الأمر بالتقوى تأكيداً أو يحمل الأول : على أداء الواجبات والثاني : على ترك المعاصي "[3] .

هذا التوجيه البديع إنما هو نتيجة من نتائج إعمال السياق في تحديد المعاني ؛ لأن التقوى لها مراتب ثلاث [4]:

المرتبة الأولى : فعل المأمور .

المرتبة الثانية : اجتناب المحظور .

المرتبة الثالثة : الصبر على المقدور .

1ـ البرهان في علوم القرآن ، ج3 / ص12 .

2ـ الكشاف ، ج4 / ص507 .

3ـ تفسير الرازي ، ج29/ ص292 .

4ـ كما عرفها غير واحد من السلف والخلف بذلك ، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ : "التَّقْوَى تَتَضَمَّنُ : فِعْلَ الْمَأْمُورِ وَتَرْكَ الْمَحْظُورِ وَ" الصَّبْرَ " يَتَضَمَّنُ : الصَّبْرَ عَلَى الْمَقْدُورِ " انظر مجموع الفتاوى ج10/ ص456 .

فالتقوى الأولى معناها فعل المأمور ؛ لأنها جاءت في سياق الحث على العمل **ويدل عليه ما** بعده وهو قوله تعالى : ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ ، **والثانية بمعنى** ترك المحظور ؛ لأنها جاءت في سياق التحذير من المحارم والحث على تركها ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي من المعاصي .

قال البيضاوي ـ رحمه الله ـ : " الأول في أداء الواجبات **؛ لأنه مقرون بالعمل** والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وهو كالوعيد على المعاصي"[1] **.**

3) تكرار الذكر في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ **فَٱذْكُرُوا۟** ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ **وَٱذْكُرُوهُ** كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾[2].

هذه الآية لا تختلف عن نظيراتها من الآيات التي ذكرنا في باب ما **تكرر مرة** واحدة ، فنقول فيها ما قلناه في سابقاتها بأن الغرض من تكرار **" الذكر " تأكيد المأمور به بتكرير الإنشاء لا أنه تأكيد لفظي ؛ لأنه فصل بالعطف** ، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ : " ﴿ **وَٱذْكُرُوهُ** كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الواو عاطفة على قوله: ﴿ **فَٱذْكُرُوا۟** ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ ﴾ والعطف يقتضي أنّ الذكر المأمور به هنا غير الذكر المأمور به في قوله: ﴿ **فَٱذْكُرُوا۟** ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ ﴾"[3] .

1ـ تفسير البيضاوي ، ج1 / ص323 .

2 ـ البقرة / 198 .

3ـ التحرير والتنوير ، ج2 / ص237 .

وقال ـ أيضا ـ : " ويجوز أن يكون المراد من هذه الجملة هو قوله: ﴿كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ فموقعها موقع التذييل. وكان مقتضى الظاهر ألا تعطف بل تفصل وعدل عن مقتضى الظاهر فعطفت بالواو باعتبار مغايرتها للجملة التي قبلها بما فيها من تعليل الذكر وبيان سببه وهي مغايرة ضعيفة لكنها تصحح العطف "[1].

فإذا ثبت التغاير بين الذكرين ، فما المراد بكل واحد منهما ؟.

ذكر أهل التفسير في ذلك تأويلات كثيرة نحاول ذكر أقواها ، مع بيان الراجح منها :

أولا : أمر أولاً بالذِّكر باللِّسان ، وثانياً بالذِّكر بالقلب ، فإن الذكر في كلام العرب ضربان :

أحدهما : **الذكر ضد النسيان .**

والثاني : **الذكر بالقول .**

فالأول : كقوله : ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾[2] ، والثاني : كقوله: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾[3] ، و ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾[4] ، فالأول محمول على الذِّكر باللِّسان ، والثاني على الذكر بالقلب[5] .

وقد يعترض هذا التوجيه : أنّ الذكر الذي أمر الله سبحانه وتعالى به عباده ورغبهم فيه ، ورتب عليه الدرجات العلى في جنات النعيم هو الذكر بنوعيه ذكر اللسان

1ـ التحرير والتنوير ، ج2 / ص237 .

2 ـ الكهف / 63 .

3 ـ البقرة / 200 .

4 ـ البقرة / 203 .

5ـ اللباب في علوم الكتاب ، ج3 / ص426 .

وذكر القلب ، ولا شك أن كل واحد منهما مستلزم للآخر ، فلا يعقل أن يكون الذكر المأمور به عند المشعر الحرام مجردا عن استشعار القلب عظمة الله سبحانه وتوفيقه وتأييده.

كما أن استشعار نعم الله التي لا تعد ولا تحصى ـ يأتي في مقدمتها نعمة الهداية للإسلام ، والتوفيق لفهم شرائعه العظام يستلزم ـ حمدا وشكرا ، وتعظيما وتكبيرا ، وتهليلا وتمجيدا ، وهذا من عمل اللسان .

ثانيا : أن أسماء الله توقيفية ؛ فقوله أولاً : ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ أمر بالذكر ، وقوله تعالى : ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ أمر بأن نذكره بالأسماء والصِّفات التي بيّنها لنا وهدانا إليها ، لا بأسماء تذكر بحسب الرَّأي والقياس [1].

وهذا التوجيه شرطه أن تكون الكاف للتشبيه ، قال ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ : " ويحتمل أن تكون الكاف للتشبيه ؛ وعليه فيكون الأمر بذكره ثانية عائداً على الوصف أي اذكروه على الصفة التي هداكم إليها أي على حسب ما شرع؛ وعليه فلا تكرار؛ لأن الأمر بالذكر أولاً أمر بمطلق الذكر، والأمر به ثانية أمر بكونه على الصفة التي هدانا إليها "[2].

أما لو كانت "الكاف" للتعليل كقوله تعالى : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾[3]، فيبطل التوجيه ، ويكون المعنى : واذكروه لهدايتكم ، وهو ما تمثل في :

1ـ انظر تفسير الرازي ، ج5/ ص193 .

2ـ تفسير ابن عثيمين.

3 ـ البقرة / 151 .

القول الثالث : **أمر بالذكر أولاً ، ثم قال :** ﴿ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ ، أي : وافعلوا ما أمركم به من الذِّكر كما هداكم لدين الإسلام ، كأنّه قال : إنَّما أمرتكم بهذا الذِّكر؛ لتكونوا شاكرين لتلك النِّعمة ، ونظيره ما أمرهم به من التكبير عند فراغ **رمضان ، فقال :** ﴿ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥ ﴾[1] ، وقال في الأضاحي : ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ ﴾[2] [الحج: ٣٧].

ويُعد هذا القول من أقوى الأقوال وأرجحها لدلالة السياق عليه ، ذلك أن الآية التي جاءت عقب الأمر بالذكر ، تحمل في طياتها معاني الامتنان و**التفضّل والإكرام** من الله عز وجل على عباده ، جراء مننه الجليلة ، ونعمه العظيمة ، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : " تنبيه لهم على ما أنْعَم به عليهم، من الهداية والبيان والإرشاد إلى مشاعر الحج ، على ما كان عليه إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ؛ ولهذا قال: ﴿ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قيل: من قبل هذا الهدي ، وقبل القرآن ، وقبل الرسول ، والكل متقارب ، ومتلازم ، وصحيح "[3].

فأعظم ما تقابل به هذه النعم هو الشكر، قال الله تعالى بعدما بين فضله ومنّه على آل داود : ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[4] **وبنحو الذي** قلت في ذلك ، قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ : " القول في تأويل قوله

1 ـ البقرة: 185 .

2 ـ الحج / 37 .

3ـ تفسير ابن كثير ، ج1 / ص555 .

4 ـ سبإ / 13 .

تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه : واذكروا الله أيها المؤمنون عند المشعر الحرام بالثناء عليه ، والشكر له على أياديه عندكم ، وليكن ذكركم إياه بالخضوع لأمره ، والطاعة له والشكر على **ما أنعم عليكم من التوفيق ، لما وفقكم له** من سنن إبراهيم خليله بعد الذي كنتم فيه من الشرك والحيرة والعمى عن طريق الحق وبعد الضلالة ، كذكره إياكم بالهدى ، حتى استنقذكم من النار به بعد أن كنتم على شفا **حفرة منها ، فنجاكم منها . وذلك هو معنى قوله** : ﴿ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ "[1].

4) قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[2] .

يعد هذا النوع من التكرار ضربا من ضروب التوكيد[3] ، وإن كان غير مقصود في الآية ، بل المقصود إثبات خاصيتين من خصائص المتقين ، كل واحدة منهما منفكة عن الأخرى ، بحيث لو انفرد أحدهما لكفى تميزا على حاله قال الزمخشري ـ رحمه الله ـ : " وفي تكرير " أولئك " تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى ، فهي ثابتة لهم بالفلاح ؛ فجعلتْ كلّ واحدة من الأثرتين في تمييزهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها "[4] .

1ـ تفسير الطبري ، ج4 / ص183 .

2ـ البقرة / 5 .

3ـ قال الشيخ الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ : مرجع الإشارة الثانية عين مرجع الأولى، ووجه تكرير اسم الإشارة التنبيه على أن كلتا الأثرتين جديرة بالاعتناء والتنويه، فلا تذكر إحداهما تبعا للأخرى بل تخص بجملة وإشارة خاصة ليكون اشتهارهم بذلك اشتهارا بكلتا الجملتين وأنهم ممن يقال فيه كلا القولين. (التحرير والتنوير ، ج1 / ص243)

4ـ الكشاف ، ج1/ ص85 .

ومما يشعر أن المسألة ليست مبنية على التأكيد في **تكرار** " أولئك " ؛ **إتيان حرف** العطف قبلها ، وعدم الإتيان به في قوله تعالى : ﴿ **أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩** ﴾[1] .

قال الرازي ـ رحمه الله ـ : " فإن قلت : لم جاء مع العاطف ؟ وما الفرق بينه وبين قوله ﴿ **أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩** ﴾ **[الأعراف : ١٧٩]** ؟ .
قلت : قد اختلف الخبران هاهنا فلذلك دخل العاطف ، بخلاف الخبرين ثمة فإنهما متفقان ؛ لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد ، فكانت الجملة الثانية مقرّرة لما في الأولى فهي من العطف بمعزل "[2] .

وعلى هذا يكون الحكم في الأولى غير الحكم في الثانية ، فيكون المشار إليه في الأولى غير المشار إليه بالثانية ، أو تكون هناك حالتان لطائفة ، وتكون الإشارة الأولى مخصوصة بالحالة الأولى ، وهي حالة الاتقاء ، والثانية إلى الحالة الثانية ، وهي الوصول إلى مقام المتقين بالاتصاف بالتقوى حقيقة ، أو يكون مفهوم الجملتين وزمن حصولهما مختلف ، فالهدى حاصل في الدنيا والفلاح حاصل في الآخرة ، قال بديع الزمان النورسي ـ رحمه الله ـ : " أما العطف فمبني على المناسبة ؛ إذ كما أن (أولئك) الأول إشارة إلى ثمرة الهداية من السعادة العاجلة ؛ فهذه إشارة إلى ثمرتها من السعادة الآجلة"[3] .

1ـ الأعراف / 179 .

2ـ تفسير الرازي ، ج2/ ص38 .

3ـ إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، بديع الزمان سعيد النّورسي ، تحقيق / إحسان قاسم الصالحي ، تقديم/ الدكتور محسن عبد الحميد أستاذ التفسير والفكر الإسلامي جامعة بغداد ، ص68 .

إلا أنه رجح في هذا السياق أن لفظة " أولئك " الأولى لها علاقة بالأوصاف الأولى وهي : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾[1] ، والثانية ترتبط بالأوصاف الثانية : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ ﴾[2] ، قال ـ رحمه الله ـ : ثم إنه مع إن كلاً منهما ثمرة لكل ما مر ، إلا إن الأولى أن " أولئك " الأول يرتبط عِرْقُه بـ " الذين " الأول ، الظاهر أنهم المؤمنون من الأميين ، ويأخذ قوته من أركان الإسلامية ، وينظر إلى ما قبل﴿ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾. و " أولئك " الثاني ينظر برمز خفي إلى " الذين " الثاني ، الظاهر أنهم مؤمنو أهل الكتاب . ويكون مأخذه أركان الإيمان واليقين بالآخرة. فتأمل!"[3].

وهذا الكلام فيه نظر من جهتين :

الوجه الأول : أن المتدبر في الآيات السابقة ، والمتأمل في خصوصيات الجمل الماضية ، يحصل له القطع بأن هذه الآيات في مقام توصيف المتقين إلى قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾[4] ، وهذه الآية الخامسة مدح من الله تعالى ، ونعت من الرب الودود ، ناظرا إليهم مترنما: بأن أولئك الذين اهتدوا بهداية الكتاب العزيز ، وكانوا يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون ، وكانوا يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، وكانوا يوقنون بالآخرة وبها يشهدون ، أولئك عندنا على هدى من

1ـ البقرة/ 3 .

2ـ البقرة/ 4 .

3ـ إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، ص68 .

4ـ البقرة/ 5.

ربهم ، وأولئك عندنا لأجل كونهم على هدى من ربهم هم الفائزون ، فلا فوز إلا فوز الهداية التي حصلت من الرب .

ويؤيد ما ذكرنا ما في سورة لقمان : ﴿ الٓمٓ ١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥ ﴾[1] ، بعد هذه الآيات يشرع في حال الآخرين من الناس، ويقول: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ ... ﴾[2] إلى آخرها.

الوجه الثاني : لو كان المشار إليه بالأولى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ والمشار إليه بالثانية : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ يلزم اللف والنشر غير المرتب [3] ، ويلزم كون " أولئك " لمطلق الإشارة ، وهذا خلاف ما تحرر واشتهر : أنه للرتبة القصوى ، فليتدبر. وجعل اللف والنشر مرتبا يوجب الخلل الكثير.

1ـ لقمان / 1ـ5 .

2ـ لقمان / 6 .

3ـ اللّفُّ والنّشر: فهو فَنٌّ في المتعدّدات التي يتعلّق بكلّ واحدٍ منها أمْرٌ لاحق، فاللّف يُشار به إلى المتعدّد الذي يؤتى به أوّلاً، والنشر يُشار به إلى المتعدّد اللاّحق الذي يتعلّق كلُّ واحد منه بواحد من السابق دون تعيين، أما ذكر المتعددات مع تعيين ما يتعلّق بكلّ واحد منها فهو التقسيم .

وهو على ضربين : اللّف المفصل ، واللّف المجمل ، أما الأول وهو الذي يهمنا ينقسم بدوره إلى ينقسم إلى قسمين : أـ اللف والنشر المرتب : وهو أن يأتي النشر على وفق تريب اللّف .

ب ـ اللّفّ والنشر غير المرتّب" وقد يُعَبَّر عنه بعبارة "اللّف والنشر المُشَوّش": وهو أن يأتي النشر على غير ترتيب الّلف .

انظر (البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم دمشق ، الطبعة الأولى ، السنة : 1416 هـ / 1996م ، ج2 / ص403 ، 404 .

فلا يستقيم هذا التوجيه إلا إذا جعل المشار إليه بالأولى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ... ﴾ ، والمشار إليه بالثانية : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ... ﴾ من قبيل اللف والنشر المرتب ، وإليه ركن الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ في كتابه تفسير المنار فقال : " إن الإشارة الأولى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ في هذه الآية للفرقة الأولى وهم الذين ينتظرون الحق ؛ لأنهم على شيء منه - كما يدل عليه تنكير ((هدى)) الدال على النوع - وينتظرون بيانا من الله تعالى ليأخذوا به ، ولذلك تقبلوه عندما جاءهم ، فقد أشعر الله قلوبهم الهداية بما آمنوا به من الغيب ، وأقاموا الصلاة بالمعنى الذي سبق ، وأنفقوا مما رزقهم الله .. .

وإلى الفرقة الثانية وقعت الإشارة الثانية : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ كما هو ظاهر ، وهم المفلحون بالفعل لاتصافهم بالإيمان الكامل بالقرآن ، وبما تقدمه من الكتب السماوية واليقين بالآخرة - لا مطلق الإيمان بالغيب إجمالا - ويرشد إلى التغاير بين مرجع الإشارتين ترك ضمير الفصل **"هم"** في الأولى وذكره في الثانية ، ولو كان المشار إليه واحدا لذكر الفصل في الأولى ؛ لأن المؤمنين بالقرآن هم الذين على الهدى الصحيح التام ، فهو خاص بهم دون سواهم ، لكنه اكتفى عن التنصيص على تمكنهم من الهدى بحصر الفلاح فيهم "[1].

وهذا التوجيه القويّ اعتمد فيه الشيخ محمد رشيد رضا على حجتين :

الأولى : تنكير((الهدى)) في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ يدل على نوع من الهداية ، تتمثل في الإيمان بالغيب إقام الصلاة والإنفاق .

1ـ تفسير المنار ، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: 1354هـ) ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة النشر: 1990 م ، الطبعة الثانية ، عدد الأجزاء: 12 جزءا ، ج1 / ص136 ـ 137.

وقد أجيب عن هذه أنّ التنكير هنا للتعظيم[1] قال الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ : " وإنما نكر هدى ولم يعرف باللام لمساواة التعريف والتنكير هنا إذ لو عرف لكان التعريف تعريف الجنس فرجح التنكير تمهيدا لوصفه بأنه من عند ربهم، فهو مغاير للهدى السابق في قوله ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ مغايرة بالاعتبار إذ القصد التنويه هنا بشأن الهدى وتوسلا إلى إفادة تعظيم الهدى بقرينة مقام المدح وبذكر ما يدل على التمكن فتعين قصد التعظيم. فقوله ﴿مِّن رَّبِّهِمْ ﴾تنويه بهذا الهدى يقتضي تعظيمه وكل ذلك يرجع إلى تعظيم المتصفين بالتمكن منه "[2].

وأما الحجة الثانية : ترك ضمير الفصل **"هم"** في الأولى وذكره في الثانية ولو كان المشار إليه واحدا لذكر الفصل في الأولى .

يجاب عن هذا بأن ضمير الفصل له فائدتان : الأولى : حصر الخبر في المبتدأ[3]، والثانية : الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة[4] ، وذلك ما أفاده ضمير الفصل في قوله ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ، فهو إخبار عن حال من كانت صفاته الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والإنفاق ، والإيمان بما أنزل على محمد وما أنزل من قبله ، كما أنه في الوقت نفسه حصر الفلاح في هؤلاء لا غيرهم .

1ـ قال عبد الرحمن حسن :" وقد يختار المتكلم البليغ النكرة قاصداً بالتنكير التعظيم، وتدلُّ القرائن على قصد التعظيم، وإذْ دلّت القرائن عليه حَسُنَ في الكلام حذف الوصف الدالّ على التعظيم، والاكتفاء بدلالة التنكير مع دلالة قرينة الحال أو قرينة المقال"(البلاغة العربية أساسسها وعلومها وفنونها ج1 / ص404 / 405). ولعلّ أهم قرينة تدل على أن تنكير " الهدى " في الآية يقصد منه التعظيم ؛ أنها في سياق المدح من جهة ، ووصف الهدى بأنه من ربهم للتنويه بذلك الهدى وتشريفه من جهة أخرى .

2ـ التحرير والتنوير ،ج1 / ص242.

3ـ قال عبد الرحمن حسن : " وقَدْ يفيد ـ ضمير الفصل ـ القصر بمساعدة قرائن الحال أو المقال، والمقصور عليه هو ما دل عليه ضمير الفصل.

4ـ تفسير الرازي ،ج2 / ص38.

ثم إنّ إثبات الفلاح لطائفة دون أخرى يتنافى مع سياق المدح والثناء الذي وردت فيه الآية ، وهو ما دفع شيخ المفسرين ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ إلى ترجيح أن **تكون "** أولئك **" إشارة إلى الفريقين ، فقال : "** وأولى التأويلات عندي بقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ **ما ذكرت من قول ابن مسعود وابن عباس ، وأن تكون "** أولئك" إشارة إلى الفريقين ، أعني: المتقين، والذين يؤمنون بما أنزل إليك ، وتكون " أولئك " مرفوعة بالعائد من ذكرهم في قوله ﴿ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ ؛ **وأن تكون " الذين"** الثانية معطوفة على ما قبل من الكلام ، على ما قد بيناه . وإنما رأينا أن ذلك أولى التأويلات بالآية ؛ لأن الله جل ثناؤه نعت الفريقين بنعتهم المحمود ، ثم أثنى عليهم . فلم يكن ـ عز وجل ـ ليخص أحد الفريقين بالثناء ، مع تساويهما فيما استحقا به الثناء من الصفات . كما غير جائز في عدله أن يتساويا فيما يستحقان به الجزاء من الأعمال ، فيخص أحدهما بالجزاء دون الآخر ، ويحرم الآخر جزاء عمله . فكذلك سبيل الثناء بالأعمال ؛ لأن الثناء أحد أقسام الجزاء"[1] .

وخلاصة المسألة أن نقول : **جاء تكرار لفظ الإشارة "** أولئك **"** في الآية تأكيدا لمنزلة المتقين وعلوّ مرتبتهم عند رب العالمين ، ودخول العاطف فيها للدلالة على اختلاف الثمرتين المترتبتين عن الأعمال الصالحة التي تدخل في مسمى التقوى ؛ فكانت الإشارة الأولى إلى ثمرة الهداية وما يترتب عليها من السعادة العاجلة في الدنيا، وثمرة

1ـ تفسير الطبري ،ج1 / ص248.

الفلاح وما يترتب عليه من السعادة الآجلة في الآخرة ، ومن فاز بثمرة الهداية في الدنيا ، أدرك ولابد ثمرة الفلاح في الآخرة .

ونظير هذا الضرب من التكرار ما وقع في سورة الرعد :

5) في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥ ﴾ الرعد / 5.

حيث تكرر لفظ " أولئك " ثلاث مرات ، ولهذا التكرار وظيفة عظيمة ، حاصلها أن مجيئها في الموضع الأول **قُصِد به الإخبار عن شأن منكري البعث** ، وأنهم كفروا بربهم بهذا الإنكار ؛ ومجيئها في الموضع الثاني لبيان حالهم في الدنيا والآخرة ، وأن الأغلال في أعناقهم ؛ أما مجيئها في الموضع الثالث ، فلبيان مآلهم ومصيرهم الذي صاروا إليه ، **وهو العذاب الخالد والمهين .**

قال الآلوسي ـ رحمه الله ـ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ ﴾ **فلم يعرفوا عظمته سبحانه** ، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ ﴾ فلا يقدرون أن يرفعوا رؤوسهم المنتكسة إلى النظر في الآيات ، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ **لعظم ما أتوا به** "[(1)] .

وحصل هذا التغاير بين معاني الإشارات الثلاث بسبب توسط العاطف فيها، قال الزركشي ـ رحمه الله ـ وهو يبين أحوال الجملة عند علماء البيان : " أن يغاير ما قبلها لكن بينهما **نوع ارتباط وهذه هي التي يتوسطها العاطف كقوله** : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ **وقوله** : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ "[(2)] .

1ـ روح المعاني ، ج13 / ص136.

2ـ البرهان في علوم القرآن ، ج4/ ص106.

المبحث الثالث

أثر السياق في توجيه تكرار الجمل

تمهيد

ثمة لونان من ألوان تكرار الجمل في القرآن الكريم ، أولهما تكرار الجمل المتقاربة ، ونعني به تكرار الجملة الواحدة في مواضع متقاربة من سورة واحدة ، واللون الثاني تكرار الجمل المتباعدة ، بمعنى أن تأتي الجملة في أكثر من سورة ، وغالبا ما يكون هذا اللون من التكرار منوعا بتغير حرف أو زيادة كلمة أو تقديم أو تأخير ، وكل ذلك يقع **لدلالات بلاغية تعرف من السياق بالتأمل والتدبر الدقيق** ، يقول ابن الأثير ـ رحمه الله ـ : " وبالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مكرر لا فائدة فيه ، فانظر إلى سوابقه ولواحقه ، **لتنكشف لك الفائدة منه** "[1] .

وهذا اللون من التكرار بنوعيه في القرآن الكريم هو الذي انصبت عليه عناية المفسرين منذ التفتوا إلى التكرار في القرآن ، من ذلك ما أورده الخطيب الإسكافي في كتابه " **درة التنزيل وغرة التأويل**"، والكرماني في كتابه " البرهان في متشابه القرآن "، والبقاعي في كتابه "**نظم الدرر**" ، إضافة إلى بعض الإشارات القيمة في تفسير الكشاف للزمخشري ، وروح المعاني للآلوسي وغيرها من الآراء المبثوثة في كتب التفسير .

1ـ المثل السائر ،ج2 / ص149.

المطلب الأول

أثر السياق في توجيه تكرار الجمل المتقاربة

التكرار المتقارب هو تكرار جملة واحدة مرة أو مرتين في سورة واحدة ، طويلة أو قصيرة ، وقد يتقارب موضعا الآية أو الجملة المكررة أو يتباعدا ، غير أنّ ذلك يكون في السورة الواحدة ، مما يوفر له وحدة موضوعية ويعطيه مغزى لتكرارها[1] ، **ومنه :**

أ. تكرار قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴾ في سورة الإسراء في موضعين :

الموضع الأول : الآية التاسعة والأربعين ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ٤٩ ﴾[2].

الموضع الثاني : الآية الثامنة والتسعين في قوله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ٩٨ ﴾[3].

من تأمل سياق الآيتين يدرك الاختلاف الزمني للمقالتين : فكانت الأولى في الدنيا ، ويدل على ذلك السياق الذي وردت فيه ، **حيث ذكرت هذه الآية عقب الشبه** التي طرحها الكفار المعاندون فيما يتعلق بجناب الله ، والقرآن والنبوة ، قال الشوكاني ـ

1ـ ينظر التكرار الأسلوبي في اللغة العربية ، د/ السيد خضر ،الطبعة الأولى ، سنة 1424 هـ/ 2003م ، ص130 .

2ـ الإسراء/ 49 .

3ـ الإسراء/ 98 .

رحمه الله ـ : " لما فرغ سبحانه من حكاية شُبَهِ القوم في النبوّات حكى شبهتهم في أمر المعاد فقال :﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا ﴾ "[1].

وكانت الثانية يوم القيامة ؛ لأنها جاءت في سياق بيان العقوبة والجزاء ، قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ : " هذا الذي وصفنا من فعلنا يوم القيامة بهؤلاء المشركين ، ما ذكرت أنا نفعل بهم من حشرهم على وجوههم عميا وبكما وصما ، وإصلائنا إياهم النار على ما بينا من حالتهم فيها ثوابهم بكفرهم في الدنيا بآياتنا ، يعني بأدلته وحججه، وهم رسله الذين دعوهم إلى عبادته ، وإفرادهم إياه بالألوهة دون الأوثان والأصنام ، وبقولهم إذا أُمروا بالإيمان بالميعاد ، وبثواب الله وعقابه في الآخرة﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴾[2] "[3].

قال الكرماني ـ رحمه الله ـ : " الأول من كلامهم في الدنيا حين جادلوا الرسول وأنكروا البعث ، والثاني من كلام الله تعالى حين جازاهم على كفرهم وقولهم وإنكار البعث "[4].

ومناسبة إعادة ذكر المقولة عقب بيان الجزاء هي تذكيرهم يوم القيامة بالذنب الذي ارتكبوه في الدنيا فيكون بذلك الجزاء من جنس العمل قال الزمخشري ـ رحمه الله ـ : " كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها ، ولا يزالون على الإفناء والإعادة ، ليزيد ذلك في تحسرهم على

1ـ فتح القدير ، ج3 / ص335.

2ـ الإسراء / 98 .

3ـ تفسير الطبري ، ج17 / ص562.

4ـ أسرار التكرار في القرآن الكريم ، ص129.

تكذيبهم البعث ؛ ولأنه أدخل في الانتقام من الجاحد ، وقد دل على ذلك بقوله : "ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم " إلى قوله "لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا "[1] .

وقال الشيخ الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ : " والظاهر أن جملة ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ٩٨ ﴾ . عطف على جملة ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ [الإسراء: ٩٨]. فذكر وجه اجتماع تلك العقوبات لهم ، وذُكر سببان :

أحدهما : **الكفر بالآيات** ، ويندرج تحته صنوف من الجرائم تفصيلاً وجمعاً تناسبها العقوبة التي في قوله : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ٩٧ ﴾[2].

وثانيهما : إنكارهم البعث بقولهم : ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ٩٨ ﴾ المناسب له أن يُعاقبوا عقاباً يناسب ما أنكروه من تجدد الحياة بعد المصير رفاتاً ، فإن رفات الإحراق أشد اضمحلالاً من رفات العظام في التراب .

أي ذلك العذاب بسبب أنهم كذبوا بالإعادة بعد الإفناء فجعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها ثم يعيدها لا يزالون على ذلك ليزيد في تحسرهم على تكذيبهم البعث "[3] .

1ـ الكشاف ، ج2 / ص650.

2ـ الإسراء / 97 .

3ـ التحرير والتنوير ، ج14/ ص172.

ب. تكرار قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ في سورة الفتح في موضعين :

الموضع الأول : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1] .

الموضع الثاني : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧ ﴾[2] .

يختلف معنى الجنود في الآيتين لاختلاف سياق كل واحدة منهما :

ففي الموضع الأول جاء ذكر الجنود عقب إنزال السكينة في قلوب المؤمنين ، وهو ما يدل على أن المقصود بهم جنود الرحمة ، **ويزيد هذا الحدس توكيدا أمران :**

الأول : أنه ذكر عقب هذه الجملة صفة " العلم" **فقال** : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ، والعلم يتناسب تمام المناسبة مع إنزال السكينة ، وزيادة الإيمان ، قال الرازي ـ رحمه الله ـ : " **لما ذكر أمر القلوب بقوله** : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] ، والإيمان من عمل القلوب ذكر العلم إشارة إلى أنّه يعلم السرّ **وأخفى**"[4] .

وقال الكرماني ـ رحمه الله ـ : " الأول متصل بإنزال السكينة ، وازدياد إيمان المؤمنين ، فكان الموضع موضع علم وحكمة "[5] .

وقال البقاعي ـ رحمه الله ـ : " ولما كان مبنى ما مضى كلّه على القدرة **بأمور خفية** يظهر منها من الضعف غير ما كشف عنه الزمان من القوة ، وكان تمام القدرة متوقفاً على

1ـ الفتح / 4 .

2ـ الفتح / 7 .

3ـ الفتح / 4

4ـ تفسير الرازي ، ج28/ ص81 .

5ـ أسرار التكرار في القرآن ، ص194.

شمول العلم ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ ﴾ أي الملك الأعظم أزلاً وأبداً ﴿ عَلِيمًا ﴾ بالذوات والمعاني " [1] .

الثاني : تعلق الآية التي بعدها بها ، ودليل ذلك لام التعليل[2] التي وقعت رابطا بين الآيتين في قوله تعالى : ﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[3] .

فهذا التعلق بين الآيتين يفضي إلى ما ذكرناه من حمل معنى الجنود على ملائكة الرحمة ؛ لأنّ من مهامهم إكرام أهل الإيمان ، قال الرازي ـ رحمه الله ـ : " نقول لله جنود

1ـ نظم الدرر ، ج18/ ص286 .

2ـ وقد اختلف النحاة في تحديد المتعلق هنا فذكروا أوجها أربعة :

الوجه الأول : محذوف تقديره : يبتلي بتلك الجنود من شاء فيقبل الخبر ممن أهَّلَهُ له والشَّرَّ ممن قضى له به ليدخل ويعذب .

الوجه الثاني : أنها متعلقة بقوله :« إِنَّا فَتَحْنَا » ؛ للحديث الذي رواه البخاري والترمذي وأحمد عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ أُنْزِلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) مَرْجِعَهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى الأَرْضِ ثُمَّ قَرَأَهَا النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– عَلَيْهِمْ فَقَالُوا هَنِيئًا مَرِيئًا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ لَكَ مَاذَا يُفْعَلُ بِكَ فَمَاذَا يُفْعَلُ بِنَا فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) حَتَّى بَلَغَ (فَوْزًا عَظِيمًا) " (البخاري ج4 / ص 1530، رقم الحديث : 3939)، (الترمذي ، ج 5 / ص 385، رقم : 3573) (أحمد ، ج19 / ص369 رقم : 12374).

الوجه الثالث : أنها متعلقة بـ « يَنْصُرَكَ» كأنه تعالى قال : وينصرك الله بالمؤمنين ليدخل المؤمنين جنات.

الوجه الرابع : أنها متعلقة بـ « يَزْدَادُوا » . والذي يظهر أنها تتعلق بمحذوف يدل عليه الكلام السابق وذلك أنه لما قال:«ولله جنود السموات والأرض » كان في ذلك دليل على أنه تعالى يبتلى بتلك الجنود من شاء فتقبل بالخير على من قضى له به وتقبل بالشر على من قضى له به ليدخل المؤمنين والمؤمنات ويعذب الكفار فاللام تتعلق بالفعل يبتلى وما تعلق بالابتلاء من قبول الإيمان والكفر . (انظر البحر المحيط ، ج8/ ص91) .

3ـ الفتح / 5 .

الرحمة وجنود العذاب أو جنود الله إنزالهم قد يكون للرحمة ، وقد يكون للعذاب فذكرهم أولى لبيان الرحمة بالمؤمنين "[1] .

وأما في الموضع الثاني فقد جاء ذكر الجنود عقب إنزال العذاب على الكافرين، وهو ما يشير إلى أن المقصود بهم ملائكة العذاب ، قال الرازي ـ رحمه الله ـ : "**ـ وذكرهم** ـ ثانياً لبيان إنزال العذاب على الكافرين "[2].

ويؤكد هذا المعنى الذي ذكرناه ـ من تأويل الجنود في هذا الموضع بمعنى ملائكة العذاب ـ اقترانه بصفة " **العزيز** " ، وهو اسم من أسماء الله تعالى يدل على العزة والغلبة **والعظمة** ، قال أبو حيان ـ رحمه الله ـ : " **لما تقدم تعذيب الكفار والانتقام منهم ، ناسب ذكر العزة** "[3].

وقال الآلوسي ـ رحمه الله ـ : " وهاهنا أريد به التهديد بأنهم في قبضة قدرة المنتقم ولذا ذيل بقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ فلا تكرار كما قال الشهاب ، وقيل : إن الجنود جنود رحمة وجنود عذاب ، والمراد به هنا الثاني كما ينبئ عنه التعرض لوصف **العزة** " [4].

ت. تكرار وعيد الله وعذابه للكافرين في موضعين متقاربين من سورة "المجادلة " :

1ـ تفسير الرازي ، ج18 / ص84 .

2ـ المصدر نفسه ، ج18/ ص85 .

3ـ البحر المحيط ، ج8/ ص91 .

4ـ روح المعاني ، ج26/ ص95 .

الأول : قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[1] .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[2] .

ذهب جمهور المفسرين إلى القول بالتأكيد في توجيه هذا التكرار ، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : " وقوله : ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ : تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك "[3] .

وقال الزمخشري ـ رحمه الله ـ : " ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ ليكون تسلية على تسلية ، وتأكيداً لوقوع الميعاد إلى تأكيد "[4] .

وهو ما اعتمده ورجحه الكثير من علماء التفسير المتقدمين منهم والمتأخرين ، غير أنهم أشاروا إلى نكت بلاغية أخرى ، قد تصلح لأن تكون وجها من وجوه تأويل هذا التكرار .

وإذا أمعنا النظر في ما ذكروا من إشارات ندرك الفرق بين الآيتين ؛ من حيث الترتيب الزمني المقصود من الآيتين .

وتتمثل هذه الإشارات فيما يلي :

1ـ الصافات / 174 ـ 175 .

2ـ الصافات / 178 ـ 179 .

3ـ تفسير ابن كثير ، ج7/ ص46.

4ـ الكشاف ، ج4/ ص70 .

أولا : الإفصاح عن الضمير المفعول في الأولى : ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾ ، وحذفه في الثانية : ﴿ وَأَبْصِرْ ﴾ ، وقد ذكر العلماء في ذلك توجيهات عديدة منها :

أ. أنه اكتفى بذكر الضمير أولا عن ذكره ثانيا **فحذفه اقتصارا** ، قال الشيخ الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ : "**وحذف مفعول** ﴿ وَأَبْصِرْ ﴾ في هذه الآية لدلالة ما في نظيرها عليه "[1].

ب. أن الإفصاح عن الضمير في الأولى ؛ يفيد تخصيص طائفة معينة في هذا **الإبصار ، وهي الطائفة التي قاتلت النبي** ﷺ في بدر ، وحذفه في الثانية يدل على عموم **من كفر بالله** سبحانه ، ويكون ذلك يوم القيامة ، قال ابن جزي ـ رحمه الله ـ : " **أنه** حذف ليفيد العموم فيمن تقدم وغيرهم كأنه قال : أبصر جميع الكفار بخلاف الأول ، فإنه من قريش خاصة "[2] .

هذه الإشارة الأولى تدل على أن ثمة فرقا بين الأمر بالإبصار في الموضعين ، فالأول في الدنيا (غزوة بدر أو فتح مكة) ، والثاني في الآخرة ، وهو ما أشار إليه الزمخشري ـ رحمه الله ـ **بقوله : "** وقيل : أريد بأحدهما عذاب الدنيا ، وبالآخر عذاب الآخرة **"**[3].

ويؤكد هذا المعنى ، الإشارة الثانية وهي :

ثانيا : السياق الذي وردت فيه كل آية ينبئ باختلاف "الحين "في الموضعين ، فالآية الأولى جاءت في سياق ذكر النصر الذي وعده الله عز وجل عباده المؤمنين ، والوعيد الذي نزل بالكفار ؛ المتمثل في الهزيمة التي لحقتهم في شتى غزوات الرسول

1ـ التحرير والتنوير ، ج23 / ص104 .

2ـ التسهيل ، ج2/ ص245 .

3ـ الكشاف ، ج4/ ص70 .

ﷺ ، والدليل على ذلك قوله تعالى بعد : ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1] ، أي إن استعجالهم وقولهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين كان سببا في العذاب الدنيوي بالقهر والظفر عليهم[2] ، وقال الكرماني ـ رحمه الله ـ : " كرر وحذف الضمير من الثاني ؛ لأنه لما نزل " وأبصرهم" قالوا متى هذا الوعد الذي توعدونا به فأنزل الله : ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ "[3].

وقد امتدت آثار هذا السياق إلى الآية الثانية ؛ إذ أنه زيادة على كون الآية في قوله تعالى : ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ تبين الوعيد الذي نزل بالكفار في الدنيا ، فإنّه يصلح أن تكون لهم وعيدا وعذابا في الآخرة ، وذلك من قبيل الاستعارة التمثيلية [4]، قال الزمخشري ـ رحمه الله ـ: " مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه ، بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصّاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره ، ولا أخذوا أهبتهم ، ولا دبروا أمرهم تدبيراً ينجيهم، حتى أناخ بفنائهم بغتة ، فشنّ عليهم الغارة وقطع دابرهم ، وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحاً ، فسميت الغارة صباحاً وإن وقعت في وقت آخر ، وما فصحت هذه الآية ولا

1ـ الصافات / 176 ـ 177 .

2ـ انظر تفسير البحر المحيط ، ج7 / ص364 .

3ـ أسرار التكرار في القرآن ، ص181 .

4ـ الاستعارة التمثيلية : أن تشبِّه إحدى صورتين مُنتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى ، ثم تُدخل المشبه في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه ، مثال : (إني أراك تُقَدِّمُ رِجلاً وتُؤخِّر أخرى) يُضرب لمن يتردد في أمر فتارة يقدِم ، وتارة يحجم ، وتعرف بـ " الاستعارة في المركب " ، قال عبد الرحمان حسن : " ـ هي ـ استعارة يكون اللّفظ المستعار فيها لفظاً مُرَكَّباً ، وهذا اللّفظ المركب يستعمل في غير ما وُضِعَ له في اصطلاح به التخاطب ، لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصليّ ، ويسمّى " الاستعارة التمثيليّة " وقد يطلق عليه " الاستعارة على سبيل التمثيل" أو نحو ذلك من عبارات (انظر : البلاغة أساسها وعلومها وفنونها ، ج2 / ص 265) .

كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك ، إلا لمجيئها على طريقة التمثيل "[1] .

وبهذا تكون الآية الثانية قد جاءت في سياق الوعيد الذي **توعد** الله تبارك وتعالى به الكفار المعاندين بعد استعجالهم العذاب الأليم .

الخلاصة : من خلال ما سبق ذكره من أدلة وقرائن نخلص إلى القول بالفرق بين الآيتين من جهة اختصاص كل آية بزمن معين ، فالأولى في الدنيا ، والثانية في الآخرة ، قال الشيخ الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ مستدركا على كلامه **الأول : " إلا أنه قد** يكون هذا التولي غير الأول وإلى حين آخر وإبصار آخر، فالظاهر أنه تول عمن يبقى من المشركين بعد حلول العذاب الذي استعجلوه ، فيحتمل أن يكون حينا من أوقات الدنيا فهو إنذار بفتح مكة[2] . ويحتمل أن يكون إلى حين من أحيان الآخرة"[3] .

ث. تكرار ﴿ **إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ في موضعين من سورة "الذاريات":

الموضع الأول : في قوله تعالى : ﴿ **فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٥٠** ﴾[4] .

1ـ الكشاف ، ج4 / ص90 .

2ـ مذهب الإمام البقاعي ـ رحمه الله ـ وهو قول بعيد ؛ لأن العموم في قوله " أبصر" يقتضي الإبصار في حال جميع من كفر ، وحمله على فتح مكة ينافي هذا العموم .

3ـ التحرير والتنوير ، ج23 / ص104 .

4ـ الذاريات / 50 .

الموضع الثاني : في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[1] .

يعتبر التوكيد غرضا بارزا من تكرار الإنذار في هذا الموضع من **سورة "الذاريات "** ، ذلك أنه يحمل المعنى نفسه في الآيتين من جهة التحذير من عقاب الله ، قال ابن عطية ـ رحمه الله ـ : "**وفائدة تكرار قوله** " إني لكم منه نذير مبين " الإبلاغ وهز النفس وتحكيم التحذير وأعادة الألفاظ بعينها في هذه المعاني بليغة بقرينة شدة **الصوت**"[2].

وقال النسفي ـ رحمه الله ـ : " والتكرير للتوكيد والإطالة في الوعيد أبلغ"[3].

وقال أبو السعود ـ رحمه الله ـ : " وفيه ـ يعني في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ـ تأكيد لما قبله من الفرار من العقاب إليه تعالى لكن لا بطريق التكرير بل بالنهى عن سببه وإيجاب **الفرار منه** "[4].

وهو رأي معتبر ، **مقبول من الناحية العلمية ، ذلك أنّ** التوكيد سرٌّ من أهم أسرار التكرار ، يمكن أن نوجه به آيات كثيرة أعيدت في مواضع متقاربة من القرآن الكريم ، وفق ضوابط متى اختلت تعذر القول بالتوكيد في توجيهها ، ولعلّ الآية التي بين أيدينا نموذج حيٌّ لما اختلت فيه شروط القول بالتوكيد ؛ إذ أننا نستدرك على القائلين **بالتوكيد ها هنا أمرين :**

1ـ الذاريات / 51 .

2ـ المحرر الوجيز ، ج5 / ص164 .

3ـ تفسير النسفي ، ج4 / ص149 .

4ـ تفسير أبو السعود، ج8 / ص143 .

أولا : الفصل الذي وقع بين الجملتين ينبئ باختلافهما ، وعدم التوكيد فيهما ، فقد سبق وأن ذكرنا بأن التأكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده شيء ، فمتى وجد مكرر مفصول حكم عليه بالتأسيس لا بالتأكيد .

ثانيا : تعلق كل آية منهما بغير ما تعلقت به الأخرى ، وهذا مناف لمعنى التوكيد[i] ، قال الكرماني ـ رحمه الله ـ : " ليس بتكرار ؛ لأن كل واحد منهما متعلق بغير ما تعلق به الآخر فالأول متعلق بترك الطاعة إلى المعصية ، والثاني متعلق بالشرك بالله تعالى"[1] .

فالتوكيد في هذا الموضع من التكرار ليس مقصودا ، بل المقصود تثبيت الإيمان الحق ـ القائم على العمل ونبذ الشرك ـ في النفوس ، قال الزمخشري ـ رحمه الله ـ : "وكّرر قوله : ﴿ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك ، ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل ، كما أنّ العمل لا ينفع إلا مع الإيمان ، وأنه لا يفوز عند الله إلا الجامع بينهما . ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ ﴾[2] "[3] .

وقد كان للسياق دور بارز في توجيه التكرار بهذا المعنى ، ذلك أنه ـ التكرار ـ ورد بعد سلسلة من الحقائق المتعلقة بتوحيد الربوبية من خلق ورزق وقدرة وتدبير ، والغرض منها ؛ التوطيد للغاية العظمى من خلق الإنسان ، والتي تتمثل في تحقيق العبودية المشار إليها في آخر السورة بقوله : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦

1ـأسرار التكرار في القرآن ، ص196 .

2ـ الأنعام/ 158 .

3ـ الكشاف ، ج4/ ص407 .

﴾[1] ، وهو ما يعرف عند العلماء بـ "توحيد العبادة" الذي يقوم على دعامتين اثنتين : النفي والإثبات .

أما الإثبات فقد دلّ عليه قوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، من باب قوله : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾[2].

ودلّ على النفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾، من باب قوله : ﴿ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾[3].

والذي يوضح هذا التقسيم ويبينه تكرار قوله تعالى : ﴿ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ في الموضعين .

لذلك قال الرازي ـ رحمه الله ـ : " ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ إتماماً للتوحيد ، وذلك لأن التوحيد بين التعطيل والتشريك ، وطريقة التوحيد هي الطريقة، فالمعطل يقول لا إله أصلاً ، والمشرك يقول في الوجود آلهة ، والموحد يقول قوله الاثنين باطل ، نفي الواحد باطل ، فقوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أثبت وجود الله ، ولما قال : ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ نفى الأكثر من الواحد فصح التوحيد بالآيتين ، ولهذا قال مرتين : ﴿ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ أي في المقامين والموضعين "[4] .

1ـ الذاريات / 56 .

2ـ النساء / 36 .

3ـ النساء / 36 .

4ـ تفسير الرازي ، ج28 / ص245 .

الخلاصة : نخلص من خلال ما سبق طرحه وبيانه إلى أن المقصد العام ، والغرض الهام ، من تكرار الإنذار ها هنا ؛ بيان التوحيد الحقّ القائم على النفي والإثبات ، وقد ترتب عن هذا المقصد أثر من أهم آثار التكرار ، تمثل في التوكيد الذي جاء نتيجة حتمية اقتضاها سياق الكلام .

ج. تكرار قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ ﴾ في موضعين من سورة البقرة :

الموضع الأول : ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾[1] .

الموضع الثاني : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾[2] .

ذكر العلماء في توجيه هذا التكرار أقوالا كثيرة نجملها في ما يلي :

القول الأول : أن الهبوط الأول من الجنّة إلى السماء ، والثاني من السماء إلى الأرض ، قال الكرماني ـ رحمه الله ـ : " كرر الأمر بالهبوط ؛ لأنّ الأول من الجنة والثاني من السماء "[3]، وقد قال به الجبائي ـ رحمه الله ـ قبله[4] .

ولكنه قول ضعيف مرجوح من وجهين :

الأول : قوله تعالى في سياق الآية الأولى : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة : ٣٦] ، وهي على القول **الذي ذكرنا** تتناسب مع الهبوط الثاني ، ولا علاقة لها بالأول ، فإذا ثبت العكس ـ كما هو ظاهر في الآية ـ دلّ على ضعف هذا الرأي ،

1ـ البقرة/ 36 .

2ـ البقرة/ 38 .

3ـ أسرار التكرار في القرآن ، ص26 .

4ـ انظر البحر المحيط ، ج1 / ص308 .

قال الرازي ـ رحمه الله ـ : " فلو كان الاستقرار في الأرض إنما حصل بالهبوط الثاني لكان **ذكر قوله** : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1] **عقب** الهبوط الثاني أولى "[2].

وقد أجاب عن هذا الإشكال صاحب اللباب بقوله : " وهذا ضعيف ؛ لأنه يجوز أن يراد : ولكم في الأرض مستقرّ بعد ذلك "[3].

الثاني : أنه قال في الهُبُوط الثَّاني : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾[4] ، والضمير في «**منها**» عائد إلى « الجنّة » وذلك يقتضي كون الهُبُوط الثاني من الجنّة .

وهذه حجّة يردّها جوابٌ ذكره النقاش ـ رحمه الله ـ مفاده أنّ الهبوط المأمور به أولا من السماء إلى الأرض ويناسبه﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ، والثاني من الجنة إلى السماء ويناسبه الإشارة إليها بالضمير في قوله سبحانه : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ ، وشرطه ألا يقتضي ورود الآيتين في الموضعين ترتيبا زمنيا قال ابن عطية ـ رحمه الله ـ : وحكى النقاش : أن الهبوط الثاني إنما هو من الجنة إلى السماء ، والأول في ترتيب الآية إنما هو إلى الأرض ، وهو الآخر في الوقوع ، فليس في الأمر تكرار على هذا "[5].

1ـ البقرة / 36 .

2ـ تفسير الرازي ، ج3 / ص28 .

3ـ ينظر : اللباب في علوم الكتاب ، ج1 / ص579 .

4ـ البقرة / 38 .

5ـ ينظر المحرر الوجيز ، ج 1 / ص114 .

القول الثاني : أن التكرار للتوكيد ، قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ : " ذكرنا القول في تأويل قوله : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾[1] فيما مضى ، فلا حاجة بنا إلى إعادته ، إذْ كان معناه في هذا الموضع ، هو معناه في ذلك الموضع "[2].

وعن تحديد غرض التوكيد في هذا الموضع انقسم العلماء إلى فريقين :

فكان داعي التوكيد عند الفريق الأول : رفع التوهم الذي قد يتبادر إلى الذهن ـ من انتفاء الحكم الأول أو تخفيفه ـ بعد حصول التوبة منهما ، قال الرازي ـ رحمه الله ـ : " أن آدم وحواء لما أتيا بالزلة أمرا بالهبوط فتابا بعد الأمر بالهبوط ، ووقع في قلبهما أن الأمر بالهبوط لما كان بسبب الزلة فبعد التوبة وجب أن لا يبقى الأمر بالهبوط ، فأعاد الله تعالى الأمر بالهبوط مرة ثانية ليعلما أن الأمر بالهبوط ما كان جزاء على ارتكاب الزلة حتى يزول بزوالها بل الأمر بالهبوط باقٍ بعد التوبة ؛ لأن الأمر به كان تحقيقاً للوعد المتقدم في قوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[3]"[4] .

وقال أبو السعود ـ رحمه الله ـ : " كُرِّر الأمرُ بالهبوط إيذاناً بتحتم مقتضاه وتحقُّقه لا محالة . ودفعاً لما عسى يقعُ في أمنيَّتِه ـ عليه السلام ـ من استتباع قبول التوبةِ للعفو عن ذلك "[5].

وأما الفريق الثاني : فإنّ داعي التوكيد عندهم هو ربط النظم في الآية القرآنية قال الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ : " ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ ﴾ هو قول واحد كرر مرتين لربط

1ـ البقرة/ 38 .

2ـ تفسير الطبري ، ج 1 / ص548 .

3ـ البقرة/ 30 .

4ـ تفسير الرازي ، ج 3 / ص28 .

5ـ تفسير أبو السعود ، ج 1 / ص92 ..

الكلام ولذلك لم يعطف ، قلنا ؛ لأن بينهما شبه كمال الاتصال لتنزل قوله : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾[1] من قوله : ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾[2] منزلة التوكيد اللفظي "[3].

وقد سبق الإشارة إلى حكم الكلام المكرر المفصول ؛ بأنّه ليس من التوكيد في شيء ، إنما هو أثر ترتب عن إعادة اللفظ ، وذلك ما استدركه الشيخ الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ بقوله : " ثم بني عليه قوله : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾[4] الآية وهو مغاير لما بني على قوله : ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ ليحصل شيء من تجدد فائدة في الكلام لكي لا يكون إعادة اهبطوا مجرد توكيد ويسمى هذا الأسلوب في علم البديع بالترديد[5] نحو قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا

1ـ البقرة/ 38 .

2ـ البقرة/ 36 .

3ـ التحرير والتنوير ، ج 1 / ص425 .

4ـ البقرة/ 38 .

5ـ الترديد فرع من فروع التكرار ، إلا أنّ العلماء جعلوا لكل واحد منهما حدا ، فحدّ الترديد : أن يعلق الشاعر ـ أو المتكلم عموما ـ لفظة في بيت واحد ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر كقوله تعالى: ﭽﭼ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ[الحشر: ٢٠] .

وحدّ التكرار عندهم هو : إعادة اللفظة في البيت ولا تفيد معنى زائدا بل الثانية عين الأولى . ينظر خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري ، مكتبة الهلال – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1987 ، تحقيق : عصام شعيتو ، ج 1 / ص359 .

وهذا التفريق فيه نظر من وجهين :

أـ حدّ التكرار بأنّه "لا يفيد معنى زائدا " فيه نوع من التنقص أو إغفال لجماليات التكرار العديدة .

لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ ﴾[1]، وإفادته التأكيد حاصلة بمجرد إعادة اللفظ "[2].

وبهذا يكون الشيخ الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ قد أشار إلى القول الثالث ورَكن إليه وهو :

أنّ الهبوطين مختلفان باعتبار تعلّقهما ، فالهبوط الأوّل علّق به العداوة ، والثاني علّق به إتيان الهدى ، قال الألوسي ـ رحمه الله ـ : " أو كرر ليتعلق عليه معنى آخر غير الأول ، إذ ذكر إهباطهم أولاً : للتعادي وعدم الخلود ، والأمر فيه تكويني ، وثانياً : ليهتدي من يهتدي ، ويضل من يضل ، والأمر فيه تكليفي ، ويسمى هذا الأسلوب في البديع الترديد فالفصل حينئذ للانقطاع لتباين الغرضين "[3] .

ب ـ في قولهم : "بل الثانية عين الأولى " شيء من المغالطة ؛ لأنّ التكرار بهذا المعنى هو عين التوكيد ، وقد سبق وأن بينا الفرق بينهما ، بل إنّ من أهم ما يتميز به التكرار عن التوكيد ؛ اتفاق معانيه واختلافها على حسب دلالة السياق ، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في تعريف التكرار : " فحقيقة التكرار أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا "انظر الفوائد المشوق ، ص111 .

ومن هنا يمكن أن نقول : إنّ مسألة الفرق بين التكرار والترديد لا يعدوا أن تكون مسألة عموم وخصوص بينهما ، فكل ترديد تكرار ، وليس كل تكرار ترديد .

1ـ آل عمران / 188 .

2ـ التحرير والتنوير ، ج 1 / ص425 .

3ـ روح المعاني ، ج 1 / ص238 .

المطلب الثاني
أثر السياق في توجيه تكرار الجمل المتباعدة

تكرار الجمل المتباعدة : هو أن تتكرر الجملة في أكثر من سورة في القرآن الكريم ، وغالبا ما يكون هذا اللون من التكرار منوعا ، بمعنى أن تأتي الآية أو الآيات مكررة مع اختلاف في لفظ أو تقديم أو تأخير ، وكل ذلك له دلالاته البلاغية وأسبابه السياقية التي لا يُتوصل إليها إلا بعد طول إمعان في السياق وسوابقه ولواحقه[1] ، قال الخطيب الإسكافي ـ رحمه الله ـ : " إذا أورد الحكيم تقدست أسماؤه آية علي لفظة مخصوصة ثم أعادها في موضع آخر من القران وقد غير فيها لفظة كما كانت الأولى فلا بدّ من حكمة هناك تطلب ، فإذا أدركتموها فقد ظفرتم وإن لم تدركوها فليس ؛ لأنه لا حكمة هناك بل جهلتم "[2] .

وهذا اللون من التكرار هو الذي انصبت عليه عناية الدارسين منذ التفتوا إلى هذه الظاهرة في القرآن الكريم ، وهو بحق مناط الإعجاز ، وقمة من قمم البيان ، إذ فيه تتبدى عجائب القرآن ناصعة لمن يتدبر ويتفكر .

وفيما نعرضه من أمثلة في هذا الصدد أكبر شاهد على ذلك :

المثال الأول :

1. قوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾[3] .

1ـ التكرار الأسلوبي في اللغة ، ص 118 .

2ـ درة التنزيل ، ج 1 / ص250ـ251 .

3ـ آل عمران / 133 .

2. وقال تعالى : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ﴾[1].

مع ما تحمله الآيتين من معان مشتركة ، تتمثل في الحث على المبادرة إلى أفعال البر وجزيل الثواب ، إلا أنه حصل اختلاف بينهما من وجوه ثلاثة :

الوجه الأول : اختلاف عبارة الأمر في الموضعين ، ففي الأولى قال : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ ﴾ ، وفي الثانية قال : ﴿ سَابِقُوٓاْ ﴾ .

وللإجابة عن هذا الاختلاف ، لا بد من وقفة نحدد من خلالها الفرق بين اللفظتين ، ثمّ ننظر في السياق الذي وردت فيه كل لفظة .

أما المسارعة فهي : من السُّرْعَةُ ضد البطء تقول منه سَرُعَ ـ بالضم ـ سِرَعا .. فهو سَرِيعٌ وعجبت من سُرْعَتِهِ ومن سِرَعِهِ ، وأَسْرَعَ في السير .. و المُسَارَعَةُ إلى الشيء **المبادرة إليه** "[2] .

فالمسارعة لا تقتضي منافسا ، بل قد يسارع المرء إلى أمر ما ، دون أن يكون له ندٌّ **ينازعه هذا الأمر ، بخلاف** المسابقة فإنها تقتضي أكثر من واحد حتى تكون مسابقة، **فالمسارعة** سرعة **أما المسابقة هي** سرعة وزيادة " .

ومن خلال هذا التفريق يتبيّن لنا أمران :

الأول : أنّ المسارعة إلى الشيء قبل مسابقته ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١ ﴾[3].

1ـ الحديد/ 21 .

2ـ مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، الطبعة طبعة جديدة ، 1415 – 1995 ، تحقيق : محمود خاطر، ص326 .

3ـ المؤمنون/ 61 .

الثاني : بناء المسابقة على المسارعة قال ابن الزبير الغرناطي ـ رحمه الله ـ : " ألا ترى أن المسارع إلى الشيء قد يحصل له ما سارع إليه وقد لا يحصل ولا يقال في الغالب سبق إلا فيمن تحصل له مطلوبه هذا هو الأكثر "[1].

وقال الرازي ـ رحمه الله ـ : " واعلم أنّه تعالى أمر بالمسارعة في قوله : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ ثم شرح هاهنا كيفية تلك المسارعة ، فقال : " سارعوا " مسارعة المسابقين لأقرانهم في المضمار"[2].

وبناءا على ما تقدم نقول : إن الفرق بين اللفظتين اقتضاه السياق الذي وردتا فيه ، ذلك أن اللفظة الأولى تتعلّق بالمتقين ، وأما الثانية فتتعلّق بالمؤمنين . فقد خاطب الله تعالى المتّقين بدعوتهم إلى المسارعة فقال : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ ﴾ ، بينما خاطب المؤمنين بدعوتهم إلى المسابقة فقال : ﴿ سَابِقُوٓاْ ﴾ ، والفرق بينهما هو: أنّ المتّقين اتصفوا بصفات حميدة هي محل تنافس دائم ، لذلك لم يحثّهم عليه لحصوله منهم ، وعلى خلاف ذلك ، فإنّ المؤمنين لم يحصل منهم التقدّم في الرتبة ، والارتفاع بالمكانة ، لذلك حثّهم على السباق ، فإذا حصل منهم شملهم الخطاب الداعي إلى الإسراع .

الوجه الثاني : اختلاف الرتب كان سببا في اختلاف الثواب الموعود في الموضعين ، ففي الآية الأولى حينما خاطب الله سبحانه المتقين قال : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ ، وفي الآية الثانية حينما خاطب المؤمنين قال : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ، وهذا يتضمّن الفرق بين الجنّتين من حيث السعة ، فما الفرق بين السماء والسموات وأيها أوسع ؟ .

1ـ ملاك التأويل ، ص122 .

2ـ تفسير الرازي ، ج29/ ص235 .

لقد كان للعلماء ـ في تحديد الفرق بين السماء والسماوات من حيث السعة ـ أقوال كثيرة نذكر منها قولين بارزين لتعلقهما **بسياق الآيتين** :

الأول منهما : **أنّ** السماوات أوسع وأبلغ من السماء ، وحجّتهم في ذلك أن السماوات جمع ، والسماء مفرد ، والجمع أبلغ من الإفراد .

وهذا القول يتناسب مع دلالة السياق من وجهين :

الأول : على قدر الأعمال يكون الجزاء ، فأعمال المتقين أعظم من أعمال المؤمنين ، لذلك كان ثوابهم أعظم ، قال البقاعي ـ رحمه الله ـ : " **ولما** كان السياق كما بينا **للتجرد عن فضول الأموال فقط** ؛ لأن الموعود به دون ما في آل عمران فأفرده وصرح بالعرض فقال : ﴿ كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي لو وصل بعضها ببعض ، فآية آل عمران تحتمل الطول وجميع السماوات والأرض على هيئتها "[1].

الثاني : أنّ ثواب المتّقين حاصل لدى المؤمنين بما قدّموا ، ولكن لما حثّهم الحقّ سبحانه وتعالى على المزيد حسن هنا أن يعطيهم المزيد ، فكان الحثّ على تقديم الأفضل مقترنا بالوعد بالأفضل .

القول الثاني : أنّ السماء أوسع من السماوات ، وحجّتهم في ذلك أنّ السماوات جزء من أجزاء السماء ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾[2].

1ـ نظم الدرر ،ج19 ص292 .

2ـ النمل / 75 .

قال السيوطي ـ رحمه الله ـ في تفسيرها عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : " **ما من** شيء في السماء والأرض سرا وعلانية إلا يعلمه "[1] .

فقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ ﴾ **يفيد العموم** ؛ أي جميع الأفعال والأقوال والحوادث الظاهرة والباطنة وهذه لا بد أن يحويها مكان متسع ، فعبر عنه بالسماء فدل على أنها أوسع من السماوات .

ونظير هذا قول الله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ ﴾[2] ، **مع قوله** : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[3] .

فالقول أوسع من السرّ ؛ لأن القول يتألف من سرٌ وعلن يعني إذا قلت في نفسك شيئا يصير سراً ، فلما قال : ﴿ يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ بين محله فقال : ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ ؛ لأنها **أوسع ، ولما قال** : ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ ﴾ **وهو جزء** بين محله فقال : ﴿ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ .

ومناسبة هذا القول لدلالة السياق هو أنّ الآية التي في سورة الحديد أعدت الجنة فيها للذين آمنوا بالله ورسله وهم أكثر عددا من المتقين الذين ذكروا سورة آل عمران ، فلما كثُر عدد المؤمنين استعمل لفظة "السماء" التي تدل على الاتساع ، **أما** في سورة آل عمران فالأمر مختلف ؛ لأنه خصّ بذلك الثواب عباده المتقين فقط وهم أقل عددا من المؤمنين ، فاستعمل لفظة "السماوات" التي تدل على اتساع أقل من اتساع "السماء " .

1ـ الدر المنثور ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، الناشر : دار الفكر – بيروت ، 1993 ، ج6 / ص376 .

2ـ الأنبياء / 4 .

3ـ الفرقان / 6 .

ومن هنا ندرك السرّ في مجيء كاف التشبيه في الثانية وحذفها في الأولى وهو دليل آخر بقوي ما ذكره أصحاب القول الثاني بأن السماء أوسع من السموات فجاء بكاف التشبيه في قوله : ﴿ كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ؛ لأن المشبه دون المشبه به ، فالمشبه هو الجنة والمشبه به السماء والأرض ، فلما اتسعت اتساعاً هائلاً جداً شبّه ولما حدّد لم يحتاج التشبيه فقال : ﴿ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ دون كاف التشبيه .

فنلاحظ من خلال ما ذكر أنه سبحانه وتعالى قال : ﴿ سَابِقُوٓاْ ﴾ وهي المسارعة وزيادة ، وقال : ﴿ كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ ﴾ وهي السماوات وزيادة ، وقال : ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهم المتقون وزيادة ، ثم زاد : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ .

وهو الوجه الثالث من أوجه الاختلاف بين الآيتين ، والجواب عنه من وجهين :

الأول : إدخال عموم الذين آمنوا بالله ورسله في ثوابه هو أكثر تفضلا من إدخال المتقين ؛ لأنّ الفضل الكبير جداً ؛ أن يُدخل الله ـ جلّ شأنه ـ الجنة كل عبد آمن بالله ورسله ، فلأجل هذا الفضل العظيم تعقب آية الحديد قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ .

الثاني : أنّ دخول الجنة بمجرد الإيمان بالله ورسوله ومع التجرد من الأعمال الصالحة التي جاء ذكرها في صفات المتقين ، هو من فضل عظيم خصّ به الله سبحانه

وتعالى هذه الأمة دون غيرها من الأمم ، قال البقاعي ـ رحمه الله ـ : " ولعلّ التعبير بالمضارع للإشارة إلى هذا خاص بهذه الأمة التي هي أقل عملاً وأكثر أجراً "[1] .

المثال الثاني :

1. قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣ ﴾[2] .

2. ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ ﴾[3] .

تختلف الآية الأولى عن الثانية من وجهين:

الوجه الأول : اختلاف الأمرين ففي آية الأنبياء أمرهم بـ " العبادة " فقال : ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ ، وفي آية " المؤمنون " أمرهم بالتقوى فقال : ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ .

ذكر أهل العلم في توجيه هذا الاختلاف أجوبة كثيرة تتناسب مع مفهوم اللفظتين من جهة ، ودلالة السياق من جهة أخرى ، نذكر من هذه الأجوبة قولان بارزان :

1ـ نظم الدرر ، ج19/ ص294.

2ـ الأنبياء / 92ـ93 .

3ـ المؤمنون / 52 ـ 53 .

القول الأول : أن التقوى أخصّ من العبادة ، والمأمور بالتقوى أخصّ من المأمور بالعبادة ، وقد دلّ سياق الآيتين على هذا التوجيه ؛ حيث جاء الخطاب في آية "الأنبياء" موجها للكفار ، والكافر يؤمر بالعبادة ابتداء فلذلك قال : ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾، وأما الخطاب في آية "المؤمنون" فقد كان موجها للرسل ومن تبعهم من عباد الله المؤمنين وهؤلاء يؤمرون بالتقوى لحصول العبادة منهم ، ولهذا قال : ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ .

قال الكرماني ـ رحمه الله ـ : " لأن الخطاب في هذه السورة للكفار فأمرهم بالعبادة التي هي التوحيد .. وفي المؤمنين الخطاب للنبي ﷺ وللمؤمنين بدليل قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾[1] ، والأنبياء والمؤمنون مأمورون بالتقوى "[2].

وقال البقاعي ـ رحمه الله ـ : " ولما كان الخطاب في هذه السورة كلها للخلص من الأنبياء ومن تبعهم من المؤمنين ، قال : ﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾ أي اجعلوا بينكم وبين غضبي وقاية من جمع عبادي بالدعاء إلى وحدانيتي بلا فرقة أصلاً ، بخلاف سورة الأنبياء المصدرة بالناس فإن مطلق العبارة أولى بدعوتها "[3].

القول الثاني : أنّ اختلاف اللفظتين هو من قبيل تنوع أساليب الدعوة إلى الله عز وجل من حيث الترغيب والترهيب ، فالأمر بالعبادة من باب الترغيب والأمر بالتقوى من قبيل الترهيب ، وقد دلّ السياق في الآيتين على الأسلوبين ، قال أبو حيان ـ رحمه الله ـ

1ـ المؤمنون / 51 .

2ـ أسرار التكرار في القرآن ، ص143 .

3ـ نظم الدرر ، ج13/ ص156 .

: "وجاء هنا : ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ وهو أبلغ في التخويف والتحذير من قوله في الأنبياء : ﴿ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ ؛ لأنّ هذه جاءت عقب إهلاك طوائف كثيرين من قوم نوح ، والأمم الذين من بعدهم وفي الأنبياء وإن تقدمت أيضاً قصة نوح وما قبلها فإنه جاء بعدها ما يدل على الإحسان واللطف التام في قصة أيوب ويونس وزكريا ومريم ، فناسب الأمر بالعبادة لمن هذه صفته تعالى "[1] .

وقال ابن الزبير ـ رحمه الله ـ : " إذا اعتبرنا ما قدم من قصص الرسل في السورتين وجدنا الوارد في سورة الأنبياء مقصوراً على ذكر منحهم وتخليصهم وتأييدهم من لدن قوله تعالى في إبراهيم : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ ﴾[2]، وقوله : ﴿ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣ ﴾[3]، فتضمنت هذه الآي بضعة عشر نبياً ، أولهم إبراهيم وآخرهم من أعقب ذكره بالآية المذكورة ، وقد اقتصر من قصصهم في هذه الآي على ما يطلع المؤمنين على تكفله سبحانه بالمصطفين من عباده وما اختصهم به ، ولم يرد مع ذلك تكذيب قومهم لهم ، ولا ما يرجع إلى هذا وكل هذا تأنيس وذكر نعم وآلاء وألطاف يناسبها قوله : ﴿ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ لكونه أمراً بالعبادة مجرداً عما في قوله : ﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾ من التخويف.

وأما الوارد في سورة طه فمتضمن الطرف الذي عدل عنه في سورة الأنبياء ، وهو ذكر جواب الأمم للرسل وقبيح تكذيبهم إياهم وشنيع ردهم وقبيح مقالهم كقول قوم نوح ، عليه السلام : ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ

1ـ البحر المحيط ، ج6 / ص377 .

2ـ الأنبياء/ 51 .

3ـ الأنبياء / 73 .

لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾[1]، ثم بالغوا في الاستهزاء بقولهم في إخبار الله تعالى عنهم : ﴿ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[2] ، وقول أهل القرون المذكورين بعد قوم نوح لنبيهم : ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[4] إلى قوله : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[5] ، وقوله تعالى لما تواتر ذكر إرسال الرسل وتكذيب قومهم لهم فقال تعالى : ﴿ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[6] ، وقال تعالى مخبراً عن قوم موسى : ﴿ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[7]، فناسب هذا التخويف بقوله عقب هذا : ﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾ ، كما ناسب ما تقدم في آية سورة الأنبياء قوله تعالى : ﴿ فَٱعْبُدُونِ ﴾ ، ولم يكن ليناسب ورود واحدة منها موضع الأخرى ، فجاء كل على ما يجب ، ولا يمكن خلافه"[8].

1ـ المؤمنون / 24ـ25 .

2ـ المؤمنون / 25 .

3ـ المؤمنون / 33 .

4ـ المؤمنون / 34 .

5ـ المؤمنون / 38 .

6ـ المؤمنون / 44 .

7ـ المؤمنون / 46 .

8ـ ملاك التأويل ، ج2 / ص354 .

الوجه الثاني : الفرق بين قوله في سورة الأنبياء ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ ، وفي سورة المؤمنون ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ بفاء التعقيب .

وللإجابة عن هذا الاختلاف لا بد من تحديد وظيفة كل حرف ـ الفاء والواو ـ في اللفظتين ، مع بيان أثر السياق على ذلك .

أما الفاء من قوله : ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ في سورة المؤمنون فوظيفتها الترتيب والتعقيب ، قال الألوسي ـ رحمه الله ـ : " والفاء لترتيب عصيانهم على الأمر لزيادة تقبيح حالهم "[1] .

وقال أبو حيان ـ رحمه الله ـ : " وجاء هنا ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ بالفاء إيذاناً بأن التقطيع اعتقب الأمر بالتقوى ، وذلك مبالغة في عدم قبولهم وفي نفورهم عن توحيد الله وعبادته "[2] .

وهذا المعنى يتناسب مع ما سيقت الآية لأجله من ترهيب لأعداء الله وتخويفهم جراء كفرهم وعنادهم ، قال ابن الزبير ـ رحمه الله ـ : " ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم ﴾ أي فتفرقوا وما أجدي عليهم القرآن شيئاً ، فهذه الآية أشد في التخويف والترهيب من الأخرى ، وكل يناسب ما قبله ، ولو وردت إحداهما موضع الأخرى لما ناسب "[3] .

1ـ روح المعاني ، ج18 / ص41 .

2ـ البحر المحيط ، ج6 / ص377 .

3ـ ملاك التأويل ، ج2 / ص355 .

وأما الواو من قوله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ في سورة الأنبياء فجاءت لمطلق الجمع دون العناية بالترتيب والتعقيب ، قال الكرماني ـ رحمه الله ـ : " قال : ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ بالواو ؛ لأن التقطع قد كان منهم قبل هذا القول لهم "[1].

وهذا المعنى المترتب عن واو العطف هو إلى التأنيس والترغيب أقرب منه إلى التخويف والترهيب وهذا ما دل عليه سياق الآية ، قال ابن الزبير ـ رحمه الله ـ : " ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم ﴾ أي نبهناهم على السؤال ، وأوضحنا لهم أمر من تقدمهم وعاقبة الاستجابة لمن تمسك بهدي المذكورين ، وهم مع ذلك على عنادهم وافتراقهم، وكأن الكلام وارد مورد التعجب من أمرهم ، ولم يشبه شدة الوعيد ليبقى رجاؤه ، عليه السلام ، في استجابتهم ، فلم يخل معنى الكلام مع الإخبار بتفرقهم عن بعض إبقاء تأنيس مناسباً لما تقدمه ، ولهذا لم يقع بعد الآية تسجيل بتصميم على الكفر ولا إمعان في طرف التخويف الوارد في آية المؤمنون من قوله : ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٣] إلى قوله : ﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ٥٦ ﴾ [2] كما في آية الأنبياء آنفاً"[3].

1ـ أسرار التكرار في القرآن ، ص143 .

2ـ المؤمنون / 53ـ56 .

3ـ ملاك التأويل ، ج2 / ص354 .

المثال الثالث :

1. قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾(1).

2. وقال في الأعراف : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾(2).

تختلف آية البقرة عن آية الأعراف من وجوه كثيرة نذكر منها :

أولا : قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ في سورة البقرة على البناء للمعلوم ؛ لأنّه جاء في سياق الخطاب المتضمن تكريم بني إسرائيل وتفضيلهم قال السيوطي ـ رحمه الله ـ : " ونكتته أن آية البقرة في معرض ذكر النعم عليهم ، حيث قال يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي إلى آخره فناسب نسبة القول إليه تعالى "(3).

وفي سورة الأعراف قال : ﴿ وَإِذْ قِيلَ ﴾ على البناء لما لم يسمى فاعله ؛ لأنّه جاء في سياق الإخبار عنهم وعن جرائمهم مما يؤذن بغضب الله عليهم وتوبيخه لهم ، قال

1ـ البقرة/ 58 .

2ـ الأعراف / 161 .

3ـ الإتقان ، ص 643 .

السيوطي ـ رحمه الله ـ : " وآية الأعراف افتتحت بها فيه توبيخهم وهو قولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ثم اتخاذهم العجل فناسب ذلك ﴿ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ﴾ "[1].

وقال البقاعي ـ رحمه الله ـ : " وعدل عن الإكرام بالخطاب ونون العظمة ؛ لأن السياق للإسراع في الكفر .. وعبر هنا بالمجهول في ﴿ قِيلَ ﴾ إعراضاً عن تذليلهم بالخطاب إيذاناً بأن هذا السياق للغضب عليهم بتساقطهم في الكفر وإعراضهم عن الشكر "[2].

ثانيا : في آية البقرة عبر عن الأمر بلفظ الدخول: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ﴾ ، بينما عبر عنه في الأعراف بلفظ الإسكان : ﴿ ٱسۡكُنُواْ ﴾ ، والفرق بينهما لا يعدو كونه بيان لما أجمل ، قال ابن الزبير ـ رحمه الله ـ : " إن أمرهم بدخول القرية مغاير من حيث المعنى لأمرهم بسكناها وإن كان الأمر بدخولهم قد يشير بما نسق معه إلى سكناها لكن ليس نصا بل ولا هو ظاهر ، فبينت آية الأعراف ذلك وأوضحت المقصود ، وحصل الأمر بالدخول والسكنى وتبين وجه ورود العبارتين على الترتيب "[3].

ثالثا : قال في آية البقرة : ﴿ فَكُلُواْ ﴾ بفاء التعقيب الدالة على الفور والتتابع وهي مناسبة لما دّل عليه لفظ " الدخول " قبلها وتعلقها به ، قال الخطيب ـ رحمه الله ـ : " والأصل في ذلك أنّ كلّ فعل عطف على عليه ما يتعلّق به تعلّق الجواب بالابتداء ، وكان الأول مع الثاني بمعنى الشرط والجزاء ، فالأصل فيه عطف الثاني على الأول بالفاء دون الواو كقوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ .. ﴾ فعطف ((كلوا)) على ((

1ـ الإتقان ، ص643 .

2ـ نظم الدرر ، ج8 / ص135 .

3ـ ملاك التأويل ، ج2 / ص354 .

ادخلوا ›› بالفاء لمّا كان وجود الأكل منها متعلقا بدخولها ، فكأنه قال : إن دخلتموها أكلتم منها ، فالدخول موصل إلى الأكل ، والأكل متعلّق وجوده بوجوده"[1].

وقال الكرماني ـ رحمه الله ـ : " قوله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ ﴾ ؛ لأنّ الدخول سريع الانقضاء فيتبعه الأكل "[2].

وفي آية الأعراف قال : ﴿ وَكُلُواْ ﴾ بحرف العطف ‹‹الواو›› الذي لا يدّل على التعقيب والترتيب كما بينا آنفا[3].

ويتناسب هذا النوع من العطف مع لفظ ‹‹الإسكان›› في قوله : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ ﴾ الذي يحمل معنى الدخول مع طول المكث ، قال البقاعي ـ رحمه الله ـ : " ولما خلت نعمة الأكل في هذا السياق عما دعا إليه سياق البقرة من التعقيب وهو الاستعطاف ، ذكرت بالواو الدالة على مطلق الجمع "[4].

رابعا : ثبوت كلمة ‹‹رَغَدًا›› في آية البقرة ، وسقوطها من الأعراف .

وتفسير ذلك من ثلاثة وجوه دلّ عليها السياق :

الوجه الأول : أنّ آية البقرة جاءت في سياق امتنان الله عز وجل على بني إسرائيل بما خصّهم به من الفضائل والنعم التي دلّ عليها إسناد الفعل إلى نفسه تعالى : بقوله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ ، فأتمها بقوله : ﴿ رَغَدًا ﴾ أي واسعا طيّبا ، بخلاف ما جاء في الأعراف من إسناد الفعل إلى ما لم يسمى فاعله تحقيرا لهم وتوبيخا على فعالهم ، فكان سقوط ‹‹الرغَد ›› مناسبا لما سيق ، قال الخطيب ـ رحمه الله ـ : "لما أسند الفعل إلى نفسه ـ

1ـ درة التنزيل ، ج1 / ص222 ـ 223 .

2ـ أسرار التكرار في القرآن الكريم ، ص28 .

3ـ في الصفحة 258 .

4ـ نظم الدرر ، ج 8/ ص135ـ136 .

تعالى ـ كان اللفظ بالأشرف الأكرم ، فذكر معه الإنعام الأجسم ، وهو أن يأكلوا رغدا ، ولما لم يسند الفعل في سورة الأعراف إلى نفسه لم يكن مثل الفعل في سورة البقرة ، فلم يذكر معه ما ذكر فيها من الإكرام الأوفر ، وإذا تقدم اسم المنعم الكريم اقتضى ذكر نعمته الكريمة "[1] .

الوجه الثاني : أنّ تعقيب الأكل لمطلق الدخول في آية البقرة يُشعر بلذة الطعام وشدّة التلهف له ، فناسب هذا المعنى إثبات كلمة ((رَغَدًا)) فيها ، وسقطت في الأعراف ؛ لأنّ سياق الآية مع ما يتضمنه لفظ ((الإسكان)) من طول المكث لا يُشعر بالترتيب والتعقيب مما يقلّل من شدّة شوقهم إلى الطعام ، قال صاحب اللباب : " وأمّا قوله هناك « رَغَدًا » ولم يذكره هنا ؛ لأنَّ الأكْلَ عقب دخول القرية يكون ألذ ؛ لأنَّهُ وقت الحاجة الشديدِة ، فلذلك ذكر رَغَدًا وأما الأكل حالة السكنى ، فالظاهِرُ أنّ الحاجة لا تكونُ شديدة "[2] .

التوجيه الثالث : أنّ مدلول كلمة ((اسكنوا)) في الأعراف يغني عن ذكر الرّغد ؛ لأنّ الأكل المستمر من غير مزاحم لا يكون إلا رغداً واسعاً ، قال ابن الزبير ـ رحمه الله ـ : " والجواب عن الثالث : وهو ورود قوله : ((رَغَدًا)) في البقرة وسقوط ذلك في الأعراف أن تحته معنى مقصودا لا يحصل من شيء مما ورد في الآية وانطوت عليه من الكلام ، بخلاف آية الأعراف فإن مفهوم السكنى وهو الملازمة والإقامة مع الأمر بالأكل حيث شاؤوا مع انضمام معنى الامتنان والإنعام المقصود في الآية كل ذلك مشعر ومعرف بتمادي الأكل وقوة السياق مانعه من التحجير والاقتصار فحصل معنى الرغد

1ـ درّة التنزيل ، ج1/ ص237 .

2ـ اللباب ، ج1/ ص237 .

فوقع الاكتفاء بهذا المفهوم الحاصل قطعا من سياق آية الأعراف ولو لم يرد في سورة البقرة لم يفهم من سياق الآية كفهمه من سياق آية الأعراف "[1].

ويعترض هذا التوجيه والذي قبله ، أنّ الله سبحانه وتعالى أمر آدم ـ عليه السلام ـ بسكنى الجنّة لا بدخولها ومع ذلك وصف أكلها بالرغد الواسع فقال : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾[2].

قال الآلوسي ـ رحمه الله ـ : "ويرد على القولين أنه ذكر ﴿ رَغَدًا ﴾ مع الأمر بالسكنى في قصة آدم عليه السلام ، ولعل الأمر في ذلك سهل "[3].

خامسا : التقديم والتأخير في بعض الكلمات ، ففي سورة البقرة قال : ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾ ، وفي الأعراف:﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ .

وتوجيه ذلك أن آية البقرة جاءت في سياق تعداد النعم ، فناسب ذلك تقديم ذكر السجود لله ـ عز وجل ـ على هذه النعم[4] ، وأما آية الأعراف فقد جاءت في سياق بيان عصيان بني إسرائيل وكثرة ذنوبهم ، فناسب ذلك تقديم طلب حط الذنوب على الأمر بالسجود ، قال البقاعي ـ رحمه الله ـ : وقدم ﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾ ليكون أول قارع للسمع مما أمروا به من العبادة مشعراً بعظيم ما تحملوه من الآثام ، إيذاناً بما سيقت له هذه القصص في هذه السورة المقام "[5].

1ـ ملاك التأويل ، ج1/ ص45 .

2ـ البقرة/ 35 .

3ـ ملاك التأويل ، ج1/ ص45 .

4ـ درّة التنزيل ، ج1/ ص237 .

5ـ نظم الدرر ، ج 8/ ص135ـ136 .

إنّ موضوع الإعجاز البياني يبحث في تقرير أصل من أصول الإسلام ، وركن من أركانه العظام ، يتمثل في الإيمان بكتاب الله ـ عز وجل ـ المنزل على رسوله ﷺ ، فالقرآن الكريم هو معجزة الله ـ عزّ وجلّ ـ في أرضه ، وهو للمسلمين أساس عقيدة، ومنهج تدبير ، ودستور حياة .

ومن بديع إعجازه أنّه كتاب لا تنقضي عجائبه ، ولا تفنى دلائله وبراهينه ، يتكرر مع كلّ قراءة منه فائدة ، ومع كلّ بحث ودراسة حوله نتائج وبراهين تدّل على أنّه حقا من كلام رب العالمين .

وهذا ما خَلُصَتْ إليه دراستي التي كان محورها علم من أدقّ العلوم ـ تمثل في علم السياق القرآني ـ وكيف يمكن له أن يبرز أسرار موضوع التكرار الذي كان ولازال محل نقد ونقيصة يُستنقص بها كتاب الله ـ عزّ وجل ـ ؟.

وكانت خلاصة بحثي قائمة على نتائج وتوصيات :

أما النتائج : فيمكن حصرها فيما يلي :

- ❖ التكرار عند المتقدمين والمتأخرين عنصر من أهم عناصر الإعجاز القرآني ، وإن تعددت أغراضه وفوائده .
- ❖ التوكيد غرض من أهم أغراض التكرار في القرآن الكريم ، لكنه يُقصد تبعًا لا أصالة في مناسبات كثيرة ، ويدل على ذلك السياق .

❖ يعد السياق ؛ الحَكَمُ الفصل بين الآراء العديدة ، والأقوال الكثيرة حول ما تكرر من آي في القرآن الكريم ، ولا يجوز العدول عنه ؛ لأنه من قبيل تفسير القرآن بالقرآن .

❖ كل الموضوعات المتعلقة بالإعجاز البياني تفتقر إلى السياق في بيان مدلولاتها ، وإبراز أسرارها .

❖ أنّ السياق ليس حِكرا على علم التفسير وعلوم القرآن فقط ، بل استعمله الأصوليون والفقهاء ـ أيضا ـ في التدليل على كثير من مسائل العلم .

وأما التوصيات فأذكر منها :

1. ينبغي على طلاب قسم الشريعة عموما ، والدراسات القرآنية خصوصا الاهتمام بموضوع السياق في تفسير كثير من الظواهر البيانية التي يزخر بها القرآن الكريم .

2. من المباحث التي يلعب السياق دورا بارزا في بيان أسرارها ؛ القصص القرآني ، والأمثال القرآنية ، فلو خصص الطالب دراسات حول هذه الموضوعات ، وأعمل السياق في توجيهها لنجلى الغبار عن كثير من أسرارها .

3. محاولة تسليط الضوء على بعض التفاسير التي تعتمد على دلالة السياق في الترجيح بين الآراء ، على غرار تفسير ابن جرير الطبري ، وابن كثير ..وغيرهم .

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أـ فهرس الآيات

اسم السورة ونصوصها	رقم الآية	الصفحة
الفاتحة		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾	2	44
﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾	4	44
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾	5	44
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾	7	44
البقرة		
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾	275	10
﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ..﴾	164	47
﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ﴾	237	59
﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾	226	67
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ..﴾	159	79
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ ..﴾	174	79
﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى ..﴾	275	102
﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾	96	91

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ﴾	167	94
﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾	238	131
﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ .. ﴾	48-47	154
﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ .. ﴾	123-122	155
﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ .. ﴾	121	155
﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ **ٱلْحَقِّ** بِإِذْنِهِۦ ﴾	213	188
﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ **فَٱذْكُرُواْ** ٱللَّهَ .. ﴾	198	205
﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾	200	206
﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾	203	206
﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾	151	207
﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾	185	208
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾	5	209
﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾	3	211
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾	4	211
﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾	36	231
﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾	38	231
﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾	36	231
﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	30	233
﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا .. ﴾	85	248

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا .. ﴾	35	252
سورة آل عمران		
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم .. ﴾	102	أ
﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا .. ﴾	39	54
﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ .. ﴾	121	65
﴿ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾	122	65
﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ .. ﴾	83	65
﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾	75	75
﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾	187	79
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ .. ﴾	104	103
﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ .. ﴾	26	140
﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ .. ﴾	11-10	153
﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾	7	177
﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ .. ﴾	133	236-186
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ .. ﴾	135	186
﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ﴾	86	188
﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾	42	198-197
﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ ﴾	33	199
﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا .. ﴾	188	235
سورة النساء		

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا .. ﴾	1	أ
﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ ﴾	25	16
﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا .. ﴾	25	16
﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ .. ﴾	141	22
﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾	141	22
﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا .. ﴾	9	23
﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ .. ﴾	89	34
﴿ وَلِأَبَوَيْهِ ﴾	11	41
﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	84	61
﴿ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	74	61
﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	75	61
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾	10	75
﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾	37	79- 78
﴿ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا .. ﴾	37	93
﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ ﴾	128	139
﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ ﴾	153	140
﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ ﴾	36	230
المائدة		
﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي .. ﴾	116	85 -16
﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾	109	16
﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ ﴾	45	59
﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾	45	140

الأنعام

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ	82	14
﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ ﴾	21	15
﴿ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ ﴾	57	27
﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا ﴾	164	48
﴿ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ ﴾	151	62
﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ ﴾	141	75
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ .. ﴾	38	80
﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ ..	101-100	81
﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ ﴾	62	187
﴿ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ ﴾	158	229

سورة الأعراف

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾	11	24
﴿ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾	11	25
﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ .. ﴾	163	66
﴿ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾	98-97	121
﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	144	199
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾	179	210
﴿ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ	161	248

..سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾		
سورة الأنفال		
﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ .. لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾	8-7	127
﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ .. ﴾	52	149
﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ .. ﴾	54	149
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا ﴾	53	151
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ.. ﴾	50	153
سورة التوبة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾	38	33
﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	5	76
﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا ﴾	37	90
﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ ﴾	52	141
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ .. ﴾	73	162-160
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ ..	74-73	160
سورة يونس		
﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ..﴾	34	41

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ﴾	35	56
﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٨) ﴾	48	163
﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ .. ﴾	46	163
﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾	32	194 -187
﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ .. ﴾	46	
﴿ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾	94	189
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾	108	189
﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ .. ﴾	35	189
﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ (١) ﴾	1	189
﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ .. إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾	17-15	190
﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ .. وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾	40-37	191
﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾	20	192-191
﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾	37	192
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ .. هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾	58-57	193
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ .. وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾	109-108	194
﴿ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾	30	194
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ... ﴾	3	194

سورة هود

﴿ أو آوى إلى ركن شديد ﴾	80	19
﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾	17	27

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا .. ﴾	69	35 - 34
سورة يوسف		
﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾	6	177
﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ .. ﴾	21	178
﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾	36	178
﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾	37	178
﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤) ﴾	44	178
﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾	45	178
﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾	100	178
﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾	101	180-178
﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا .. ﴾	4	179
سورة الرعد		
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥) ﴾	5	216
سورة إبراهيم		
﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾	10	48
سورة الحجر		
﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾	24-23	71 - 70 -69
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥) ﴾	25	70
سورة النحل		

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ ﴾	44-43	27- 169
﴿ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ ﴾	29	59
﴿ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ ﴾	88	139
سورة الإسراء		
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا .. ﴾	88	ب
﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ ﴾	97	38
﴿ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ ﴾	31	62
﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ﴾	23	75
﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ ﴾	49	218
﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾	98	218
﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾	98	219
﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴿٩٧﴾ ﴾	97	220
سورة الكهف		
﴿ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴾	85	21
﴿ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴾	89	21
﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ ﴾	57	170
﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ .. ﴾	56	171
﴿ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾	82	177
﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ ﴾	63	206

		سورة مريم
60	69	﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾
73	24	﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾
73	22	﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾
73	29	﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾
172	37	﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾
		سورة طه
2	40	﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾
27	133	﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾
154	127	﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾
		سورة الأنبياء
67	11	﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾
164	37	﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾
164	37	﴿ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾
164	36	﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾
165	37	﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾
182	7	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ.. ﴾
185-169	35	﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴿٣٥﴾ ﴾
240	4	﴿ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾
242	93-92	﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾	51	244
﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾	73	244
سورة الحج		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ..وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾	7-5	84-83
﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾	37	208
سورة المؤمنون		
﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾	36	135
﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾	61	237
﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾	53-52	242
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾	51	243
﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ ..﴾	25-24	245
﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾	33	245
﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾	34	245
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾	38	245
﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ إلى قوله : ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾	44	245
﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾	46	245
﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ إلى قوله : ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾	56-53	247

سورة النور		
﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ ﴾	3	47
سورة الفرقان		
﴿ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾	19	84
﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ..وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ١٨ ﴾	18-17	85
﴿ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾	6	240
سورة الشعراء		
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	9	143
سورة النمل		
﴿ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ﴾	23	76
﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	71	165
﴿ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ٧٢ ﴾	72	165
﴿ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٧٥ ﴾	75	239
سورة القصص		
﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ .. أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾	72-71	58

سورة العنكبوت		
﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ ﴾	64	64
﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٦٢ ﴾	62	65
سورة الروم		
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ﴾	54	139
سورة لقمان		
﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾	13	14
﴿ الٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ .. أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾	5-1	212
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ ... ﴾	6	212
سورة السجدة		
﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا .. ﴾	22	171-170
﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ٢٢ ﴾	22-12	171
﴿ وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾	13	188
سورة الأحزاب		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا .. ﴾	71-70	أ
سورة سبإ		

﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾	14	3
﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ..بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾	41-40	85
﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾	28	166
﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	29	166
﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا .. ﴾	8 -7	169
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ .. ﴾	11-10	182
﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ .. ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾	13-12	183
﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾	13	208
سورة فاطر		
﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ﴾	40	27
﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾	45	41
سورة الصافات		
﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾	175-174	224
﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾	179-178	224
﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾	177-176	226
سورة ص		
﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ ﴾	2-1	181
﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾	17	180
﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾	19	180

﴿ ووهبنا لداود سليمن نعم العبد إنه أواب ﴾	30	183 -180
﴿ وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدنه صابرا نعم العبد إنه أواب ﴾	44	180
﴿ فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مئاب (٢٥) ﴾	25	185 -181
﴿ وإن له عندنا لزلفى وحسن مئاب (٤٠) ﴾	40	185-181
﴿ هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مئاب (٤٩) ﴾	49	186-181
﴿ هذا وإن للطغين لشر مئاب (٥٥) ﴾	55	181
﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد .. ﴾	13-12	182
﴿ قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ﴾	35	184
﴿ إنا وجدنه صابرا نعم العبد إنه أواب (٤٤) ﴾	44	184
﴿ هذا وإن للطغين لشر مئاب (٥٥) جهنم يصلونها فبئس المهاد ﴾	56-55	186
﴿ لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴾	85	186
﴿ إلا إبليس استكبر وكان من الكفرين .. خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾	76-74	186
سورة الزمر		
﴿ والسموت مطويت بيمينه ﴾	67	75
سورة غافر		
﴿ وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحب النار ﴾	6	188
سورة الزخرف		
﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجوىهم ﴾	80	114
﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾	84	139
﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم (٦٥) ﴾	65	172 -53

﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾	63	186 - 53
سورة الدخان		
﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾	49	86- 81
﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ .. ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٨ ﴾	48-43	87
سورة الأحقاف		
﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا ﴾	25	76
سورة الفتح		
﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾	4	221
﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾	7	221
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	4	221
﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴾	5	222
سورة الذاريات		
﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾	50	227
﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾	51	228
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	56	230
سورة الرحمن		
﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾	13	-101 -116-113 144-123
﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾	4-3	ب
﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴾	26	41

﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴾	68	114
﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴾	11	131
﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾	60	140
﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴾	17	145
﴿ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ .. ﴾	35	158
سورة الحديد		
﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾	25	27
﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ .. ﴾	21	237
سورة المجادلة		
﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١ ﴾	21	47
سورة الحشر		
﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾	8	11
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾	18	201-198
سورة الصف		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾	10	2
سورة المنافقون		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾	9	64
سورة التغابن		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ .. فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾	14	131

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾	9	174-173
﴿ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ـَمَ.. ﴾	7-6	174
سورة الطلاق		
﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾	11	174
سورة التحريم		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾	9	160
سورة الملك		
﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾	4	142
﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ .. وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾	24 -23	169-168
سورة القلم		
﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ .. ﴾	13-10	203
سورة المدثر		
﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ﴾	20-19	136-128
سورة القيامة		

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ .. ﴾	40-36	84
﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾	35-34	-134–128 201
سورة المرسلات		
﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ ﴾	19	101 -56 148-140-
سورة النبأ		
﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾	26	149
سورة عبس		
﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ .. ﴿٢١﴾ ﴾	21-17	55
سورة البروج		
﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾	13	52
﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾	10	53
سورة الطارق		
﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾	8	82
﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ ﴾	9	83
سورة الأعلى		
﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ .. ﴾	4-1	203
سورة الفجر		
﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ ﴾	21	135

سورة الشرح		
﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾	6-5	137-121
سورة التين		
﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ ﴾	5	71
﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾	7	72-71
سورة البينة		
﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾	4	27
سورة الزلزلة		
﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾	7	75
سورة القارعة		
﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ ﴾	3-1	117
﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ .. ﴾	5-4	117
سورة التكاثر		
﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾	4-3	-134 -137-121 201- 198
سورة الكافرون		
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾	1	113
سورة الإخلاص		
﴿قل هو الله أحد﴾	1	45

ب- فهرس الأحاديث

الصفحة	مقطع الحديث
6	((فجاء زوجها يسوق أعنزا ما تساوق))
14	((ليس ذاك إنما هـو الشـرك ألم تسمعوا قـول لقمان..))
26	((الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ))
27	((أَلَكَ بَيِّنَةٌ))
38	« إنَّ الذي أمشاهم على أقدامهم ..))
44	«الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني)) .
45	«أيعجز أحدكم أن يقرأ فى كل ليلة ثلث القرآن))
70-69	«كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، امرأة حسناء))
75	((قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ))
75	((إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن)).
87	((الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ))
87	((لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ))
91	((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد))
94	" الله الله والكَرَّة على نبيّكم "
130	" ما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني .."
179	أن أول ما ابتدئ رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة
222	« لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى الأَرْضِ..
199	((آدم فمن دونه تحت لوائي))

ت ـ فهرس الآثار

الصفحة	القائل	مقطع الأثر
22	علي رضي الله عنه	((أدنه .. يوم القيامة))
27	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	« الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي »
52	بن عباس رضي الله عنه	« إنه هو يُبْدِئُ العذاب ويعيده ».
52	ابن زيد رضي الله عنه	«إن الله أبدى خلقه))
138	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	فإنه ما ينزل بعبد مؤمن من منزله شدة إلا يجعل الله له بعدها فرجا
139	عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	" لو كان العسر في جُحْر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه..

ث ـ فهرس ترجمة الأعلام

العلم	الصفحة
أحمد بن إبراهيم بن الزبير	58
إبراهيم بن عمر البقاعي	49
إبراهيم بن موسى الشاطبي	13
أبو بكر الباقلاني	30
أبو بكر عبد القاهر الجرجاني	29
أبو بكر محمد بن أحمد بن أبى سهل السرخسي	9
أبو حيان الأندلسي	64
أبو سليمان الخطابي	114
أبو القاسم بن أحمد بن جزي الكلبي	15
أبو القاسم الزمخشري	8
أبو محمد السجلماسي	13
أبو الحسين أحمد بن فارِس	6
أبو هلال العسكري	94
أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني	20- 76
أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي	11
أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي	19

إسماعيل بن حماد الجوهري	20
إسماعيل بن عمر بن كثير	16
ابن الأثير : الجزري	100
ابن جني :أبو الفتح عثمان	118
ابن رشيق : أبو علي الحسن	124
ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم	110
ابن دقيق العيد	11
ابن عادل الحنبلي	192
ابن عطية الأندلسي	33
ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري	1
بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي	3
الجاحظ : أبو عثمان	107
جلال الدين السيوطي	12
الحرالي: أبو الحسين علي بن أحمد	157
الخليل بن أحمد الفراهيدي	95
فخر الدين الرازي	59
القرطبي : شمس الدين	45
الشريف الجرجاني	4
الراغب الأصفهاني	2
رضي الدين الأسترابادي	98

سعد بن محمد بن سعد حيص بيص	93
سعد الدين التفتزاني	33
شمس الدين الجوجري	202
عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي	16
علي بن أحمد بن حزم الأندلسي	4
محمد أبو السعود	195
محمد بن إدريس الشافعي	66
محمد بن جرير الطبري	22
محمد بن علي بن الطيب البصري	37
محمد بن محمد الغزالي أبو حامد	37
محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي	1
محمد مرتضى الزبيدي	23
محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الآلوسي	45
محي الدين محمد بن سليمان	88
المطرزي: أبو الفتح برهان الدين	94
نظام الدين النيسابوري	200

ج - فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص .

أ. الحديث وعلومه :

- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، الناشر : دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت .
- الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987 ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق .
- الجامع الصحيح سنن الترمذي ، المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون .
- سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار الكتاب العربي ـ بيروت
- شرح رياض الصالحين ، محمد بن صالح العثيمين ، دار العقيدة للتراث ، الطبعة الأولى ، 1423 هـ / 2002 م .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، مؤسسة قرطبة – القاهرة ، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها .
- المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ، الطبعة الثانية ، 1404 – 1983 ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي.

ب. والمعاجم

- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي ، دار الهداية.
- التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1405 ، تحقيق : إبراهيم الأبياري.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ) ، دار العلم للملايين- بيروت ، الطبعة : الرابعة- يناير 1990.
- العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، دار ومكتبة الهلال ، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي .
- الفروق اللغوية أبو هلال العسكري ، تنظيم: الشيخ بيت الله بيات ، مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، السنة : 1412 هـ .
- فلك القاموس ، عبد القادر الحسيني ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، الناشر دار الجيل ، بيروت ، سنة النشر 1414هـ 1994م .
- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي ، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة 1301هـ ، دار الطبع : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة : 1399هـ / 1979م ، ج 3/ ص365 .
- الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، عدد الأجزاء / 1 ، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م ، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى عدد الأجزاء : 15 ، ج 11/ ص247 .

- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، الطبعة طبعة جديدة ، 1415 – 1995 ، تحقيق : محمود خاطر .
- مختصر المعاني ، سعد الدين التفتزاني ، دار الفكر ، الطبعة : الأولى ، السنة : 1411هـ
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، المؤلف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي الناشر : المكتبة العلمية – بيروت .
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة ، وكامل المهندس ، الطبعة الثانية ، مكتبة لبنان 1984.
- المصطلحات الأدبية الحديثة– د/ محمد عناني ، الطبعة : الأولى ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، السنة : 1996.
- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة.
- المغرب في ترتيب المعرب ، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرزي ، مكتبة أسامة بن زيد – حلب ، الطبعة الأولى ، 1979
- مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا ، ت : عبد السَّلام محمد هَارُون، دار الفكر ، الطبعة : 1399هـ – 1979م.

ت. التفسير وعلوم القرآن :

- الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، طبعة جديدة محققة مخرجة الأحاديث للشيخ شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ، سنة : 1429 هـ ، 2008 م ، ص 779 .

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الأمثال في القرآن الكريم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، مكتبة الصحابة – طنطا ، الطبعة الأولى ، 1406 – 1986 ، تحقيق : إبراهيم بن محمد .
- أسرار ترتيب القرآن ، عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : 911هـ) ، دراسة وتحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار الاعتصام ، الطبعة الثانية ، 1398 هـ / 1978 م.
- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، بديع الزمان سعيد النّورسي ، تحقيق / إحسان قاسم الصالحي ، تقديم/ الدكتور محسن عبد الحميد أستاذ التفسير والفكر الإسلامي جامعة بغداد .
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1425 هـ/ 2005م .
- إعجاز القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب403هـ ، تحقيق السيد أحمد صقر ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ، دار المعارف بمصر – 1119 كورنيش النيل– القاهرة ج.م.ع.
- الإمَامُ البِقَاعِيّ جهادُه ومنهاجُ تأوِيله بلاغة القرْآن الكَرِيم ، محمود توفيق محمد سعد أستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف شبين الكوم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة : 1424هـ
- البحر المحيط ـ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض شارك في التحقيق 1) د.زكريا عبد المجيد

النوقي ، 2) د.أحمد النجولي الجمل ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت ، الطبعة : الأولى ، سنة : 1422 هـ،2001 م

- البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى 1376 هـ - 1957 م ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه .
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، د. محمد حسنين أبو موسى ، دار النشر: دار الفكر العربي ، القاهرة.
- تأويل مشكل القرآن ، للإمام أبي محمد عبد اللهّ بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت 276 هـ ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، السنة : 2007.
- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة : الأولى، 1420هـ/ 2000م .
- تفسير المنار ، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: 1354هـ) ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة النشر: 1990 م ، الطبعة الثانية ، عدد الأجزاء: 12 جزءا .
- التعبير الفني في القرآن ، بكري شيخ أمين ، دار الملايين بيروت ، لبنان ، الطبعة : السادسة ، سنة : 2001.
- التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، عمان ، الطبعة الرابعة ، سنة : 1427هـ/ 2006م .

- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 -774 هـ] ،سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ، 1420هـ / 1999 م .
- التفسير والمفسرون ، د / محمد حسين الذهبي ، الناشر : مكتبة وهبة ، الطبعة : 7 ، سنة 2000م.
- التسهيل لعلوم التنزيل ، أبي القاسم بن أحمد بن جزي الكلبي المتوفى سنة741 هـ ، ت: محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1415 هـ / 1995م .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، ت : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، السنة : 1420هـ -2000 م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرماني 386 هـ، والخطابي 388هـ ، وعبد القاهر الجرجاني 471هـ ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد ، ود.محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر- القاهرة ، الطبعة : الثالثة ، السنة : 1976 م .
- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671هـ) ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : 1423هـ/ 2003م .
- جامع البيان في تأويل القرآن ، المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، [224 - 310 هـ] ، المحقق : أحمد محمد شاكر ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ - 2000 م .

- حجة القراءات ، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية ، 1402 – 1982 .
- الدرر المنثور ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، دار الفكر - بيروت ، 1993 .
- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي ، دار النشر : مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة: الأولى ، السنة :1417هـ/ 1996م.
- دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1995 ، تحقيق : د.محمد التنجي .
- دلالة السياق ، د .ردة الله الطلحي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، 1423 هـ .
- روح المعاني ، الألوسي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- شرح مقدمة التفسير شيخ الإسلام بن تيمية ، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، إعداد وتقديم الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ، 1415 هـ / 1995م .
- العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة ، د/ محمود توفيق محمد سعد ، أستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف شبين الكوم ، الطبعة الأولى : 1424هـ .
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1416 هـ - 1996 م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ زكريا عميران .

- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ، السنة:1406هـ-1982م .
- في ظلال القرآن ، السيد قطب ، دار الشرق ، بيروت ، الطبعة الشرعية : الثانية عشر ، سنة : 1406 هـ/ 1986 م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي .
- اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1419 هـ -1998 م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - 1413هـ 1993م ، الطبعة : الأولى .
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، دار النشر : دار النفائس ـ بيروت 2005 ، ت: مروان محمد الشعار .
- معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى 516 هـ] ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الرابعة ، السنة 1417 هـ - 1997 م.
- المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي .
- مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى : 1401هـ/ 1981 م .

- مفردات ألفاظ القرآن ، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم ، دار النشر / دار القلم ـ دمشق ، ج1/ ص349 .
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل الإمام الحافظ العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي دار النشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت.
- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى : 1367هـ) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الثالثة.
- النبأ العظيم ، د/ محمد عبد الله دراز ، دار الثقافة الدوحة ، سنة : 1405 هـ/ 1985 م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

ث. أصول الفقه

- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى : 702هـ) ت : مصطفى شيخ مصطفى و مدثر سندس ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الطبعة الأولى 1426 هـ – 2005 م .
- الإحكام في أصول الأحكام ، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد ، دار الحديث القاهرة الطبعة : الأولى ، السنة : 1404.
- أصول السرخسي ، للإمام الفقيه الأصولي النظار أبى بكر محمد بن احمد بن أبى سهل السرخسي المتوفى سنة 490 ، ت : أبو الوفاء الأفغاني رئيس اللجنة العلمية لإحياء المعارف

النعمانية ، عنيت بنشره لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد الدكن بالهند ، دار الكتاب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1414 هـ ، 1993 م .

- أصول الشاشي ، أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي أبو علي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، 1402.
- إيضاح المبهم من معاني السلم في المنطق ، شهاب الدين أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري الأزهري ، المتوفى سنة 1198هـ ، طبعة مصر سنة 1876، ص8 .
- البحر المحيط في أصول الفقه ، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، توفي سنة 794هـ ، تحقيق ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر ، دار الكتب العلمية ، سنة النشر 1421هـ – 2000م ، لبنان/ بيروت .
- الرسالة ، محمد بن إدريس الشافعي ، المحقق : أحمد محمد شاكر ، الناشر : دار الكتب العلمية .
- قواطع الأدلة في الأصول ، أبى المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعانى(ت 489) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
- المستصفى في علم الأصول ، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1413 ، تحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي .
- المعتمد في أصول الفقه ، محمد بن علي بن الطيب البصري أبو الحسين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1403 ، تحقيق : خليل الميس .
- الموافقات في أصول الفقه ، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي المشهور بالشاطبي ، دار المعرفة – بيروت ، تحقيق : عبد الله دراز .

كتب البلاغة واللغة والأدب

- أساس البلاغة ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري المتوفى سنة:538هـ ، تحقيق : محمد باسل عيون السُود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ،الطبعة الأولى 1419هـ ـ1998م .
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم دمشق ، الطبعة الأولى ، السنة : 1416 هـ / 1996م .
- البيان والتبيين ، الجاحظ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .
- التكرار بلاغة ، د/ محمد عبد الله الخولى ، دار النشر : الشركة العربية للطباعة والنشر، ابريل 1993 .
- الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ159هـ/ 255هـ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، لبنان/ بيروت ، السنة : 1416هـ – 1996م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري ، مكتبة الهلال – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1987 ، تحقيق : عصام شعيتو .
- الخصائص ، أبي الفتح عثمان بن جني ، عالم الكتب - بيروت ، تحقيق : محمد علي النجار .
- شرح شافية ابن الحاجب ، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي النحوي، 1395هـ– 1975 م ، بيروت .
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي (المتوفى : 889هـ) ، المحقق : نواف بن جزاء الحارثي ، الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق) ، الطبعة : الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2004م .

- شرح قطر الندى وبل الصدى ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري – القاهرة ، الطبعة الحادية عشرة ، السنة: 1383 ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ،
- الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، سنة النشر 1406هـ- 1986م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق القيرواني ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت لبنان ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ، السنة : 1401 هـ - 1981 م .
- المثل السائر ، ابن الأثير ، ت:محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت، السنة : 1995.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار الكتب ، العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1998 ، تحقيق : فؤاد علي منصور.
- معجم البلاغة العربية ، د.بدوي طبانة ، دار ابن حزم ، الطبعة : الرابعة ، السنة:1418هـ -1997م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة السادسة، 1985، تحقيق : د . مازن المبارك ومحمد علي حمد الله.
- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع – أبو محمد القاسم الأنصاري السجلماسيّ من نقاد القرن الثامن هجري بالمغرب ، تقديم وتحقيق : علال الغازي ، مكتبة المعارف ، الرباط المغرب ، الطبعة الأولى 1401 هـ / 1980 م .

- النحو الوافي ، عباس حسن (المتوفى : 1398هـ) ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة عشرة.

كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ

- اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم ، ابن تيمية ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الثانية / 1369 / تحقيق : محمد حامد الفقي.
- درء تعارض العقل والنقل ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دار الكنوز الأدبية – الرياض ، 1391 ، ت : محمد رشاد سالم .
- الفتاوى الكبرى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)تحقيق : محمد عبدالقادر عطا – مصطفى عبدالقادر عطا ، الناشر : دار الكتب العلمية الطبعة : الطبعة الأولى 1408هـ – 1987م .

كتب ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ

- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار النشر : دار الجيل – بيروت ، 1973 ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، عدد الأجزاء : 4 ، ج 1 / ص217.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابن القيم الجوزية) ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية ، 1395 – 1975 ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

• بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، 1416 – 1996 ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد الج .

• الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار العاصمة – الرياض ، الطبعة الثالثة ، 1418 – 1998 ، تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله .

كتب التراجم

• الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة أيار (مايو) 1980 .

• البداية والنهاية للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة 774هـ .حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى 1408 هـ . 1988 م .

• بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، سنة الولادة 849هـ/ سنة الوفاة 911هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر المكتبة العصرية ، سنة النشر ، مكان النشر لبنان / صيدا .

• التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر ،سنة الولادة 574/ سنة الوفاة 629، تحقيق كمال يوسف الحوت ، الناشر دار الكتب العلمية ،سنة النشر 1408 ،مكان النشر بيروت .

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، تحقيق مراقبة / محمد عبد المعيد ضان ، الناشر مجلس دائرة المعارف العثمانية ، سنة النشر 1392هـ/ 1972م .
- الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ، مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ، دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1404 ، تحقيق : نجم عبد الرحمن خلف.
- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي أبو عبد الله ، دار الكاتب العربي – بيروت ، تحقيق : محمد حامد الفقي .
- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان .

الدواوين

- ديوان أبي طالب ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، دار مكتبة الهلال ، الطبعة الأولى ، سنة : 1421 / 2000م .
- ديوان الأخطل ، غياث بن غوث بن طارقة أبو مالك الأخطل ، المحقق مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة : 2 ، السنة : 1414 هـ / 1994م
- ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح :د. محمد يوسف نجم ، دار النشر :دار صادر بيروت ، الطبعة الثالثة ، السنة : 1399هـ- 1979م .
- ديوان الحطيئة ، اعتنى به وشرحه : حمدو حماس ، دار المعرفة ـ بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، سنة 1426هـ/ 2005م
- ديوان مهلهل بن ربيعة ، شرح وتقديم : طلال حرب ، الدار العالمية .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

المقدمة .... أ

القسم الأول : الدراسة النظرية

الفصل الأول : الدراسة النظرية للسياق 1

المبحث الأول : مفهوم ودلالة السياق 1

المطلب الأول : الدلالة لغة 1

المطلب الثاني : الدلالة اصطلاحا 3

المطلب الثالث : مفهوم السياق في اللغة 6

المطلب الرابع : السياق في الاصطلاح 9

المطلب الخامس : دلالة السياق 18

المبحث الثاني : أركان السياق وأنواعه 19

المطلب الأول : أركان السياق 19

الركن الأول : التتابع 20

الركن الثاني : اللّحاق 22

الركن الثالث : الغرض 25

الركن الرابع : القرائن 28

أ – القرائن اللفظية 28

ب– القرائن الحالية 36

المطلب الثاني: أنواع السياق 43

أ- سياق القرآن 43

ب- سياق السورة 49

ت- سياق النص 51

ث- سياق الآية 53

المبحث الثالث : أهمية السياق وأبرز العلماء عناية به 56

المطلب الأول : أهمية السياق في الدراسات القرآنية 56

أ- السياق مهم في بيان المناسبات 56

ب- مهم في بيان مرجع الضمير 58

ت- مهم في بيان المحذوف 60

ث- التقديم والتأخير 61

ج- يعين السياق على تحديد زمن النزول 64

المطلب الثاني : أبرز العلماء عناية بالسياق 66

أ- الشافعي 67

ب- ابن جرير 68

ت- أبو حامد الغزالي 74

ث- ابن تيمية 76

ج- ابن القيم 81

ح- الزركشي 86

خ- البقاعي 88
الفصل الثاني : الدراسة النظرية للتكرار 92
المبحث الأوّل : مفهوم التكرار 92
المطلب الأوّل : مفهوم التكرار لغة 92
المطلب الثاني : الفرق بين التكرار والتكرير والتِكرار........... 97
المطلب الثالث : مفهوم التكرار في الاصطلاح 100
المطلب الرابع : الفرق بين التكرار والمتشابه وتصريف القول..103
المبحث الثاني : آراء العلماء في التكرار 107
أ- الجاحظ 107
ب- ابن قتيبة 110
ت- أبو سليمان الخطابي 114
ث- ابن جني 118
ج- أبو هلال العسكري 120
ح- ابن رشيق 124
خ- ابن الأثير..127
المبحث الثاني : أقسام التكرار..134
المطلب الأوّل : تكرار اللفظ والمعنى الذي يدل على معنى واحد............135
المطلب الثاني : تكرار اللفظ والمعنى الذي يدل على معنيين مختلفين....143
أ- تكرار في السورة نفسها 143
• التكرار النظميّ الذي تكون فيه الإعادة لنمط تركيبي بحروفه ومعناه........................143

- التصريف النظميّ الذي تكون فيه الإعادة لنمط تركيبي ذي عدول في بعض مفرداته أو مواقعها..........149

ب- أن يقع في مواضع مختلفة من القرآن..159

- التكرار النظميّ الذي تكون فيه الإعادة لنمط تركيبي بحروفه ومعناه..........................160
- التصريف النظميّ الذي تكون فيه الإعادة لنمط تركيبي ذي عدول في بعض مفرداته أو مواقعها..........169

القسم الثاني : الدراسة التطبيقية..176

المبحث الأول : أثر السياق في توجيه تكرار الألفاظ................176

المطلب الأول : أثر السياق في توجيه ألفاظ السورة 177

4- أثر السياق في توجيه تكرار مادة "أ.و.ل" في سورة يوسف 177

5- أثر السياق في توجيه تكرار مادة "أ.و.ب" في سورة"ص" 180

6- أثر السياق في توجيه تكرار كلمة "الحق" في سورة يونس..............187

المطلب الثاني : أثر السياق في توجيه تكرار ألفاظ الآية 197

الموضع الأول : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾..........197

الموضع الثاني : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾.........201

الموضع الثالث : ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ ﴾.....................205

الموضع الرابع : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾............................209

الموضع الخامس: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾...216

المبحث الثاني : أثر السياق في توجيه تكرار الجمل 217

المطلب الأول : أثر السياق في توجيه تكرار الجمل المتقاربة 218

أ- تكرار : ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ في موضعين من سورة الإسراء 219

ب- تكرار: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ في موضعين من سورة الفتح 221
ت - تكرار وعيد الله وعذابه للكافرين في موضعين من سورة "الصافات" 223
ث - تكرار ﴿ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ في موضعين من سورة "الذاريات" 227
ج - تكرار ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ ﴾ في موضعين من سورة "البقرة" 231
المطلب الثاني: أثر السياق في توجيه تكرار الجمل المتباعدة........236
المثال الأول: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ من سورة آل عمران و ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾ من سورة الحديد 237
المثال الثاني: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ من سورة الأنبياء و ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ من سورة المؤمنون 242
المثال الثالث: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ من سورة البقرة و ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ من سورة الأعراف 248
الخاتمة 253

الفهارس

أ - فهرس الآيات..255
ب - الأحاديث..275
ت - الآثار..276
ث - الأعلام 277
ج - المصادر والمراجع..280
ح - المحتويات..295

ملخص البحث

اسم الطالب : بومدين هواري .   مرحلة : الماجستير

عنوان المذكرة : السياق الدلالي وأثره في توجيه معاني آيات الإعجاز البياني ـ دراسة في رحاب التكرار ـ .

المقدمة

يعد علم الإعجاز البياني من أهم العلوم التي تكشف عن بلاغة القرآن الكريم ، وتقف على لطائف آياته ونكت معانيه ، ويظهر ذلك من خلال موضوعاته ـ الإعجاز البياني ـ التي لعبت دورا مهما في إبراز كثير من الحقائق البيانية ، ويأتي في مقدمة هذه الموضوعات ؛ موضوع التكرار الذي لفت انتباه العلماء قديما وحديثا ، فما كان عليهم إلا أن يقفوا وقفات تبين معناه وفوائده وكناه ، كوقفة الجاحظ وابن قتيبة والخطابي وابن جني وابن رشيق وابن الأثير وغيرهم .

غير هذه الدراسات كانت تحتاج إلى عنصر مهم من عناصر التفسير ؛ ألا وهو توظيف نظرية السياق والتي لعبت دورا كبيرا في توجيه كثير من موضوعات الإعجاز البياني ، على غرار علم المناسبات ، والتقديم والتأخير ، وسبب النزول ، وحتى موضوع القراءات .

ففكرت في تطبيق نظرية السياق على موضوع التكرار لإبراز ما يمكن إبرازه من فوائد وأسرار تلجم أفواه المتقولين ، وتخرس ألسنة الطاعنين في كتاب رب العالمين .

وقد عنوان هذه المذكرة على : **السياق الدلالي وأثره في توجيه معاني آيات الإعجاز البياني ـ دراسة في رحاب التكرار ـ .**

صلب الموضوع

تناولتُ هذه الدراسة بمقدمة بيّنت من خلالها أهمية الموضوع ، وأسباب **اختياره** مع طرح إشكالية تتم الإجابة عنها بعد التطرق إلى المفاهيم النظرية لكل من التكرار **والسياق ، وهو ما عَنيتُه بالدراسة النظرية** والتي كانت في فصلين: أما الفصل الأول : فتناولت فيه دلالة السياق ، واندرج تحته مباحث ثلاثة :

في المبحث الأول : **تناولت مفهوم دلالة** السياق من خلال مطالب خمسة:

كان المطلب الأول منها : تعريف الدلالة في اللغة بـ : **الإبانة أو التسديد** بالإمارة ، أو أي علامة أخرى لفظية ، أو غير لفظية .

وكان المطلب الثاني : مفهوم الدلالة في الاصطلاح بـ : استعمال الدال من لفظ أو غيره لبيان المراد من **المتكلم ، أو الوصول إليه من السامع .**

وكان المطلب الثالث : تعريف السياق في اللغة بـ : التوالي والتتابع .

وكان المطلب الرابع : مفهوم السياق في الاصطلاح والذي استقر على التعريف الآتي : تتابع الكلام على غرض واحد يجمعه بدلائل القرائن اللفظية والحالية .

وتم تحديد مفهوم دلالة السياق في المطلب الخامس بـ : القرائن تـدّل على مراد المتكلم بالنظـر إلى سابـق الكلام ولاحقـه .

وفي المبحث الثاني : **تناولت أركان السياق وأنواعه من خلال مطلبين :**

الأول منهما : عرفت فيه كلمة الركن في اللغة بـ : " الجانب الأقوى " ، وفي **الاصطلاح :** " بـأن ركن الشيء ما لا وجود لذلك الشيء إلا به " ، **ثم بينتُ أركان** السياق والتي تمثلت في أربعة أركان :

الركن الأول : التتابع **وهو بدوره يتألف من ركنين :**

أـ السباق : الذي معناه في اللغة : التقدم ، أما في الاصطلاح فهو : هو ما يتقدم **الكلام من معان ليبين ما بعده .**

ب ـ اللّحاق : معناه في اللغة : هو الإدراك والاتباع ، وفي الاصطلاح : **هو ما "يتبع الكلام من معان ليبين ما قبله" .**

الركن الثاني : الغرض الذي يعبر عنه العلماء بمراد المتكلم أو مقصوده ، وهم **من أهم الأركان التي يبنى عليها السياق .**

الركن الثالث : القرائن .

ومعنى القرينة : أمر يشير إلى المطلوب ، وهي على قسمين :

1ـ القرائن اللفظية : وهي ما احتواه النص من مفردات وتراكيب وارتباط بين الآيات ونحوها، مما دفعني إلى الحديث عن أمور ثلاثة : المفردات ، وهيئة الكلمة ، ثم النظر في نظم الجملة الواحدة ، ثم النظر في نظم الجمل وعلاقاتها ببعضها البعض .

فتحدثت أولا عن الكلمة المفردة وكيف انقسم العلماء في الحكم عليها إلى فريقين :

الفريق الأول : جرد الكلمة المفردة عن المعنى ، ويمثل هذا الفريق الامام عبد القاهر الجرجاني ـ رحمه الله ـ .

الفريق الثاني : يرى أصحابه أن للكلمة المفردة مكانتها وقيمتها الفنية والجمالية ، ويعد الامام الباقلاني أبرز القائلين بهذا .

ثم ذكرنا خصائص المفردة القرآنية من وجوه ثلاثة :

أـ جمال وقعها في السمع .

ب ـ اتساقها الكامل مع المعنى .

ج ـ اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى .

ثم تناولت هيئة الكلمة : بمعرفة تصريفها واشتقاقها ، وبينت أهمية العود إليها في توجيه المعاني .

ملخص البحث عربي

وكانت وقفتي الثالثة في بيان ضرورة : النظر في نظم الجملة الواحدة ، ثم النظر في نظم الجمل وعلاقاتها ببعضها البعض .

2ـ القرائن الحالية : وهي الأسباب والأحوال التي ورد فيها الكلام أو نزلت فيها الآيات ، وقد أجملت هذه القرائن في :

أـ معرفة حال المتكلم : وعليه فقد رجح المفسرون بعض الأقوال على غيرها ، انطلاقا من معرفتهم بمراد الله تعالى ، وما يفعله من حكمته ورحمته وقدرته وسلطانه .

ب ـ حال السامع (المخاطَب) : وقد بينت أهميتها من خلال وجوه كثيرة :

1ـ أن مراعاة حال المخاطب دليل على بلاغة الكلام : لأن البلاغة عُرفت بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

2ـ من أهم مميزات تفسير الصحابة أنهم رعوا حال المخاطب به : وذلك لعلمهم بأحوال العرب وأحوال الملل وقت نزول القرآن .

3ـ ضرب المثل في القرآن الكريم دليل على مراعاة حال السامع .

4ـ ما يكثر في القرآن الكريم من حذف وإضمار يدل عليه فهم السامع .

ج ـ معرفة حال المتكلم عنه : ويدخل في هذا معرفة أسباب النزول ، والمكي من المدني ، ومعرفة أحوال النبي ﷺ ، وأحوال أصحابه .

وكان المطلب الثاني منهما : أنواع السياق القرآني ، تناولت فيه أربعة أنواع للسياق :

ملخص البحث عربي

الأول : سياق القرآن ؛ الذي يبنى على دعائم ثلاث : مقاصد القرآن العظمى، ومعانيه الكلية ، وأساليبه المطردة .

الثاني : سياق السورة ؛ وقفت على معنى السورة في اللغة : بأنها مشتقة من السور وهو البناء المرتفع المحيط بالشيء ، وفي الاصطلاح : هي ما يحيط بمجموعة من الآيات ، يجمعها غرض واحد يسمى وحدة السورة ، أو سياقها ، وهذا الغرض الواحد الذي يجمع الآيات مهم جدّا في تحديد معانيها .

الثالث : سياق النص أو القصة ؛

المطلب الثاني : أنواع السياق .

المبحث الثالث : أهمية السياق وأبرز العلماء عناية به .

ويندرج تحته مطلبان :

المطلب الأول : أهمية السياق في الدراسات القرآنية .

المطلب الثاني : أبرز العلماء عناية بالسياق .

الفصل الثاني : التكرار .

وفيه ثلاثة مباحث :

ملخص البحث عربي

المبحث الأول : مفهوم التكرار

ويندرج تحته أربعة مطالب :

المطلب الأول : التكرار لغة .

المطلب الثاني : الفرق بين التكرير والتَكرار والتِكرار .

المطلب الثالث : التكرار في الاصطلاح .

المطلب الرابع : الفرق بين التكرار والمتشابه وتصريف القول .

المبحث الثاني : آراء العلماء في التكرار .

المبحث الثالث : أقسام التكرار .

ويندرج تحته مطلبان :

المطلب الأول : تكرار اللفظ والمعنى الذي يدل على غرض واحد .

المطلب الثاني : تكرار اللفظ والمعنى الذي يدل على غرضين .

وأما القسم الثاني من هذه المذكرة : يتمثل في الدراسة التطبيقية .

وتحتها ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أثر السياق في توجيه تكرار الألفاظ .

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : أثر السياق في توجيه تكرار ألفاظ السورة .

المطلب الثاني : أثر السياق في توجيه تكرار ألفاظ الآية .

المبحث الثاني : أثر السياق في توجيه تكرار الجمل .

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : أثر السياق في توجيه تكرار ألفاظ الجمل المتقاربة .

المطلب الثاني : أثر السياق في توجيه تكرار ألفاظ السور المتباعدة .

وكانت الدراسة التطبيقية هي لبّ هذه المذكرة ، حيث تمّ فيها الإجابة عن إشكالية البحث المحورية المتمثلة في : " هل للسياق أثر في توجيه التكرار ؟ " .

فبينت أثره من وجوه :

أ. في توجيه تكرار ألفاظ السورة .

ب. في توجيه تكرار ألفاظ الآية .

ت. أثره في توجيه تكرار الجمل المتقاربة .

ث. أثره في توجيه تكرار الجمل المتباعدة .

فتوصلت في خاتمة مذكرتي إلى نتائج عدّة منها:

❖ التكرار عند المتقدمين والمتأخرين عنصر من أهم عناصر الإعجاز القرآني ، وإن تعددت أغراضه وفوائده .

❖ التوكيد غرض من أهم أغراض التكرار في القرآن الكريم ، لكنه يُقصد تبعًا لا أصالة في مناسبات كثيرة ، ويدل على ذلك السياق .

❖ يعدُّ السياق ؛ الحكَمُ الفصل بين الآراء العديدة ، والأقوال الكثيرة حول ما تكرر من آي في القرآن الكريم ، ولا يجوز العدول عنه ؛ لأنه من قبيل تفسير القرآن بالقرآن .

❖ كل الموضوعات المتعلقة بالإعجاز البياني تفتقر إلى السياق في بيان مدلولاتها ، وإبراز أسرارها .

- أنّ السياق ليس حِكرا على علم التفسير وعلوم القران فقط ، بل استعمله الأصوليون والفقهاء ـ أيضا ـ في التدليل على كثير من مسائل العلم .

وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

AU NOM DE DIEU LE TOUT MISERICORDIEUX ET LE

TOUT COMPATISSANT

RESUME DE LA RECHERCHE

PHASE : **MAGISTER**

ETUDIANT : **HOUARI BOUMEDIENE**

TITRE DU MEMOIRE : Le contexte significatif et ses conséquences sur les senses de l'incapacité démonstrative –étude sur la répétition.

J'ai entamé cette étude avec une introduction en démontrant l'importance de ce sujet et les raisons de sa sélection, puis poser la problématique et répondre après avoir entamé les explications théoriques de chaque répétition et contexte.

Alors je me suis penché sur le sens de la signification du contexte dans la langue et la terminologie, ensuite les différents types du contexte et démontrer son importance.

En contre partie, j'ai expliqué le sens de la répétition dans la langue et la terminologie avec la définition des plus importantes différences entre ces termes associés à cet art en citant ces différents types et les avis des savants.

L'étude pratique était le cœur de ce mémoire dont on a pu répondre à la problématique centrale de l'étude qui est : Le contexte a-t-il des conséquences sur l'orientation de la répétition ?

Alors j'ai démontré les conséquences par plusieurs points :

a) Dans la répétition des mots de la sourat.
b) Dans la répétition des mots du verset.
c) Dans la répétition des phrases proches.
d) Dans la répétition des phrases séparées.

Je suis arrivé enfin à ces résultats :

- La répétition chez les anciens savants (moutakaddimine) et les nouveaux (mouta-akhirine) est l'élément le plus important dans le miracle coranique.

- La confirmation est l’une des plus importantes raisons de la répétition dans le saint coron et le contexte nous le montre.
- Seul le contexte peut trancher entre les différents avis et dires sur ce qu’il se répète des versets coraniques dont on ne peut s’en passer, tout comme expliquer le coron par le coron.

- Touts les sujets concernant l’incapacité démonstrative manquent de contexte dans la signification des senses.

- Que le contexte ne soit pas réservé aux sciences coraniques uniquement, mais les savants l’utilise aussi pour la signification dans plusieurs domaines scientifiques.